رسائل غسّان كنفاني إلى غادة السّمّان



مع ملحق بمقتطفاتٍ من آراء نقديّة لمئتيّ كاتبة وكاتب

قدّمت لها: غادة السّمان

دار الطليعة - بيروت

رسائل غسّان كنفاني إلى غادة السمّان

مَع مُلحق بمُقتطفاتٍ مِن آراءَ نقدِيّة لمِئتيّ كاتبة وكاتِب

قدّمتْ لها:
غادة السمّان

دارُ الطّليعة للطّباعة والنشر
بيروت

الطبعة الأولى: تموز (يوليو) ١٩٩٢
الطبعة الثانية: كانون الثاني (يناير) ١٩٩٣
الطبعة الثالثة: تشرين الأول (أوكتوبر) ١٩٩٤
الطبعة الرابعة: نيسان (إبريل) ١٩٩٩
الطبعة الخامسة: شباط (فبراير) ٢٠٠٥

صورة الغلاف الأمامي: الشهيد غسان كنفاني وغادة السمّان والفنان بهجت عثمان في تلفريك جونية، لبنان. المصوِّر مجهول.
الغلاف الخلفي: تتابع الأسماء بالترتيب الأبجدي

محاولة إهداء:

إلى الذين لم يولدوا بعد

هذه السطور التي أهداني إياها ذات يوم وطنيٌّ مبدعٌ لم يكن قلبه مضخة صدئة،

أهديها بدوري إلى الذين قلوبهم ليست مضخات صدئة،

وإلى الذين سيولدون بعد أن يموت أبطال هذه الرسائل.

غادة

محاولة تقديم

وفاء لعهد قطعناه

نعم. كان ثمة رجل اسمه غسان كنفاني... وكـان له وجـه طفل وجسد عجوز.. عينان من عسل وغمازة جذلة لطفل مشاكس هارب من مدرسة الببغاوات، وجسد نحيل هش كالمركب المنخور عليه أن يعاجله بإبر «الأنسولين» كي لا يتهاوى فجأة تحت ضربات مرض السكري: هدية الطفولة لصبي حرم من وطنه دونما ذنب... لم يكن فيه من الخارج ما يشبه صورة البطل التقليدية: قامـة فارعـة.. صوت جهـوري زجاجي. لامبالاة بالنساء (إلى آخر عدة النضـال) لأنه كان ببساطة بطلاً حقيقياً... والأبطال الحقيقيون يشبهون الرجال العاديين رقةً وحزناً لا نجوم السينما الهوليوودية الملحمية... غير العادي في غسان كان تلك الروح المتحدية.. النار الداخلية المشتعلة المصرة على مقاومة كل شيء، وانتزاع الحياة من بين منقار رخ القدر... نار من شجاعة تتحدى كل شيء حتى الموت..

* * *

نعم.كان ثمة رجل اسمه غسان كنفاني جسده المهترىء بالنقرس لا يرسمه جيداً ولا يعبر عنه.. ولكن حرفه يفعل ذلك باتقان.. وحين أقرأ رسائله بعد عقدين من الزمن أستعيده حياً.. ويطلع من حروفه كما يطلع الجني من القمقم حاراً ومرحاً صوته الريح.. يقرع باب ذاكرتي ويدخل بأصابعه المصفرة بالنيكوتين واوراقه وإبرة (انسولينه) وصخبه المرح.. ويجرني من يدي لنتسكـع معاً تحت المطـر.. ونجلس في المقاهي مـع الأصدقاء.. ونتبادل الموت والحياة والفرح بلا أقنعة، والرسائل أيضاً..

* * *

نعم. كان ثمة رجل اسمه غسان كنفاني التصق بعيني زمناً كدمعة نقية، وانتصب فوق أفقي كقوس قزح... ووفاء لضوء عرفناه معاً، دعوتكم

مرة لمشاركتي في الاحتفال بعيد ميلاده الذي يتصادف في شهر نيسان في «لحظة حريتي» بمجلة الحوادث ولبيتم، وها انا ادعوكم اليوم إلى مهرجان من الألعاب النارية والنجوم هي رسائله..

والوفاء ليس فقط لعاطفتي الغابرة المتجددة أبداً نحوه، بل وفاء لرجل مبدع من بلادي اكتمل بالموت لأنه كان اكثر صدقاً من أن يسمح له عدوه بالحياة والكتابة والاكتمال بالعطاء... موت غسان المبكر خسارة عربية على الصعيد الفني لا تعوض، لم يمهلها العدو وقتاً لتأخذ مداها من التأجج والسطوع... والأجمل من ذلك كله أنه كان مناضلاً حقيقياً ومات فقيراً.. (وتلك ظاهرة في زمننا الموسخ بالخلط بين الثروة والثورة)... إنه رجل لم يتلوث بالمال ولا بالسلطة ولا بالغرور وظل يمثل النقاء الثوري الحقيقي.

* * *

نعم. كان ثمة رجل اسمه غسان كنفاني أشعر دائماً بالرغبة في إطلاقه كرصاصة على ذاكرة النسيان العربية.. والأسباب كثيرة وعديدة، واهمها بالتأكيد أن غسان كان وطنياً حقيقياً وشهيداً حقيقياً وتكريمه هو في كل لحظة تكريم للرجال الأنقياء الذين يمشون إلى موتهم بلا وجل لتحيا أوطانهم، ولتخرج «القيم» و«المفاهيم» من صناديق اللغة الرثة، إلى عظمة الفعل الحي... لا أستطيع الادعاء ـ دون أن أكذب ـ أن غسان كان أحب رجالي إلى قلبي كامرأة كي لا أخون حقيقتي الداخلية مع آخرين سيأتي دور الاعتراف بهم ـ بعد الموت ـ وبالنار التي أوقدوها في زمني وحرفي.. ولكنه بالتأكيد كان أحد الأنقياء القلائل بينهم.

* * *

نعم. كان ثمة رجل اسمه غسان كنفاني، ويعز عليَّ أن أرى الغبار يتراكم فوق وجهه، والعنكبوت يغزل خيوطه ببطء ـ ولكن باستمرار ـ فوق حروف اسمه بالرغم من الجهود المباركة للجنة تكريمه.[1] أخشى أن

(١)نشرتُ هذا الكلام في حوار مع مجلة الشرق الاوسط (لندن) بتاريخ ٩/١/١٩٩٠، اي قبل صدور «الرسائل» بعامين ونصف، ولم يعترض عليه أحد. وكان عنوان الحوار المنشور على غلاف العدد مع صورتي: «غادة السمان: كَشَفْتُ امر علاقتي بغسان لئلا يطويه النسيان».

يغوص في لجة النسيان هو وكل ما كان يمثله.. لا جائزة أدبية باسمه، ولا شارع في مدينة عربية يخلده (أرجو أن أكون مخطئة وقليلة الإطلاع)... ولا مهرجان أدبياً يكرسه... أفرح حين أرى وفياً ليوسف الخال هو - رياض نجيب الريس - يحمي اسمه من عث النسيان، وأتساءل: أين «جائزة غسان كنفاني» للرواية مثلاً؟ أم أن عليه أن يقرع جدران الخزان؟.. غسان ليس ملكاً لمنظمة معينة فهو طفل الأمة العربية كلها وأحد الذين جسدوا أنبل ما فيها.. أفكر به، وقلبي على الحبيبة الفلسطينية الأخرى ولكن المكفنة بنسيان شبه شامل: سميرة عزام.. منذ غادرت الكنيسة حيث عزيت بها لم أر أحداً من الذين عرفوا وهج إبداعها يحاول بعث ذلك الضوء في نجمة... لم أسمع بأستاذ جامعي منهم كلف طالبة أو طالباً بإعداد رسالة جامعية عنها توثق لها وتحفظ ذكراها إلا فيما ندر.. والاحتفال بميلاد غسان كنفاني في صفحتي الأسبوعية بالحوادث ذات مرة، وبرسائله اليوم، هذا الاحتفال جزء من الاحتجاج على ذاكرة النسيان العربية... لا أريد أن أرى الثلج يهطل فوق شاهدة قبره وأمثاله ويغطيها ببرود الجحود.. فقد كان وطنياً من نوع فريد.. لم يعرف المساومة ولا الرياء ولا رقصة التانغو السياسية: خطوة إلى الأمام، وخطوتان إلى الوراء...

* * *

نعم. كان ثمة رجل اسمه غسان كنفاني... والأستاذ جهاد فاضل لم يفترِ عليَّ حين تحدث ذات يوم عن رسائل متبادلة بيننا سأقوم بنشرها دون حَذف حرف منها... ولم يبح بسر شخصي حين خط سطوره.. على العكس، كنت أريد أن يكتب ما كتب، على أمل أن يتصل بي «الشخص» الذي ما تزال رسائلي بحوزته.. فالذي حدث أن الشهيد غسان قتل والعلاقات الديبلوماسية بيننا على أفضل حال، ولم يحدث ما يستدعي قطع العلاقات وسحب الرسائل والسفراء.. وبعبارة أخرى: رسائله عندي ورسائلي عنده كما هي الحال لدى متبادلي الرسائل كلهم!!..

وانتهز الفرصة لأوجه النداء إلى من رسائلي بحوزته (أو بحوزتها).. نداء أشاركهم فيه محبة غسان وارجوهم جعل حلم نشر رسائلنا معاً ممكناً كي لا تصدر رسائل غسان وحدها حاملة أحد وجوه الحقيقة فقط بدلاً من وجهيها[1].. وأنا والحق يقال لا أدري أين رسائلي إليه.. كل ما أعرفه هو أن تلك الرسائل العتيقة لم تعد ملكاً لأحد، وإنما تخص القارئ العربي كجزء من واقعه الأدبي والفكري على لسان مجنونيّ حبر، صار أحدهما غباراً مضيئاً منذ عقدين من الزمن، وتستعد الأخرى لمهرجان التراب منذ ولادتها.. إنها رسائل تدخل في باب الوثائق الأدبية أكثر مما تدخل في باب الرسائل الشخصية بعدما انقضى أكثر من ربع قرن على كتابتها، فخرجت من الخاص إلى العام، باستشهاد صاحبها قبل عشرين سنة.

* * *

نعم. كان ثمة رجل اسمه غسان كنفاني.. ونشر رسائلنا معاً هو أيضاً إقلاق لراحة الرياء ولنزعة التنصل من الصدق.. وهي نزعة تغذيها المقولات الجاهزة عن «التقاليد الشرقية» المشكوك أصلاً في صحتها... أنا من شعب يشتعل حباً، ويزهو بأوسمة الأقحوان وشقائق النعمان على صدره وحرفه.. ولن أدع أحداً يسلبني حقي في صدقي.. وإذا كانت جدتي المسلمة - مثلي - ولادة بنت المستكفي قد فتحت خزائن قلبها منذ تسعة قرون تقريباً، فلمَ أخشى أنا ذلك في زمن المشي فوق سطح القمر.. ولماذا يكون من حقها أن تقول في ابن زيدون:

ترقب إذا جن الظلام زيارتي
فإني رأيت الليل أكتم للسر
وبي منك ما لو كان بالشمس لم تلح
وبالبدر لم يطلع وبالنجم لم يسر

(١) نشرت هذا النداء للمرة الأولى بتاريخ ١٩٨٩/٤/٢١ في مجلة **الحوادث** الصادرة في لندن، وتكرر نشره مرات على لسان أدباء ونقاد آخرين قبل إصداري للطبعة الأولى من الرسائل. ولم يستجب أحد للنداء حتى لحظة صدور هذه الطبعة الخامسة.

فلماذا لا أجرؤ على نشر رسائلي ورسائله دونما تبديل أو تعديل ـ بغض النظر عما جاء فيها أو لم يجيء ـ؟..

للحقيقة سطوة ترفض مجاملة الزيف وركوعاً مني لسطوتها سأنشر رسائل زمن الحماقات الجميلة دون تعديل أو تحوير، لأن الألم الذي قد تسببه لآخرين عابرين مثلي هو أقل من الأذى اللاحق بالحقيقة إذا سمحت لقلمي بمراعاة الخواطر.. والحقيقة وحدها تبقى بعد أعوام حين أتحول وسواي من العابرين إلى تراب كغسان نفسه.. ولذا قدمت هذا الاعتبار على أي اعتبار آخر ولسان حالي يقول: قد لا أريد أن أتذكر كي لا أجرح الحاضر، ولكنني لا أستطيع أن أنسى كي لا أخون ذاتي والحقيقة معاً...

وريثما أحصل على رسائلي إليه فانشرها(١) ورسائله معاً، أكتفي مؤقتاً بنشر رسائله المتوافرة، بصفتها أعمالاً أدبية لا رسائل ذاتية أولاً ووفاء لوعد قطعناه على أنفسنا ذات يوم بنشر هذه الرسائل بعد موت أحدنا، ولم يدر بخلدي يومئذ أنني سأكون الأمينة على تنفيذ تلك الرغبة الكنفانية ـ السمانية المشتركة.

* * *

نعم. كان ثمة رجل يدعى غسان كنفاني. وكان يعرف أن حبي للحقيقة يفوق أحياناً حتى حبي لذاتي، ومن هنا كانت الحرب التي لن تهدأ يوماً بيني وبين المؤسسات المكرسة لرعاية الرياء الاجتماعي و(تطييب خاطره).. وإذا كنت قد جاملتها يوماً فبالمقدار الذي يسمح لي بالبقاء على قيد الحياة لا أكثر، وعلى طريقة (غاليليو) الذي أعلن أن الأرض تدور حول الشمس وليس العكس ـ لأنها ببساطة الحقيقة

---

(١) ليست لدي مسودات عن تلك الرسائل الغابرة، ولا «فوتوكوبي» ـ استعمال الناسخات لم يكن شائعاً يومذاك ـ. الأمل الوحيد في نشر رسائلي هو في ان يتكرّم مَنْ بحوزتهم الرسائل بالإفراج عنها.

وبغض النظر عمن تزعزع جذور حياته كشفها ـ ولكنه عاد وسحب مرغماً كلامه وهو يهمس (ولكنها ما تزال تدور...)..

ونشر رسائل غسان كنفاني فعل رفض للخضوع لزمن الغبار الذي يكاد يتكدس في الحناجر، وعصر التراجع صوب أوكار تزوير المشاعر البشرية الجائعة أبداً إلى حرية لا تؤذي وإذا فعلت فعلى طريقة مبضع الجراح لا خنجر قاتل الظلام...

ثمة أديبة عربية نشرت رسائل حبيبها الشاعر خليل حاوي بعدما حذفت اسمها منها (واحتراماً لرغبتها لن أذكره) كما شطبت بنفسها بعض السطور التي وجدتها محرجة في حق سواها على الأرجح.. ولم تنج من اللوم لأنها تجنت على الأمانة الأدبية.. وأنا أعتقد أن العتاب لا يجب أن يوجه إليها، بل إلى القيم التقليدية السائدة التي تجعل سلوكاً كهذا مفهوماً ـ بل ومدعاة للاحترام ـ.. والهجوم لا يجوز أن يوجه للأديبة التي نفذت تعاليم مجتمعها، بل لذلك المجتمع المهترىء بالزيف الذي يجد في أكبر حقائق الحياة عيباً يجب التنصل منه في حجرات السر المظلمة.. وليس من حقنا معاتبة تلك الأديبة على مزاجها الشخصي في المقاومة، ولا الطلب من جميع الأديبات لعب دور العين التي تقاوم المخرز.. بل علينا أولاً ضرب اليد التي تمتد بأصابعها السكاكين لتقص أغصان أية شجرة تومض فيها شرارات الحقيقة.. كي لا تضرم نار عشق الصدق في غابات القلوب المتعطشة إلى حرية الضوء، التائهة أمام المعادلة المستحيلة: كيف نضيء دون أن نحترق؟!..

* * *

نعم. كان ثمة رجل يدعى غسان كنفاني.. وتسديد طعنة إلى «جمعيات الرياء المتحدة» أمر كان سيطرب له غسان،(كما كان سيفرح بإحياء ذكر أي شهيد نقي يستحق من ذاكرتنا حيزاً أكبر من الذي رصدناه له). ولعل ذلك أحد الأسباب التي دعتنا يوماً للعهد الذي قطعناه

على أنفسنا بنشر رسائلنا معاً[1] وهو عهـد ربما كنت سـأتملص من تنفيذه أو أؤجله لو لم أشعر أن هذه الرسائل خرجت من الخاص إلى العام بمرور الزمن.

ولكن ثمة عوامل أخرى أيضاً تحثني على نشر رسائل كنفاني دونما تردد، منها مثلاً رسم شخصية «الفدائي» من الداخل.. اي مناضل في اي وطن..

ثمة ميل دائم في الأدب العربي بالذات لرسم «المناضل» في صورة «السوبرمان».. ولتحييده أمام السحر الأنثوي وتنجيته من التجربة.. وفي رسائل غسان صورة للمناضل من الـداخل قبـل أن يدخـل في سجن الأسطـورة ويتم تحويلـه من رجـل إلى تمثـال في الكواليس المسرحيـة السياسية...

وهي صورة أعتقد أن بوسعها أن تغني أدب الجيل الطالع عامة وأدب المقاومة خاصة وتبعده عن هوة الضوضاء الخطابية المهرجانيـة السياسية التي يلقى الإبـداع فيها مصرعـه بعدمـا حلت الإنشائيـات والرطانات المدرسية المزودة بمكبرات الصوت محل دقات القلب. وبهذا المعنى تبدو لي قراءة رسائل غسان كنفاني ضرورة للروائيين الشباب..

---

(١) كان غسان كنفاني فخوراً بإبداعه في حقل النصوص الشعرية الوجدانية. ولعله ـ بهذا المعنى ـ كان يعتبر رسائله لي امتداداً لاعماله الأدبية، وربما لذلك كان يقوم بنشرها في زاويته «اوراق خاصة» في جريدة المحرر بين عامي ١٩٦٦ ـ ١٩٦٧، وفي ملحق جريدة الانوار ـ الصفحة الثانية التي كان يكتبها بين عامي ١٩٦٧ ـ ١٩٦٨ (ويجد القارىء نموذجاً مصوراً لها في الصفحة ٨٢ من هذا الكتـاب). وهذه الـرسائـل لم تجمع في «الاعمال الكاملة لغسان كنفاني» حتى الآن ولا تزال شبه مجهولـة رغم كثرتهـا كمّاً واهميتها نوعاً كجزء من نتاجه الأدبي الفني المتنوع. ونجده في رسائله إليّ في هذا الكتاب يستشهد ببعض ما كتبه لي ونشره في المحرر وملحق الانوار كما في قوله في الصفحة ٤٢: «أقول لك.. ما قلته اليوم لك على صفحات الجريدة»، ويورد بعدها استشهاداً من رسالته المنشورة. والكتاب حافل بتلك الاستشهادات من نصوصه الشعرية الـوجدانيـة تلك، وبوسع القارىء العودة إلى الصفحات ٢٩ و٣٢ و٣٦ و٤٢ و٦١ من هذا الكتاب مثلاً.

حيث يطلعون على صورة حية لحياة شهيد حقيقي بعيداً عن أقنعة التزوير.. وأعتقد أن «أنسنة» فكرة الشهيد لا تؤذي القضية، بل على العكس من ذلك، تساعد كل إنسان على اكتشاف العملاق الذي يقطنه مهما بدا لنفسه أو للذين حوله مريضاً وضعيفاً - بالمفاهيم التقليدية - وعاشقاً مهزوماً كسره الحب حيناً وملاه بالزهو والاعتداد أحياناً .. سنكتشف في رسائل غسان أن كلاً منا يستطيع أن يكون مهماً لوطنه إذا تبع صوت قلبه بلا وجل حتى النهاية وتخلص من الازدواجية بين المشاعر والسلوك قدر الإمكان، فإذا أحب وطنه حتى الموت مارس ذلك الحب سلوكاً، لا خطباً طنانة على المنابر فقط.. بهذا المقياس أرى كنفاني شهيداً نموذجياً بالمعنى العالمي والإنساني للكلمة ورسائله تجسد هذا النقاء الثوري البعيد عن «التبتل الاستعراضي» والفساد السري، ولعبة الرصانة الديكورية والأقنعة اللامقنعة..

* * *

الوفاء للعهد على نشر هذه الرسائل بعد خروجها من الخاص إلى العام بحيث صارت وثيقة أدبية. التأسيس لنوع أدبي منتشر في الدنيا بكثرة ويكاد يكون معدوماً عندنا هو أدب المراسلات غير الرسمية، مراسلات الاعتراف: اللون الناقص شبه المفقود في لوحة الأدب العربي. عشق الحقيقة. إحياء ذكرى غسان. الإعلان عن عاطفة نبيلة تزويرها يدعو إلى الخجل لا كشفها. تكريم الشهيد... أهذه وحدها تقف خلف رغبتي في نشر رسائل كنفاني؟.

ها أنا أستجوب نفسي في لحظة صدق واضبطها وهي تكاد تتستر على عامل نرجسي لا يستهان به: الفخر بحب رجل كهذا أهدى روحه لوطنه وأنشد لي يوماً ما معناه:

«مولاي وروحي في يده إن ضيعها سلمت يده»..

وأعتقد أن كل انثى تزهو (ولو سراً) بعاطفة تدغدغ كبرياءها الأنثوي.. وأنا بالتأكيد لا أستطيع تبرئة نفسي من ذلك جزئياً!.. ولكني في

الوقت ذاته أتساءل: إلى أي مدى تضيف رسائل غسان إلى صورته في الأذهان (أو تنقصها)؟.. وأجد بكل إخلاص أن هذه الرسائل تمنح صورته بعداً إنسانياً جميلاً أخاذاً يذكر بشخصية طالما أحبها غسان هي شخصية «الدكتور جيفاكو» التي أبدعها الأديب الروسي «باسترناك» وكان غسان يحبها كثيراً (قدر كرهي لشخصية حبيبته لارا في الرواية وكانت مستسلمة تركت قدرهما يدمرهما معاً بمعنى ما). ولعل غسان كان يعي ذلك حين طلب مني أن أعاهده على نشر تلك الرسائل ذات يوم بعيد كأنه البارحة. إنها وجهه الحقيقي أو أحد وجوهه الأصيلة.

* * *

نعم. كان ثمة رجل يدعى غسان كنفاني. وأعترف لذكراه أن فكرة إحراق الرسائل راودتني مراراً، وأنا أنشد مع الجوقة ضد المشي بين القبور هرباً من الثمن الذي يدفعه كل من يجرؤ على إقلاق راحة الرياء.. في ممالك الأقنعة واللاوفاء.

ولكن للرسالة سحراً أبيض لا أسود.. يتحول فيها المرء إلى رقعة ملساء نقية اسمها الورقة، وتخط الروح فوقها رموز الصدق..

الرسالة جموح القلب إلى المستحيل، وشهية الأشواق إلى تقمص اللغة حتى البقاء. والمظروف أحد أكفان لحظات الخلود الصغيرة، حين لا يخطر ببال المرء أنه سيتحول من رجل إلى طابع بريد!.. ومن عاشق إلى شهيد..

وإلى جانب النرجسية الصغيرة التي لا يخلو منها أحد (بعضنا يعترف وبعضنا يكابر)، ثمة شعور بالجميل أحمله نحو غسان الصديق وسبق لي أن عبرت عنه في حواري مع الدكتور غالي شكري - الذي صدَّر به كتاباً نقدياً له عني - منذ خمسة عشر عاماً.

وهو شعور بالجميل لا يزيده الزمن إلا تأججاً وسطوعاً.. ذات يوم، كنت وحيدة ومفلسة وطريدة، وحزينة، فشهر بعض (الأصدقاء) سكاكينهم بانتظار سقوط (النعجة) - على عادة الدنيا معنا... يومها وقف

كنفاني إلى جانبي وشهر صداقته.. كنت مكسورة بموت أبي، ومحكومة بالسجن لذنب أفخر به، ولكن غسان أنجدني بجواز سفر، ريثما صدر أوائل السبعينات عفو عام شملني..

* * *

نعم. كان ثمة رجل يُدعى غسان كنفاني. وهاأنذا أترككم مع رسائله، دون أن أنسى التعبير عن أسفي لاحتراق بعضها (بعض رسائل عام ١٩٦٨ ـ ١٩٦٩)[(١)] يوم احترق بيتي في بيروت خلال الحرب مطلع عام ١٩٧٦. ولو لم أكن قد احتفظت بهذه الرسائل في لندن ـ مصادفةً ـ لذهبت هي أيضاً طعمةً للنيران.. وكل ما أتمناه هو أن أرى رسائلنا كلها منشورة معاً كما حلمنا يوماً.. رسائلي ورسائله، حتى تلك التي احترقت!...

ولعلي كُنت حنثت بعهدي لغسان على نشر تلك الرسائل، لو لم أجد فيها وثيقة أدبية وسيرة ذاتية نادرة الصدق لمبدع عربي، مع الوطن المستحيل والحب المستحيل... وثيقة ثرية بأدب الاعتراف الذي تفتقر إليه مكتبتنا العربية. والرسائل بهذا المعنى تسدّ نقصاً سبقتنا الأمم الأخرى إلى العطاء في مجاله، وتؤسِّس لنوعٍ جميل من الأدب ما زلنا نتهيب أمام بحاره، ومَنْ أجدر من القلب العربيِّ الثري للخوض في لجته.

---

(١) ربما كان غسان كنفاني يحتفظ بمسودات عن رسائله إليّ. وبذلك يصير نشر بقية الرسائل ممكناً إذا تكرم أحدٌ بهذه البادرة الأدبية النبيلة.

رسالة غير مؤرخة - لا اذكر التاريخ!
لعلها اول رسالة سَطّرَها لي

غادة..

أعرف أن الكثيرين كتبوا لك، وأعرف أن الكلمات المكتوبة تخفي عادة حقيقة الأشياء خصوصاً إذا كانت تُعاش وتُحسّ وتُنزف على الصورة الكثيفة النادرة التي عشناها في الأسبوعين الماضيين.. ورغم ذلك، فحين أمسكت هذه الورقة لأكتب كنت أعرف أن شيئاً واحداً فقط استطيع أن اقوله وأنا أثق من صدقه وعمقه وكثافته وربما ملاصقته التي يخيل إلي الآن أنها كانت شيئاً محتوماً، وستظل، كالأقدار التي صنعتنا: إنني أحبك.

الآن أحسها عميقة أكثر من أي وقت مضى، وقبل لحظة واحدة فقط مررت بأقسى ما يمكن لرجل مثلي أن يمر فيه، وبدت لي تعاساتي كلها مجرد معبر مزيف لهذه التعاسة التي ذقتها في لحظة كبريق النصل في اللحم الكفيف.. الآن أحسها، هذه الكلمة التي وسخوها، كما قلتِ لي والتي شعرت بأن علي أن أبذل كل ما في طاقة الرجل أن يبذل كي لا أوسخها بدوري.

إنني أحبك: أحسها الآن والألم الذي تكرهينه - ليس أقل ولا أكثر مما أمقته أنا - ينخر كل عظامي ويزحف في مفاصلي مثل دبيب الموت. أحسها الآن والشمس تشرق وراء التلة الجرداء مقابل الستارة التي تقطّع افق شرفتك إلى شرائح متطاولة.. أحسها وانا أتذكر انني أيضاً لم أنم ليلة أمس، وأنني فوجئت وأنا أنتظر الشروق على شرفة بيتي أنني - أنا الذي قاومت الدموع ذات يوم وزجرتها حين كنت أجلد -

أبكي بحرقة. بمرارة لم أعرفها حتى أيام الجوع الحقيقي، بملوحة البحار كلها وبغربة كل الموتى الذين لا يستطيعون فعل أيما شيء.. وتساءلت: أكان نشيجاً هذا الذي أسمعه أم سلخ السياط وهي تهوي من الداخل؟

لا. أنت تعرفين أنني رجل لا أنسى وأنا أعْرَف منك بالجحيم الذي يطوق حياتي من كل جانب، وبالجنة التي لا أستطيع أن أكرهها، وبالحريق الذي يشتعل في عروقي، وبالصخرة التي كتب عليّ أن أجرّها وتجرني إلى حيث لا يدري أحد.. وأنا أعرف منك أيضاً بأنها حياتي أنا، وأنها تنسرب من بين أصابعي أنا، وبأن حبك يستحق أن يعيش الإنسان له، وهو جزيرة لا يستطيع المنفيّ في موج المحيط الشاسع أن يمر بها دون أن... ورغم ذلك فأنا أعرف منك أيضاً بأنني أحبك إلى حد أستطيع أن أغيب فيه، بالصورة التي تشاءين، إذا كنت تعتقدين أن هذا الغياب سيجعلك أكثر سعادة، وبأنه سيغير شيئاً من حقيقة الأشياء.

أهذا ما أردت أن أقوله لك حين أمسكت الورقة؟ لست أدري.. ولكن صدقيني يا غادة أنني تعذبت خلال الأيام الماضية عذاباً أشك في أن أحداً يستطيع احتماله، كنت أجلد من الخارج ومن الداخل دونما رحمة وبدت لي حياتي كلها تافهة، واستعجالاً لا مبرر له، وأن الله إنما وضعني بالمصادفة في المكان الخطأ لأنه فشل في أن يجعل عذابه الطويل الممض وغير العادل لهذا الجسد، الذي أحتقر فيه قدرته غير البشرية على الصلابة، ينحني ويموت..

إن قصتنا لا تكتب، وسأحتقر نفسي لو حاولت ذات يوم أن أفعل، لقد كان شهراً كالإعصار الذي لا يُفهم، كالمطر، كالنار، كالأرض المحروثة التي أعبدها إلى حد الجنون وكنت فخوراً بك إلى حد لمت نفسي ذات ليلة حين قلت بيني وبين ذاتي أنك درعي في وجه الناس والأشياء وضعفي، وكنت أعرف في أعماقي أنني لا أستحقك ليس لأنني لا أستطيع أن أعطيك حبات عينيّ ولكن لأنني لن أستطيع الاحتفاظ بك إلى الأبد.

وكان هذا فقط ما يعذبني.. إنني أعرفك إنسانة رائعة، وذات عقل لا يصدق وبوسعك أن تعرفي ما أقصد: لا يا غادة لم تكن الغـيرة من الآخرين.. كنت أحسك أكبر منهم بما لا يقاس، ولم أكن أخشى منهم أن يأخذوا منك قلامة ظفرك. لا يا غادة، لم يكن الادعاء والتمثيل والزيف فذلك الشيء الوحيد الذي لا أستطيع أبداً إتقانه ولو أتقنته لما كنت الآن في قاع العالم.. لا يا غادة.. لم يكن إلا ذلك الشعور الكئيب الذي لم يكن ليغادرني، مثل ذبابة أطبق عليها صدري، بأنك لا محالة ستقولين ذات يوم ما قلتِه هذه الليلة.

إن الشروق يذهلني، رغم الستارة التي تحوله إلى شرائح وتذكرني بألوف الحواجز التي تجعل من المستقبل - أمامي - مجرد شرائـح.. وأشعر بصفاء لا مثيل له مثل صفاء النهاية ورغم ذلك فأنا أريد أن أظل معك، لا أريد أن تغيب عني عيناك اللتان أعطتـاني ما عجـز كل شيء انتزعته في هذا العالم من إعطائي. ببساطة لأني أحبك. وأحبك كثيراً يا غادة، وسيُدَمَر الكثير مني إن افقدك، وأنا أعرف أن غبار الأيام سيترسب على الجرح ولكنني أعرف بنفس المقدار أنه سيكون مثل جروح جسدي: تلتهب كلما هبت عليها الريح.

أنا لا أريد منك شيئاً وحين تتحدثين عن توزيع الانتصارات يتبادر إلى ذهني أن كل انتصارات العالم إنما وزِعَت من فوق جثث رجال ماتوا في سبيلها.

أنا لا أريد منك شيئاً، ولا أريد - بنفس المقدار - أبداً أبداً أن أفقدك.

إن المسافة التي ستسافرينها لن تحجبك عني، لقد بنينا أشياء كثيرة معاً لا يمكن، بعد، أن تغيّبها المسافات ولا أن تهدمها القطيعة لأنها بنيت على أساس من الصدق لا يتطرق إليه التزعزع.

ولا أريد أن أفقد «الناس» الذين لا يستحقون أن يكونوا وقود هذا الصدام المروّع مع الحقائق التي نعيشها.

.. ولكن إذا كان هذا ما تريدينه فقولي لي أن أغيب أنا. ظلي هنا أنت فأنا الذي تعودت أن أحمل حقيبتي الصغيرة وأمضي..

ولكنني هذه المرة سأمضي وأنا أعرف أنني أحبك، وسأظل أنزف كلما هبت الريح على الأشياء العزيزة التي بنيناها معاً..

غسان

هادي ..

أعرف أن الكثيرين كتبوا لك ، وأعرف أن الكلمات المكتوبة تكفي عادة حقيقة الأشياء مضموناً إذا كانت تعاش وتحس وتنزف مع الصورة الكثيفة النادرة التي عشناها في سنوات حياتنا .. ورغم ذلك ، فإنني أمسكت هذه الورقة لأكتب مشاعري ، كنت أعرف أن شيئاً "واحداً" فقط يستطيع أن أقوله وأنا أخرج من صدقه وعمقه وكثافته وربما سذاجته التي تخلي إلى الآن أنه كانت شيئاً "محتوماً" ، ومستقلاً ، كالأقدار التي صنعتنا : إنني أحبك ..

إنني أحبك حقيقة أكثر من أي وقت مضى ، وقبل لحظة واحدة فقط مرت بقسوة ما يلي لرجل مثلي أن يمر فيه ، وبعد بقاسات كلك أجرد محبر نزف هذه الملامسة التي ذقتها من لحظة كبرى النضل في الحلم الكثيف .. الآن أحس ، هذه الكلمة التي رسمتها ، تعانقني والتي شعرت بأن علي أن أبذل كل ما في طاقة الرجل المحب كي لا أرسمك بدوري ..

إنني أحبك .. أحبك الآن ، والآن الذي تزهينه ، ليس أقل ولا أكثر مما أحتمله ، يتحرك في عظامي ويزحف في مفاصلي مثل دبيب الموت ، وأحس بأنه والشمس تشرقه وراء لحظة الحرية مقابل لساحة التي تنطح أمواج شرفته إلى شرائح متطاولة ، أحس وأنا أتذكر أنني أضيء ثم دائم لحظة أمس ، وإنني متوهجة ، وأنا أنتظر الشروق على شرفة بيتي في ... الذي قاومت المصير ذات يوم ونهشته حين كنت أجلس في الجبل بحرقة ، بصلابة ثم أعرفني هي أيام الجوع الحقيقي ، محمومة التي كلها وتجربة كل الموت الذين لا يستطيعون فعل أي شيء .. وتساءلت : ألا نلتقي "هذا الذي أسمعه أم ..."

البسيط وهي تهوي من الداخل ؟

لا .. انت تعرفين انني رجل لا انسى .. وانا أعرف مثلك بالجحيم الذي طوق حياتي من كل جانب ، وبالجنة التي لا استطيع ان ادخلها ، وبالحرمان الذي يشتعل في عروقي ، وبالصخرة التي كتب علي ان احملها وتركت الحب لايدي احد .. وانا أعرف مثلك ايضاً بانك حياتي انا ، وانك تتسرب من بين اصابعي انا ، وبانك حب يستحيل ان يعيش الانسان له ، وهو جزيرة لا يستطيع المنفي في موج محيط اليأس ان يمر بعيداً دونه أنا ... ورغم ذلك فانا اعرف مثلك ايضاً بانني احبك الى حد استطيع ان اغيب فيه ، بالصورة التي تشائين ، اذا كنت تعتقدين ان هذا الغياب سيجعلك اكثر سعادة ، وبانه سيغير شيئاً من حقيقة الاشياء .

الهذا ما اردت ان اقوله لك حين امسكت الورقة ؟ لست ادري .. ولكن صدقيني يا غادة انني تعذبت خلال الايام الماضية عذاباً اشك في ان احداً يستطيع احتماله ، كنت أجلد من الخارج ومن الداخل دونما رحمة وبدت لي حياتي كلها تافهة ، واستحالاً لا مبرر له ، وان الله انما وضعني بالمصادفة في المكان الخطأ لانه فشل في ان يجعل عذابه الطويل المحض وغير العادل لهذا الجسد الذي احتقر فيه قدرته غير البشرية على الصلابة ، يخنق ويموت ..

ان قصتنا لا تكتب ، وسأحتقر نفسي لو حاولت

ذات يوم أن أفعل ، لقد كان شيئاً كالإعصار الذي لا
يفهم ، كالمطر ، كالنار ، كالأرض المحروثة التي أعبدها
إلى حد الجنون وكنت فخوراً بك إلى حد لمت نفسي ذات ليلة
حين قلت بيني وبين ذاتي إنك درعي في وجه الناس والأشياء
وضعفي ، وكنت أعرف في أعماقي أنني لا أستحقك ليس لأنني
لا أستطيع أن أعطيك حبات عيني ، ولكن لأنني لن أستطيع
الاحتفاظ بك إلى الأبد

وكان هذا فقط ما يعذبني .. إنني أعرفك إنسانة رائعة ،
وذات عقل لا يحده وسع أن تعرفي ما أقصد : لا يا غادة
لم تكن الغيرة من الآخرين .. كنت أحسد أكبر منهم بما لا يقاس ،
ولم أكن أخشى منهم أن يأخذوا منك قلامة ظفرك . لا يا غادة ،
لم تكن الوعاد والتمثيل والزيف فذلك شيء الوحيد الذي لن
أستطيع أبداً اتقانه ولو اتقنته لما كنت الآن في قاع العالم ..
لا يا غادة .. لم تكن إلا ذلك الشعور الكئيب الذي لم تكن لتعاركي ،
مثل ذبابة ، طنين على صدري ، بأنك لا محالة ستقولين ذات
يوم ما قلته هذه الليلة .

إن الشرود يذهلني ، رغم الستارة التي تحوله إلى
شرائح وتذكرني بالوقف الحواجز التي تجعل من المستقبل أمامي -
مجرد شرائح .. وأشعر بصفاء لا مثيل له مثل صفاء الرؤية
ورغم ذلك فأنا أريد أن أظل معك . لا أريد أن تغيب عني
عيناك اللتان أعطتاني ما عجز كل شيء انتزعته في هذا
العالم من إعطائي . ببساطة لأنني أحبك . وأحبك كثيراً يا

عادة .. وسيدمر الكثير مني ان افتقدك ، وانا اعرف ان
غبار الايام سيترسب على الجرح ولكنني اعرف بنفس المقدار
انه سيكون مثل جروح جسدي : تلتهب كلما هبت عليه
الريح .

انا لا اريد منك شيئاً وحين تتحدثين عن توزيع الانتصارات
يتبادر الى ذهني ان كل انتصارات العالم انما وزعت فوق جثث
رجال ماتوا في سبيلها .

انا لا اريد منك شيئاً ، ولا اريد بنفس المقدار
ابداً ابداً ان افقدك .

ان المسافة التي ستأخذينها لن تحجبك عني ، لقد
بنينا اشياء كثيرة معاً لا يمكن ، بعد ، ان تخبئها السنوات
ولا ان تهدمها القطيعة لانها بنيت على اساس من الصدق
لا يتطرق اليه التزعزع .

ولا اريد ان افقد "الناس" الذين لا يستحقون ان يكونوا
وقود هذا الصدام المروع مع العواطف التي نحسها .

.. ولكن اذا كان هذا ما تريدينه فقولي لي ان
اغيب انا .. ظلي هنا انت فأنا الذي يقدر ان احمل
حقيبتي الصغيرة وامضي ..

ولكنني هذه المرة سأمضي وانا اعرف انني احمله ،
وسأظل انزف كلما هبت الريح من اشياء العزيزة التي
بنيناها معاً ..

HOTEL SCARABÉE

16 Rue 26 Juillet — Le Caire

Ad. Tel. "Scarabotel - Cairo"

Tel. 73791 — 44298 — 44316

R.C. 103694

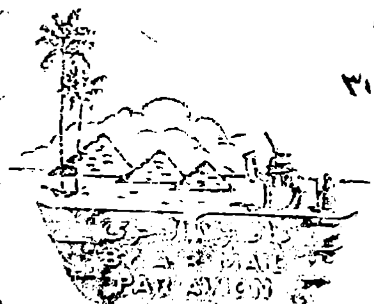
الآنسة غادة السمان

عمارة لحة - رقم ٣١

قرب اوتيل كنغز

الروشة

بيروت



رسالة غير مؤرخة، ولكن سياق الكلام فيها يدل على أنها كتبت في القاهرة أواخر تشرين الثاني (نوفمبر) وقبل ١٩٦٦/١١/٢٩ بيوم او اثنين.

عزيزتي غادة..

مرهق إلى أقصى حد: ولكنك أمامي، هذه الصورة الرائعة التي تذكرني بأشياء كثيرة عيناك وشفتاك وملامح التحفز التي تعمل في بدني مثلما تعمل ضربة على عظم الساق، حين يبدأ الألم في التراجع. سعادة الألم التي لا نظير لها. أفتقدك يا جهنم، يا سماء، يا بحر. أفتقدك إلى حد الجنون. إلى حد أضع صورتك أمام عيني وأنا أحبس نفسي هنا كي أراك.

ما زلت أنفض عن بذلتي رذاذ الصوف الأصفر الداكن. وأمس رأيت كرات صغيرة منها على كتفي فتركتها هناك. لها طعم نادر كالبهار.. أنها تبتعث الدموع إلى عيني أيتها الشقية. الدموع وأنا أعرف أنني لا أستحقك: فحين أغلقت الباب وتركتني أمضي عرفت، عرفت كثيراً أية سعادة أفتقد إذ لا أكون معك. لقد تبقت كرات صغيرة من الصوف الأصفر على بذلتي، تتشبث بي مثلما أنا بك، وسافرت بها إلى هنا مثلما يفعل أي عاشق صغير قادم من الريف لأول مرة.

لن أنسى. كلا. فأنا ببساطة أقول لك: لم أعرف أحداً في حياتي مثلك، أبداً أبداً. لم أقترب من احد كما اقتربت منك أبداً أبداً ولذلك لن أنساك، لا... إنك شيء نادر في حياتي. بدأت معك ويبدو لي أنني سأنتهي معك.

سأكتب لك أطول واكثر.. لقد أجلوا المؤتمر إلى ٣٠ ولكنهم سيسفروننا غداً، الأحد إلى غزة كي نشترك بمأتم التقسيم. يا للهول.

ويبدو أنه لن يكون بوسعي أن أعود للقاهرة قبل الرابع. وسأكون في بيروت يوم ٦ كانون الأول على أبعد تعديل.. إلا إذا فررت من المؤتمر وأتيتك عدْواً..

حين قرأ أحمد بهاء الدين حديثك لي خطفه[١]، بل أجبرني على التعاقد معه لأكتب له مواضيع مماثلة... قال لي وهو يهز رأسه: أخيراً أيها العفريت وجدت من يُسكت شراستك. سينشر الموضوع في «المصوّر»[٢] التي علمت أنها توزع في كل البلاد العربية أعداداً هائلة وتحوز على ثقة الناس واحترامهم.. ولكنني بالطبع لا أعرف متى..

وزعت كتبك[٣]. تحدثت عنك كثيراً. فكرت بك. بك وحدك.. وأنت لا تصدقين.. وأنت (حين أعذب نفسي في المساء) موجودة في الماي فير[٤] مع الناس والهواتف والضحك..

حاولي أن تكتبي لي: فندق سكارابيه شارع ٢٦ يوليو. القاهرة فسيكون أحلى ما يمكن أن يلقاني حين عودتي رسالة منك لأنني أعرف أنك لن تأتين..

آه.. يا عزيزة!

غسان كنفاني

---

(١) حوار صحافي.

(٢) مجلة **المصور** المصرية وكان يرئس تحريرها يومئذ أحمد بهاء الدين.

(٣) نسخ من كتاب **ليل الغرباء** حملها معه إلى القاهرة وكان الكتاب قد صدر قبلها بأشهر.

(٤) مقهى في بيروت - الروشة يجاور بيتي يومئذ كان يحلو لي الجلوس فيه أحياناً مع الأصدقاء.

عزيزتي غادة ..

وهو الى اقصى حد : ولكنه امامي . هذه الصورة الرائعة التي تذكرني بأشياء كثيرة عيناك وشفتاك ومدارج التحفز التي تحمل في بدنك شمًا تحمل شرقية مع عظم الساقه ، حين يبدأ الألم في التراجع . سعادة الألم التي لا نظير لها . افتقدك في صمتهم ، في أسمائهم ، في بكرهم . افتقدك الى حد الجنون . الى حد اضع صورتك امام عيني وانا احبس نفسي هنا كي اراك .

ما زلت انفض عن بذلتي رذاذ الصوف الاصفر الداكن . وامس رأيت كرات صغيرة منه على كتفي فتركتها هناك . لها طعم نادر كالذهب .. انها تستحث الدموع الى عيني ارادت ام ابت مشفقة . الدموع ؟ وانا اعرف انني لم استحقك ، فحين اغلقت الباب وتركتني امضي عرفته ، عرفت كثيرا اية سعادة افتقدها اذ لا اكون معك . لقد تبقت كرات صغيرة من الصوف الابيض على بذلتي ، تشبثت بي مثلما انا بك ، وسافرت معي الى هنا مثلما يفعل اي عاشق صغير قادم من الريف [illegible] .

لن انسى . كلا . انا ببساطة اقول لك : لم اعرف امرأة في حياتي مثلك ، ابدا ابدا . لم اقترب من احد كما اقتربت منك ابدا ابدا ولذلك لن انساك ، لا ... انك شيء نادر في حياتي . بداية حقيقية ويبدو لي انني سأنتهي معك .

سألتني عن الحول واقول .. يبدو انه ارجأ المؤتمر الى حين ولكنهم سيسفروننا غدا ، الاحد ، الى غزة كي نشترك بما تم التنسيق ، ربما للحول . ويبدو انه تم تأجيله وسمعي انه اخوذ تقاشرة بين ارابع . وسأكون في بيروت يوم ٦ كانون اول مع احد مقدمي .. الا اذا تقررت عدة المؤتمر واتيتك عفوا ..

حين ترأى احد مكتوبي هذه بعثته لي خطفه ، بل اخبرني عن التقاعد معه وكتبت له مواضيع بائخة ... تأتي ، وصعدت من رأسي : اقرأ امرأة الحقيقة وجدت من تكتب شراستك . سنشر الموضوع في "المصور" التي علمت انها توزع في كل البلاد العربية اعدادا هائلة وتوزع مع شتى الناس وامزاجهم .. ولكنني بالطبع لا اعرف متى ..

وزعت كتبك . تحدثت عنك كثيرا . فكرت بك . بك وحدك .. وانت لن تصدقيني .. وانت (حين اعذب نفسي في بيروت) موجودة في المائي فيه مع الناس والطرقات والقمر ..

حاولي ان تكتبي لي : عنوانه سكاليبه شارع [illegible] ٢٦ يوليو . القاهرة سيكون اسعد ما يمكن ان يحدث لي منذ عودتي رسالة منك لانني اعرف [illegible] [illegible] انه سأتيه ..

آه .. يا عزيزة !

غسان

كازينو الأندلس - غزة
ANDALUS CASINO
- GAZA

فندق الأندلس - غزة
EL - ANDALUS HOTEL
- GAZA

فندق قصر البحر - غزة
SEA PALACE HOTEL
- GAZA
Tel 653 ت ٦٠٣

كازينو هويدي - غزة
HAWAIDI CASINO
- GAZA
Tel 352 ت: ٣٥٢

غزة في ٢٩/ ١١/ ١٩٦٦ Gaza

غادة

كل هذه العناوين المسجلة فوق، على ضخامتها، ليست إلا أربع طاولات على شاطىء البحر الحزين، وأنا، وأنت، في هذه القارورة الباردة من العزلة والضجر. إنه الصباح، وليلة أمس لم أنم فقد كان الصداع يتسلق الوسادة كجيوش مهزومة من النمل، وعلى مائدة الفطور تساءلت: هل صحيح أنهم كلهم تافهون أم أن غيابك فقط هو الذي يجعلهم يبدون هكذا؟ ثم جئنا جميعاً إلى هنا: أسماء كبيرة وصغيرة، ولكنني تركت مقعدي بينهم وجئت أكتب في ناحية، ومن مكاني أستطيع أن أرى مقعدي الفارغ في مكانه المناسب، موجوداً بينهم أكثر مما كنت أنا.

إنني معروف هنا، وأكاد أقول «محبوب»، أكثر مما كنت أتوقع، أكثر بكثير. وهذا شيء، في العادة، يذلني، لأنني أعرف بأنه لن يتاح لي الوقت لأكون عند حسن ظن الناس، وأنني في كل الحالات سأعجز في أن أكون مثلما يتوقعون مني. طوال النهار والليل أستقبلُ الناس، وفي

الدكاكين يكاد البعة يعطونني ما أريد مجاناً وفي كل مكان أذهب إليه أستقبل بحرارة تزيد شعوري ببرودة أطـرافي ورأسي وقصر رحلتي إلى هؤلاء الناس وإلى نفسي. إنني أشعر أكثر من أي وقت مضى أن كل قيمة كلماتي كانت في أنها تعويض صفيق وتافه لغياب السلاح وأنها تنحدر الآن أمام شروق الرجال الحقيقيين الذين يموتون كل يوم في سبيل شيء أحترمه، وذلك كله يشعرني بغربة تشبه الموت وبسعادة المحتضر بعـد طول إيمان وعذاب، ولكن أيضاً بذل من طراز صاعق.

ولكنني متأكد من شيء واحد على الأقل، هو قيمتك عندي.. أنا لم أفقد صوابي بك بعد، ولذلك فـأنا الـذي أعرف كم أنت أذكى وأنبـل وأجمل. لقد كنتِ في بدني طوال الوقت، في شفتي، في عيني وفي رأسي. كنتِ عذابي وشوقي والشيء الرائع الـذي يتذكـره الإنسان كي يعيش ويعود.. إن لي قدرة لم أعرف مثلها في حياتي على تصورك ورؤيتك.. وحين أرى منظراً أو أسمع كلمة وأعلق عليها بيني وبين نفسي أسمـع جوابك في أذني، كأنك واقفة إلى جواري ويدك في يدي. أحياناً أسمعك تضحكين، وأحياناً أسمعك ترفضين رأيي وأحياناً تسبقينني إلى التعليق، وأنظر إلى عيون الواقفين أمامي لأرى إن كانوا قد لمحوك معي، أتعاون معك على مواجهة كل شيء وأضع معك نصل الصدق الجارح على رقابهم. إنني أحبك أيتها الشقية كما لم أعرف الحب في حياتي، ولست أذكر في حياتي سعادة توازي تلك التي غسلتني من غبار وصدأ ثلاثين سنة ليلة تركت بيروت إلى هنا.

أرجوك.. دعيني معك. دعيني أراك. إنك تعنين بالنسبة لي أكثر بكثير مما أعني لك وأنا أعرف ولكن ما العمل؟ إنني أعرف أن العـالم ضدنا معاً ولكنني أعرف أنه ضدنا بصورة متساوية، فلماذا لا نقف معاً في وجهه؟ كفّي عن تعذيبي فلا أنا ولا أنت نستحق أن نسحق على هذه الصورة. أما أنا فقد أذلني الهروب بما فيه الكفاية ولست أريد ولا أقبل الهروب بعد. سأظل، ولو وُضع أطلس الكون على كتفيّ، وراءك ومعك.

ولن يستطيع شيء في العالم أن يجعلني أفقدك فقد فقدت قبلك، وسأفقد بعدك، كل شيء.

«إنني لا أستطيع أن أكرهك ولذلك فأنا أطلب حبك»[1].. أعطيك العالم إن أعطيتني منه قبولك بي.. فأنا، أيتها الشقية، أعرف أنني أحبك وأعرف أنني إذا فقدتك فقدت أثمن ما لديّ، وإلى الأبد..

سأكتب لك وأنا أعرف أنني قد أصل قبل رسالتي القادمة، فسأغادر القاهرة يوم ٥ كانون وتأكدي: لا شيء يشوقني غيرك.

غسان كنفاني

(١) هذه العبارة هي استشهاد لغسان من إحدى رسائله الوجدانية لي المنشورة في زاوية «أوراق خاصة» في جريدة المحرر، وغير المنشورة بعد في «الأعمال الكاملة لغسان كنفاني». وكان غسان يحمل لي مسودات رسائله إليّ التي ينشرها وذلك بعد أن تقوم المطبعة بصفها، وقد احتفظت بتذكارات منها بخطه، لكنني لم أنشرها في هذا الكتاب، إذ من المفروض أن تصدر في مجلد خاص بها في «الأعمال الكاملة لغسان كنفاني» ما دام قد اختار أن ينشرها بنفسه في الصحف خلال حياته.

كازينـــو الاندلس - غزة
ANDALUS CASINO - GAZA
فندق قصر البحر - غزة
SEA PALACE HOTEL - GAZA
Tel 653 ت ٦٥٣

فندق الاندلس - غزة
EL-ANDALUS HOTEL - GAZA
كازينو هويدي - غزة
HAWAIDI CASINO - GAZA
Tel · 352 ت: ٣٥٢

Gaza غزة في ٢٩/١١/١٩٦٦

غادة

في هذه اللحظة من شرفة صغيرة، في فندق متروك، ليست إلا أربع طاولات على
شاطئ البحر الحزين، وأنا، وأنت، في هذه القارورة الباردة من العزلة والضجر. منذ الصباح، وللمرة
الأولى منذ ... فقد كان الصباح يتخلله ... كغيوم محروقة من الأفق، وعلى مائدة الفطور تساءلت:
هل صحيح أنهم كلهم تأخروا؟ أم أن غيابك فقط هو الذي يجعلهم يبدون هكذا؟ ثم جئنا جميعاً إلى
هنا: أشياء كبيرة وصغيرة، ولكنني تركت مقعدي بينهم وجئت أكتب في زاوية، ومن مكاني أستطيع
أن أرى مقعدي الفارغ في مكانه بينهم، موجوداً بينهم أكثر مما كنت أنا

إنني مخنوق هنا، ولكن أقول: "صحيح" أكثر مما كنت أتوقع، أكثر بكثير. وهذا
شيء من العادة، يقلقني لأنني أعرف أنه لن يتاح لي الوقت لكي أعود في ظن الناس، وإنني
في كل لحظة ... أجزاء من نفسي ... يتوقعون مني ... طوال الأيام، واللحظة أستقبل الناس، وفي كل ...
يقلد الساعة يعطونني ... وفي كل مكان أذهب إليه أستقبل بجراءة تزيد شعوري بضرورة
الانطواء ... وقصر ... حتى الهواء والناس وإلى نفسي. إنني أشعر أكثر من أي وقت مضى أن كل ... تميمة
كالتي كانت في ... تعويض صغير وتافه للغياب، السلام وإنني ... أمام شروحه
الرجال الحقيقيين الذين يموتون كل يوم في سبيل شيء احترمه، ولذلك كله شعرت بغربة تشبه الموت وسعادة
المحتضر بعد طول انتظار وعذاب، ولكنه أيضاً بذلك من طراز ضائع.

ولكنني متأكد من شيء واحد على الأقل، هو قيمتك عندي.. لقد انتزعت صوابي بعد
... فأنا الذي أعرف كم أنت ذكية وأنيقة وأجمل. لقد كنت في بدني طوال الوقت، في شفتي
في عيني وفي رأسي، كنت عذابي وشوقي والشيء الرائع الذي يتذكر الإنسان كي يعيش ويعود. إنه

في قدرة لم أعرف مثلها في حياتي على حضورك ورؤيتك .. وحين أرى منظراً أو أسمع كلمة وأعلقه بيني وبين نفسي أسمع جوابك في أذني، كأنك واقفة إلى جواري ويدك في يدي. أحياناً أسمعك تضحكين، وأحياناً أسمعك ترفضين رأيي وأحياناً تسبقينني إلى التعليق، وأنظر إلى عيون الواقفين أمامي لأرى إن كانوا قد أحسوك معي، أتساءل معك عن مواجهة كل شيء وأضع معك فصل الصدق الجارح عن رقابهم. إنني أحبك أيتها الشقية كما لم أعرف الحب في حياتي، ولست أذكر في حياتي سعادة توازي تلك التي غمرتني حين عبرنا وحدنا ثلاثين سنة ليلة تركتُ بيروت إلى [illegible]

أحبك .. وحيني معك. وحيني إليك. إنك تعنين بالنسبة لي أكثر مما أعني لك، وأنا أعرف ولكن ما الحيلة؟ إني أعرف أن العالم ضدنا معاً ولكنني أعرف أنه ضدنا بصورة متساوية، فلماذا لا نقف معاً في وجهه؟ كفي عن تعذيبي فلا أنا ولا أنت نستحق أن نسحق على هذه الصورة. أما أنا فقد أذلني الهروب من قبل الأشياء ولست أريد ولا أقبل الهروب بعد. سأظل، ولو وضع الناس الكون عن كتفيّ، وراءك ومعك. ولن يستطيع شيء في العالم أن يجعلني أفقدك فقد فقدت قبلك، وسأفقد بعدك، كل شيء.

«إنني لا أستطيع أن أكرهك ولذلك فأنا أطلب حبك» .. أعطيك العالم إن أعطيتني منك قبولك لي .. فأنا، أيتها الشقية، أعرف أنني أحبك وأعرف أنني إذا فقدتك فقدت أغلى ما لدي، وإلى الأبد ..

سأكتب لك وأنا أعرف أنني قد أصل قبل رسالتي القادمة. سأغادر القاهرة يوم ٥ كانون

وتأكدي: لا شيء يشوقني غيرك.

غسان

١٩٦٧/١/٢٠

عزيزتي غادة

صباح الخير..

ماذا تريدين أن أقول لك؟ الآن وصلت إلى المكتب، الساعة الثانية ظهراً، لم أنم أبداً حتى مثل هذه الساعة إلا أمس ودخلت مثلما أدخل كل صباح: استرق النظر إلى أكوام الرسائل والجرائد والطرود على الطاولة كأنني لا أريد أن تلحظ الأشياء لهفتي وخيبتي. اليوم فقط كنت متيقناً أنني لن أجد رسالة منك، طوال الأيام الـ ١٧ الماضية كنت أنقب في كوم البريد مرة في الصباح ومرة في المساء. اليوم فقط نفضت يدي من الأمر كله، ولكن الأقدار تعرف كيف تواصل مزاحها. لقد كانت رسالتك فوق الكوم كله، وقالت لي: صباح الخير! أقول لك: دمعتُ.

منذ سافرتِ سافرت أني، وإلى الآن ما تزال في دمشق وأنا وحدي سعيد أحياناً، غريب أحياناً وأكتب دائماً كل شيء إلا ما له قيمة.. حين كنتِ على المطار كنت أعرف أن شيئاً رهيباً سيحدث بعد ساعات: غيابك وتركي للمحرر[١]، ولكنني لم أقل لك. كنتِ سعيدة ومستثارة بصورة لا مثيل لها وحين تركتك ذهبت إلى البيت وقلت للمحرر أن كل شيء قد انتهى.

إنني أقول لك كل شيء لأنني أفتقدك. لأنني أكثر من ذلك «تعبتُ من الوقوف»[٢] بدونك.. ورغم ذلك فقد كان يخيل إلي ذات يوم إنك

---

(١) جريدة المحرر البيروتية، حيث كان غسان يعمل.

(٢) استشهاد من زاويته «اوراق خاصة». راجع هامش ص ٢٩ من هذا الكتاب.

ستكونين بعيدة حقاً حين تسافرين.

ولقد آلمتني رسالتك. ضننتِ عليّ بكلمة حارة واحدة واستطعت أن تظلي أسبوعاً أو أكثر دون أن أخطر على بالك. يا للخيبة! ورغم ذلك فها أنا أكتب لك: مع عاطف[١] شربنا نخبك تلك الليلة في الماي فير[٢]، وتحدثنا عنك وأكلنا التسقية[٣] بصمت فيما كان صاحب المطعم ينظر إلينا نظرته إلى شخصين أضاعا شيئاً.

متى سترجعين؟ متى ستكتبين لي حقاً؟ متى ستشعرين أنني أستحقك؟ إنني انتظرت، وأنتظر، وأظل أقول لك: خذيني تحت عينيك..

غسان

---

(١) عاطف السمرا: صديق حميم من أصدقائي وغسان.

(٢) مقهى في الروشة.

(٣) فتة الحمص وكنا نذهب آخر الليل للعشاء في مطعم شعبي يعدها في (الطريق الجديدة) قرب المقاصد، حتى صار صاحب المطعم يتوقع حضورنا كل ليلة مع الأصدقاء، ويعاتبنا إذا غبنا!.

عزيزتي غادة

صباح الخير ..

ماذا تريدين ان اقول لك ؟ الآن وصلت الى المكتب ، الساعة الثانية ظهراً ، لم آت ابداً
حتى مثل هذه الساعة الا امس ورفضت مثلما ارفض كل صباح : استروح النظر الى اكوام الرسائل والجرائد
والقرود على الطاولة كأنني لا اريد ان تسقط من يدي لهفتي وخيبتي . اليوم فقط كنت اشتهيتك ان
لن اجد رسالة منك ، طوال الايام الـ ١٧ الماضية كنت انقب في كوم البريد مرة في الصباح ومرة في
المساء . اليوم فقط نفضت يدي من الامر كله ، وكانت الاقدار تعرف كيف تواصل حزاني ؟ . ثم
كانت رسالتك فوق الكوم كله ، وقالت لي : صباح الخير ! اقول لك : وصلت .
منذ سافرت سافرت انت ، وان الآن ماتزال في دمشق وانا وحدي ... سعيد احياناً
غريب احياناً واكتب والا كل شيء الا ما انه تلية .. حين كنت مع العطاء كنت اعرف ان املك
وجعياً سعيدت بعد ساعات ، غيابك وتركك البحر ، وكان لم اقولك . كنت سعيدة و...
وسيتشارة عبوسة لا تحيك دعا وحين تركتني ذهبت الى الدرب وتركت للبحر ان كل شيء
انتهى .

انني اقول لك كل شيء لانني افتقدك . ولانني اكره هذه الرتابة التي تكونين بدونها .. ورغم ذلك فقد كان
يكفيني ان اثق انه سيكون [illegible] تماماً بين مسافرين .

ونقد [illegible] رسالتك . [illegible] على جملة عابرة واحدة [illegible] ان تكتبي اسبوعاً او آخر
دون ان [illegible] يا طيبة ! ورغم ذلك فانا اكتب لك : [illegible]
[illegible] الطعام [illegible] الينا نظرته الى
شخصين اضاعا شيئاً .

متى ستدرسين ؟ متى ستكتبين لي حقاً ؟ متى ستشعرين اني استحقه ؟ انني
انتظرت ، وانتظر ، واظل اقول لك : خذيني تحت عينيك ..

٢٠/١/١٩٦٧

[illegible]

١٩٦٧/١/٢٤

غادة.. يا حياتي!

كيف تقولين لي: «لا ألومك، لك الحق... في الدفاع عن توقيتك لرحلة صيد انتهت؟» كيف تفكرين لحظة واحدة بأن هذا التعيس الذي ينتظرك كما ينتظر وطناً ضائعاً يفعل ذلك؟ كيف تعتقدين أن ذلك الرجل الذي سلخت الشوارع قدميه، كالمجنون الطريد، ينسى أو يوقّت أو يدافع عن نفسه أو يهاجم؟ ولكنني أغفر لك، مثلما فعلت وأفعل وسأظل أفعل. أغفر لك لأنك عندي أكثر من أنا وأكثر من أي شيء آخر،لأنني ببساطة «أريدك وأحبك ولا أستطيع تعويضك»[1]، لأنني أبكي كطفل حين تقولين ذلك، وأحس بدموعي تمطر في أحشائي، وأعرف أنني أخيراً مطوق بك، بالدفء والشوق وأنني بدونك لا أستحق نفسي!.

أنت، بعد، لا تريدين أخذي، تخافين مني أو من نفسك أو من الناس أو من المستقبل لست أدري ولا يعنيني. ما يعنيني أنك لا تريدين أخذي، وأن أصابعك قريبة مني، تحوطني من كل جانب، كأصابع طفل صغير حول نحلة ملونة: تريدها وتخشاها ولا تطلقها ولا تمسكها ولكنها تنبض معها.. أعرف أعرف حتى الجنون قيمتك عندي، أعرفها أكثر وأنت غائبة وأمس رأيت عمارات الروشة، صدقيني، عارية مثل أشجار سلخها الصقيع في البراري، تطن عروقها الرفيعة في وجه السماء كأنها السياط.. بدونك لا شيء. وهذا يحدث معي لأول مرة في عمري التعيس كله.

لماذا أنت معي هكذا؟ إنني أفكر بك ليل نهار، أحياناً أقول انني سأخلصك مني ويكون قراري مثل قرار الذي يريد أن يقذف نفسه في الهواء، أحياناً أقول انني سأتجلد، انني، كما توحين لي أحياناً، أريد أن

---

(١) استشهاد من زاويته «أوراق خاصة» في جريدة المحرر. راجع هامش ص ٢٩ من هذا الكتاب.

ادافع وأهاجم وأغير أسلوبي، أحياناً أراك: أدخل إلى بيتك فوق حطام الباب وأضمّك إلى الأبـد بين ذراعي حتى تتكـونا من جـديد، عظمـاً ولحماً ودماً، بحجم خاصرتك.. ولكنني في أعماقي أعـرف أن هذا لن يحـدث وأنني حين أراك سأتكوم أمامـك مثل قط أليف يـرتعش من الخوف.. فلماذا أنت معي هكذا؟ أنت تعرفين إنني أتعذب وإنني لا أعرف ماذا أريد. تعرفين إنني أغار، وأحترق وأشتهي وأتعذب. تعرفين إنني حائر وانني غارق في ألف شوكة برية.. تعرفين.. ورغم ذلك فأنت، فوق ذلك كله، تحولينني أحياناً إلى مجرد تافه آخر، تصغرين ذلك النبض القاتل الذي يهزني كالقصبة، معك وبدونك.

أحياناً تأخذينني على محمل اقل ذكاء مما ينبغي. مَنْ الذي رأيتِه، أيتها الغالية، في الثامنة والنصف من آخر ليلة كنت فيها في بيروت؟ إنه شيء تافه وصغير ولكن يبدو أنني أحياناً أتوقف لأقتلع من راحة يدي شوكة في حجم نصف دبوس.. ألا تفهمين أن هذا الذي ينبض داخل قميصي هو رجل شرقي خارج من علبة الظلام؟ حتماً تعرفين. أنت هائلة في اكتشاف مقتلي لذلك تتهربين مني أحياناً، لذلك «لا تقولين» ولذلك بالذات تقولين!

لنجعل من نفسينا معاً شيئاً أكثر بساطة ويسراً، لنضع ذراعينا معاً ونصنع منهما قوساً بسيطاً فوق التعقيدات التي نعيشها وتستنزفنـا.. لنحاول ذلك على الأقل. أنت عندي أروع من غضبك وحزنك وقطيعتك. أنت عندي شيء يستعصي على النسيـان، أنت نبيّة هـذا الظلام الـذي أغرقتني أغواره الباردة الموحشة وأنا لا أحبك فقط ولكنني أؤمن بك مثلما كان الفارس الجاهلي يؤمن بكأس النهاية يشربه وهو ينزف حياته، بل لأضعه لك كما يلي: أؤمن بك كما يؤمن الأصيـل بالـوطن والتقي بالله والصوفي بالغيب. لا. كما يؤمن الرجل بالمرأة!

كتبت لك منذ أربعة أيام أو أكثر رسالة، لم أكن أعرف عنوانك قبل ذلك، وكتبتها يوم وصلت رسالتك إليّ، بعد خمسة أيام من وصول رسالتك

لعاطف[1].. وأرسلت لك فيها قصاصات (يقولون هذه الأيام في بيروت، وربما أماكن أخرى، ان علاقتنا هي علاقة من طرف واحد، وانني ساقط في الخيبة. قيل في الهورس شو[2] إنني سأتعب ذات يوم من لعق حذائك البعيد. يقال أنك لا تكترثين بـي وانك حاولت أن تتخلصي مني ولكنني كنت ملحـاحاً كـالعلق. يشفقون عـلي أمـامي ويسخـرون مني ورائي، ويقرأون لي كما يقرأون نماذج للشاعر المجنون[3]... ولكن ذلك كله يظل تحت ما أشعره حقاً، فأنا أحبك بهذه البساطة والمواصلة التي لا يمكن فهمها في شارع الحمراء، ولا على شفاه التافهين).

أرى عاطف أحياناً: يمر على مكتبي ونتحدث عنك ولكنه يشعـر بالبرد فيذهب إلى بيته، أما أنا فالبيت أكثر بـرداً من أن أذهب إليه.. يسألني عن شخص مسافر إلى لندن، أعتقد أنك طلبت منه أن يرسل شيئاً لك.. إنه في صحة جيدة ويضحك دائماً وموجود في كل مكان، كما تعرفينه، ومنذ أسبوع تقريباً، ذهبنا وشربنا معاً كأسـاً صامتـاً حوالي ساعتين. وأمس ليلاً كان هنا وقال لي انه سيكتب لك، فقلت له: أما أنا فقد فعلت. ضحك وقال: ١٢ صفحة؟

منذ ذهبتِ سافرت آني لدمشق، وحتى الآن لم تعد فالطريق مغلق بالثلوج والجو بارد ولكن سيارتي تتقد دائماً وعجلاتها لا تكف عن سلخ الإسفلت، دونما هدف. الراديو أخرس ما يزال، والشوفاج فوضى، والزمور لا يصرخ إلا إذا انعطفت لليسار والسائقون الآخرون مستعجلون كما كنا نراهم دائماً لا أفتح لهم الطريق إلا مع شتيمة وليلة أمس غيّرت عجلاً تحت المطر قرب المكان الذي غيرت فيه ذات يوم عجلاً صعباً معك، وحين انتهيت خيل إلي أن وجهي كان مغسولاً بالدموع لا بالمطر: فقد فتحت باب السيارة وتوقعت أن يسقط رأسك المتكىء على الباب، كما حدث ذلك

---

(١) عاطف السمرا.

(٢) أحد مقاهي الأدباء في الستينات في بيروت.

(٣) كان غسان يكتب نصوصاً وجدانية في زاويته الخاصة بجريدة المحرر ولم تُجمع بعد في كتاب.

اليوم.

تعالي، يا أجمل وأذكى وأروع قطة في هذا العالم كله. ألم تشتاقي لماكس والقرد المدهوش والحطاب الغاضب والعجّانة(١)؟ ألم تشتاقي لغسان؟

كنت أسفاً جداً حين كتبت لك عن تلك الألمانية(٢) التي نسيت اسمها الآن. خشيت أن تتصوري أنني أمتع نفسي بطريقة أو بأخرى. لا. لقد كانت كأساً باردة لكحول عمياء أمام طاولة رجل طريد. إن الحرية لا يمكن أن تكون شيئاً يأتي من الخارج، وأنا الآن طليق إلى أبعد حد، ولكنني حين التفت أسمع أصوات السلاسل الغليظة تخش وترن في صدري..

أريد أن أكتب لك، أن أكتب لك كل لحظة، ليل نهار: في الشمس التي بدأت تشرق بحياء، تحت سياط الصقيع، في الصباح البارد والمساء والعتمة، في ضياعي وجنوني وموتي..(اطمئني: إن صحتي جيدة، وآخر ثلاثة أيام كنت مريضاً جداً ولكنني لم أنم، واليوم أتحسن) لم أكتب شيئاً في روايتي، أعمل في المحرر كما كان يعمل العبيد العرايا في التجديف، لديّ فكرة لمسرحية سترينها في الأوراق الخاصة(٣) لا أعرف متى سأكتبها.. أعرف فقط أنني أنتظرك.

أنتظرك. أنتظرك. أنتظرك. وأفتقدك أكثر مما في توق رجل واحد أن يفتقد امرأة واحدة، وأحبك، ولن أترك أبداً سمائي التي تحدثت عنها «تفجر الثلج»، إنني فخور بآثار خطواتنا ولا أريد لشيء، حتى السماء، أن تكنسها.

غسان كنفاني

بيروت (الآن وغداً وإلى الأبد)

ولكن صادف أن كتب في ٢٤/١/١٩٦٧

---

(١) تماثيل في بيتي كان يطلق غسان عليها الأسماء ويحاورها وعلى رأسها بومة أسماها ماكس!.

(٢) نسي ان يكتب لي عنها ونسي انه نسي!

(٣) اسم زاوية في جريدة المحرر يومئذ.

غادة - يا حياتي !

كيف تقولين لي: "لا الوصل، لا الحب... في الدفاع عن توقيتك رحلة صيد انتهت"؟ كيف تعتقدين لحظة واحدة أن هذا التعيس الذي ينتظرك كما ينتظر وطناً ضائعاً يفعل ذلك؟ كيف تعتقدين أن ذلك الرجل الذي سحقته الشوارع قدميه، كالمجنون المطارد، ينسى أو يتوقف أو يدافع عن نفسه أو يهاجم؟ ولكنني اغفر لك، مثلما غفرت في الماضي وسأظل أفعل. أغفر لك لأنك عندي أكثر من أنا وأكثر من أي شيء آخر، ولأنني ببساطة أريدك وأحبك ولا أستطيع تعويضك"، ولأنني أبكي كطفل حين تقولين ذلك، وأحس بدموعي تقطر في أحشائي، وأعرف أنني أخيراً مطوق بك، بالدفء والشوق وأنني بدونك لا أستحق نفسي !

أنت، بعد، لا تريدين أخذي. تخافين مني أو من نفسك أو من الناس أو من المستقبل، لست أدري ولا يعنيني. ما يعنيني أنك لا تريدين أخذي، وأنا أصابعك قريبة مني، تطوقني من كل جانب، كأصابع طفل صغير حول كتلة ملونة: تريدها وتخشاها ولا تطلقها ولا تمسكها وأصابعك تنبض معها.. أنا أعرف حتى الجنون قيمتك عندي، وأعرف أنك وأنت غالية وأنت رأيت عمارات الوحشة، صدقيني، عارية مثل أشجار الخريف الصقيع في العراء، تطل عروقها الرفيعة في وجه السماء كأنها السياط.. بدونك لا شيء. ولهذا كبرت وحدي دون أول مرة في عمري التعيس كله.

لماذا أنت معي هكذا؟ إنني أفكر فيك ليل نهار، أحياناً أقول إنني سأخلص منك ولكنه قرار مثل قرار الذي يريد أن يقذف نفسه في الهواء، أحياناً أقول إنني سأتجلد، إنني، كما توهمين في أحيان، أريد أن أدفع وأهاجم وأعيد أسلوبي، أحياناً أراك: أدخل إلى بيتك فوق حطام الباب وأضمك إلى الأبد بين ذراعي حتى تتكوني من جديد، عظماً ولحماً ودماً، بحجم خاصرتي.. ولكنني في الحقيقة أعرف أن هذا لن يحدث وأنني حين أراك سأكون أمامك مثل قط أليف يرتعش من الخوف.. فلماذا أنت معي هكذا؟ أنت تعرفين أنني أتعذب وأنني لا أعرف ماذا أريد. تعرفين أنني أغار وأحترق وأشتهي وأتعذب. تعرفين أنني حائر وأنني غارق في ألف شوكة برية.. تعرفين.. ورغم ذلك فأنت، فوق ذلك كله، تحولينني أحياناً إلى مجرد تافه آخر، تصغرين ذلك النبض القاتل الذي يهزني كالقصبة، معك وبدونك.

أحياناً تأخذينني في لحظ أقل ذكاء مما ينبغي، من الذي رأيته، أتريه لغالية، في الثامنة والنصف من آخر ليلة كنت فيها في بيروت؟ إنه شيء تافه وصغير ولكنه يبدو أنني أحياناً أتوقف لأتمتع من راحة يدي شوكة في حجم نصف دبوس.. ألا تفهمين أن هذا الذي ينبض داخل قميصي عصفور بل شرقي خارج من غابة الظلام؟ حتماً تعرفين. أنت هائلة في اكتشاف مقتلي لذلك تتهربين مني أحياناً، لذلك لا تقولين، ولذلك بالذات تقولين !

لنخجل من نفسينا معاً شيئاً أكثر بساطة ويسراً، لنضع ذراعينا معاً ونصنع منها قوساً بسيطاً فوق التعقيدات التي نعيشها وتستنزفنا.. لنحاول ذلك في الأقل. أنت عندي أروع من غضبك وحزنك وقطيعتك. أنت عندي شيء يستعصي على النسيان، أنت نبتة هذا الظلام الذي أغرقتني أغواره البارزة الموحشة وأنا لا أحبك فقط ولكنني أؤمن بك مثلما كان الفارس الجاهلي يؤمن بكأس النبيذ يشربه وهو ينزف حياته، بل لا أزيد من كان حي: أؤمن بك كما يؤمن الأصيل بالوطن والتقي بالله والصوفي بالغيب. لا. كما يؤمن الرجل بالمرأة !

كتبت لك منذ أربعة أيام أو أكثر رسالة، لم أكن أعرف عنوانك قبل ذلك، وكتبت يوم وصلت رسالتك لي، بعد خمسة أيام من وصول رسالتك لحاطف.. وأرسلت لك فيها مقاطعات (يقولون هذه الأيام) بيروت، وربما لم تكوني قد ... أن علاقتنا هي علاقة من طرف واحد، وأنني ساقط في الخيبة. قيل لي همساً شيء أنني سأتعب ذات يوم من بعض مزاجك العجيب. وقال آخر لا تكترثين بي وأنك حاولت أن تتخلصي مني ولكنني كنت حالماً كالعادة، يتفقون في أمامي ويسخرون مني وراءي، ويقرأون لي كما يقرأون نماذج للشاعر المجنون... ولكن ذلك كله يظل تحت ما أشعره حقاً، فأنا أحب هذه البساطة والمواجهة التي لا يمكن فهمها في شارع الحمراء، ولا في شفاه التافهين).

أرى عاطفة أحياناً: يمر في مكتبي ونتحدث عنك ولكنه يشعر بالبرد فيذهب إلى بيته، أما أنا فالبيت أكثر برداً من أن أذهب إليه.. سألني عن شخص مسافر إلى لندن، أعتقد أنك طلبت منه أن يرسل شيئاً لك.. إنه في صحة جيدة وضجر دائماً وموجود في كل مكان، كما تعرفينه، ومنذ أسبوع تقريباً ذهبنا وشربنا معاً كأساً صامتاً طوال ساعتين. وأمس ليلاً كان هنا وقال لي أنه سيكتب لك، فقلت له: أما أنا فقد فعلت. فضحك وقال: كم صفحة؟

منذ ذهبت سافرت إلى دمشق، وحين عدت لم تعد فالطريق مغلق بالثلوج والجو بارد ولكن سيارتي تتقدم دائماً وعجلاتها ... عن ... وربما هدفه. الراديو أخرس ما يزال، والسود فوضى، والزهور لا يعيشان إلا إذا انخطفت ... والساقون الآخرون يستعجلونه كما كنا نراهم دائماً لا أفتح لهم الطريق الذي ... ولحياتي ... تحت المطر قرب المكان الذي غيرت فيه ذات يوم عجلاً صعباً محزن، وحين انتهيت فجأة إلى أن أمشي كان مشغولاً بالدموع لا بالمطر: لقد فتحت باب السيارة وتوقعت أن يسقط رأسي المتكئ على الباب، كما حدث ذلك اليوم.

تعالي، يا أجمل ... وأروع قطة في هذا العالم كله. ألم تشتاقي لمكانس والقرود المدهوش والطلاب الغاضبين والكآبة؟ ألم تشتاقي لي ...؟

كنت آسفاً جداً حين كتبت لك عن تلك ... التي ... خشيت أن تتصوري أنني أستجدي نفسي بطريقة أو بأخرى. لا. لقد كانت كأساً باردة لكحول عجيبة أمام طاولة رجل طريد. أن الحرية لا يمكن أن تكون شيئاً يأتي من الخارج، وأنا الآن طليق إلى أبعد حد ولكنني حين ألتفت أسمع أصوات السلاسل الغليظة تشد وترن في صدري..

أريد أن أكتب لك، أن أكتب لك كل لحظة، لكن ... : في الشمس التي بدأت تشرق بحياء، تحت سياط الصقيع، في الصباح البارد والمساء والعتمة، في ضياعي وجنوني وموتي.. (المهم أن صحتي جيدة، وآخر ثلاثة أيام كنت مريضاً جداً ولكنني لم أنم، واليوم أتحسن) لم أكتب شيئاً روايتي، ... في الجزء كما كان يعمل الحبيب ... في التجديف، لدي فكرة لمسرحية سترينها في الأوان الخاصة، لا أعرف متى سأكتبها.. أعرف فقط أنني أنتظرك.

أنتظرك. أنتظرك. أنتظرك. وأفتقدك أكثر مما يتوقعه رجل واحد أن يفتقد امرأة واحدة، وأحبك، ولست أدري إذا ... التي ... عنها، تحت الثلج، أنني ... خطواتك ولا أريد شيئاً، ... أن تكوني ...

غسان

بيروت (الآن وغداً وإلى الأبد)
ولكن تصادف أن كنت في ٢٤/١/١٩٦٧

بيروت ١٩٦٧/١/٣١

عزيزتي غادة..

وصلتني رسالتاك، فيهما قصاصات من الأوراق الخاصة[١]. بحركة صغيرة، شحطة واحدة فوق نهايات الحروف أعدتِ إلى عالمي المعنى والتوهج وجلدني الشوق لك وأسرني ذكاؤك الذي أفتقده بمقدار ما أفتقد كفيك وكتفيك..

أيتها الشقية الحلوة الرائعة! ماذا تفعلين بعيداً عني؟ أقول لك همساً ما قلته اليوم لك على صفحات الجريدة[٢]: «سأترك شعري مبتلاً حتى أجففه على شفتيك!» أنني أذوب بالانتظار كقنديل الملح. تعالي!

أحس نحوك هذه الأيام - أعترف - بشهوة لا مثيل لها. إنني اتقد مثل كهف مغلق من الكبريت وأمام عيني تتساقط النساء كأن أعناقهن بترت بحاجبيك. كأنك جعلتِ منهن رزمة من السقط محزومة بجدولتك الغاضبة الطفلة.. لا. ليس ثمة إلا أنت. «إلى أبدي وأبدك وأبدهم جميعاً»... وسأظل أضبط خطواتي ورائك حتى لو كنتِ هواءً.. أتسمعين أيتها الشقية الرائعة؟ حتى لو كنتِ هواءً! ولكنني أريدك أكثر من الهواء. أريدك أرضاً وعَلَماً وليلاً... أريدك أكثر من ذلك. وأنتِ؟

ليس لدينا أخبار كثيرة هنا. آني عادت فجأة. أرى عاطف[٣] وكمال[٤]

---

(١) كان يكتب لي رسائل وجدانية في زاويته (أوراق خاصة) ويرسلها إلي في لندن (راجع هامش الصفحة ٢٩) فكتبت له مرة رسالة على هامش رسالته.

(٢) استشهاد من زاويته «أوراق خاصة» في جريدة المحرر.

(٣) عاطف السمرا. (٤) كمال طعمة.

غالباً وأمس سهرتُ مع ارتين[1] ومع فواجعه و«بوزاته».. عـاطف جاء أمس ودخل إلى المكتب غاضباً وتشاجر مع كمال لأنه لم يره منذ فترة ثم سألني: أين كُنت يوم السبت؟ غادة أرسلت شخصاً وفتشتُ عليـك في المكتب والبيت طوال الليل والنهار! يا عاطف العزيز كنت في البيت وفي المكتب! لا. نعم. وانتهى الأمر هنا. غداً صباحا سأسافر إلى القـاهرة لحضور مؤتمر الصحفيين العرب وسأعود الاثنين أو الأحد.. هل سأجدك هنا؟ سيكون عنواني هناك: (بواسطة مروان كنفاني، جامعة الدول العربيـة، قسم فلسطين). اكتبي لي، فقد يكون المطر غزيراً هناك، أحتاج إلى حروفك لأفرش أمامها راحتيّ التواقتين لك!.

بلى. خبر مهم: أحدهم وزّع خبراً على الصحف يوم الجمعة الماضي: «سيتم في جو عائلي، خلال الأسبوع القادم، زفاف الزميل غسان كنفاني على الأديبة المبدعة غادة السمان..» المحررون في الصحف عرفوا فرموا الخبر. في آخر لحظة اتصل بـي زميل من صحيفة ما يريد أن يبارك لي ويعاتبني على عدم إخباره.. ثم أخذ يركض إلى المطبعة فشال السطرين الهائلين عن الطابعة.. مرت العاصفة وأنا غير مكترث.. لم تكن غلطـة الذي دس الخبر ولكن غلطة السنوات الخمس التي مرت، لا شيء. مزيداً من الذين يقولون: سيتعب ذات يوم من لعق حذائها. مسافر من دمشق جاء ليقول لي أن دمشق تتحدث عنكِ، حسنـاً، وعني. قال إن الأوراق الخاصة[2] تظهر أنك معذب ومهزوم وتصطـدم بالـزجاج كـأنك ريـح صغيرة. ثم نظر إلي وأنا صامت وأبلغني: حرام.

اكتبي لي.. لماذا لا تكتبين؟ لـمـاذا؟ لماذا أيتهـا الشقية الحلـوة؟ أتخافين مني أم من نفسك أم من صدق حروفك؟ أكتبي..

غسان

---

(١) يقصد كمال طعمة، وهو صديق حميم لنا أيضاً وكان يحلو لغسان أن يلقبه مداعباً بأرتين الأسمر!.

(٢) أوراق خاصة: عنوان زاوية غسان كنفاني في **المحرر**.

بيروت ١٩٦٧/١/٣١

عزيزتي غادة ..

وصلتني رسالتان ، فيهما قصاصات من الاوراق الخاصة . بحركة صغيرة ، شحطة واحدة فوق سطر من الحروف اعدتني الى عالمي الحقيقي والتوهج وصلبتني بشوقه الى واسرني ذكاؤك الذي افتقده عندما افتقد كفيك وكتفيك ..

ايتها الشقية الحلوة الرائعة ! ماذا تفعلين بعيداً عني ؟ اقول لك هنا ما قلته اليوم لي من صفحات الجريدة : "سأترك شعري مبتلاً حتى اجففه في شفتيك !" انني اذوب بالانتظار كقنديل الملح . تعالي !

احس تجاهك هذه الايام - اعترف - بشهوة لا مثيل لها . انني اتقد مثل كف مخلوع من الكبريت وامام عيني تتساقط النساء كأن اعناقهن بترت بمناجيله . لأني صنعت منهن رزمة من السقط محزومة بجدولتك العاصفة الطفلة -- لا . ليس ثمة الا انت . "الى ابدي وابدك وابدهم جميعاً" .. وسأظل اضبط خطواتي وانا حتى لو كنت هواء" .. اتسمعين ايتها الشقية الرائعة ؟ حتى لو كنت هواءً ! ولكنني اريدك اكثر من الهواء . اريدك ارضاً و نجماً وليلاً ... اريدك اكثر من ذلك . وانت ؟

ليس لدي اخبار كثيرة هنا . آخي عاد فجأة . ارى عاطف وكمال غالباً وامس سهرت مع ارتين ومع مواجعه و "بوزاته" .. عاطف جاء امس ودفق الى المكتب غاضباً وتشاجر مع كمال لانه لم يره منذ فترة ثم سألني : اين كنتَ يوم السبت ؟ غادة ارسلت شخصاً وفتشت عليك في المكاتب والبيت طوال الليل والنهار - ! يا عاطف العزيز كنت في البيت وفي المكتب ! لا . نعم . وانتهى الأمر هنا . غداً صباحاً سأسافر الى القاهرة لحضور مؤتمر الصحفيين العرب وسأعود الاثنين او الاحد .. هل سأجدك هنا ؟ سيكون عنواني هناك : (بواسطة وداد تنناني ، جامعة الدول العربية ، قسم فلسطين). اكتبي لي ، فقد يكون خطك عزيزاً هناك ، احتاج الى ورقة لا [illegible] اصابعي التواقتين لك !

لك . خبر مهم : احدهم وزّع خبراً في الصحف يوم الجمعة الماضي : "سيتم في عوالي ، خلال الاسبوع القادم ، زفاف الزميل غسان كنفاني على الاديبة المبدعة غادة السمان .." الخبيرون في الصحف عرفوا مزح الخبر . في آخر لحظة اتصل بي زميل من بكين ما يريد ان يبارك لي ويعاتبني على عدم اخباره .. ثم اخذ يركض الى المطبعة لسحب السطرين الطائشين من الطابعة .. مرت العاصفة وانا غير مكترث .. لم تكن غلطة الذي دس الخبر ولكنه غلطة السنوات الخمس التي مرت . لا شيء . مزيداً من الذين يقولون : ستتعب ذات يوم من لعبة هذا كله . سأنتقم من رشيد هاو ليقول لي ان رشيد تتحدث عنكِ هنا ، وعني . قال ان الاوراق الخاصة تظهر انك معذب ومهزوم وتصطدم بالرجال كأنك ريح صغيرة . ثم نظر الي وانا صامت والجني : هوام

اكتبي لي .. لماذا لا تكتبين ؟ لماذا ؟ لماذا ايتها الشقية الحلوة ؟ اتخافين مني ام من نفسك ام من بعدي وقرفي ؟ اكتبي ..

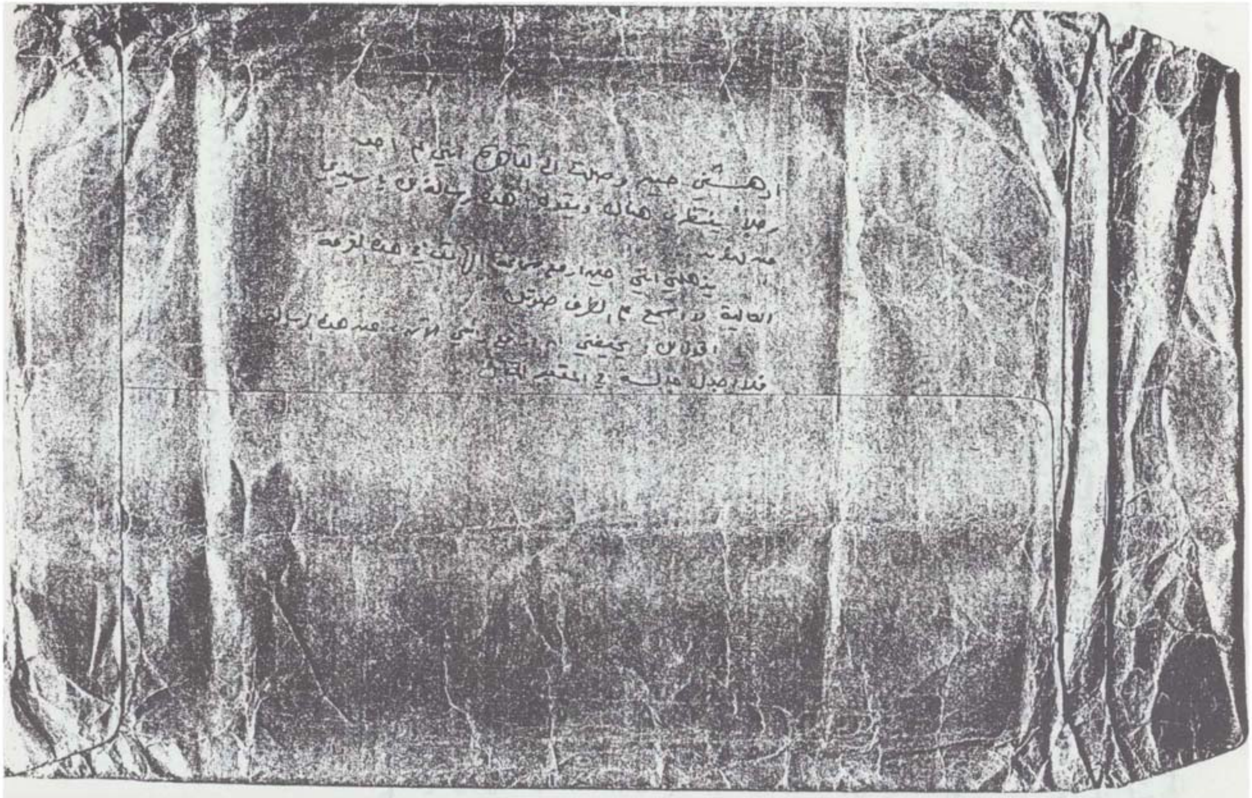
غسان

هذه العبارة سطرها على مظروف الرسالة من الخارج! (تاريخها ١/٢/١٩٦٧)(١)

أدهشني حين وصلت إلى القاهرة أنني لم أجد
رجلاً ينتظرني هناك ويقول هذه رسالة لك يا سيدي
من لندن..
يذهلني أنني حين أرفع سماعة الهاتف في هذه الغرفة
العالية لا أسمع على الطرف صوتك..
أقول لك: يخيفني أن أرفع رأسي الآن، عن هذه الرسالة،
فلا أجدك جالسة في المقعد المقابل..

---

(١) وحمل لي الرسالة يومئذ من القاهرة المرحوم سليم اللوزي (وكان غسان يكتب في الحوادث أحياناً باسم مستعار هو ربيع مطر). وقد اختار اللوزي اسم ربيع لأنه اسم ابنه الوحيد الذي مات صغيراً. وبعد غسان كتب آخرون بالاسم المستعار نفسه، ولا أظن أن كتاباته هذه تم جمعها. وأحب أن ألفت إليها أنظار طلاب الجامعات عسى أن يهتم أحد بجمعها في أطروحة جامعية كما أحب أن أذكر بكتابات غسان في جريدة المحرر البيروتية في زاوية أوراق خاصة في فترة عمله هناك إلى جانب كتابات كنفاني آخر الستينات في ملحق جريدة الأنوار الذي كان يرئس تحريره وهي كتابات بعضها باسمه وبعضها الآخر باسم مستعار هو فارس فارس.


أدهشني حين وصلت الى القاهرة أني لم أجد رسالة منك في بريدي

CLEOPATRA PALACE HOTEL	**فندق** **كليوباترا**
IN THE HEART OF MODERN CAIRO TAHREER SQUARE TEL. 70420 (10 LINES) TEL. ADDRESS «CLEOTEL»	في قلب القاهرة.. ميدان التحرير تليفون: ٧٠٤٢٠ (١٠ خطوط) تلغرافيا: «كليوتيل» القاهرة

ليل ١/٢/١٩٦٧

عزيزتي غادة.. يلعن دينك!

ما الذي حدث؟ تكتبين لكل الناس إلاّ لي؟ اليوم في الطائرة قال لي سليم اللوزي أنك كتبت له أو لأميّة[١] لم أعد أذكر، وأمس قال لي كمال[٢] انه تلقى رسالة منك... وآخرين! فما الذي حدث؟ لا تريدين الكتابة لي؟ معلش! ولكن انتبهي جيداً لما تفعلين: ذلك سيزيدني تعلقاً بك!

اليوم صباحاً وصلت إلى القاهرة، وفي الظهر مرضت، ربما لأنني لم أنم أمس إطلاقاً، وربمـا لأن الطقس تغير فجأة: من البرد الخبيث المتسلل من الجبل إلى بيروت، (إلى قميصي بالذات!) إلى الشمس الصريحة في الـدفء الشتوي الـرائع هنـا.. وهكذا تخلصت من مسؤولياتي في المؤتمر[٣]، وتشاجرت مع شقيقي وقمت بجولة في المقـاهي حيث قابلت الأصدقاء وعدت، لأكتب لك!

---

(١) أمية اللوزي زوجة سليم وهما صديقان حميمان لنا.
(٢) كمال طعمة، صديق مشترك كان يُشاركنا السهر وعاطف السمرا وسواهما من الأصدقاء.
(٣) المؤتمر السياسي لاتحاد الصحفيين العرب وكان غسان منتدباً من إحدى المنظمات لتمثيل فلسطين.

يكبر غيابك في صدري بصـورة تستعصي على العـلاج، يدهشني أنني لم أجد في المطار شخصاً يقول لي: رسالة لك يا سيدي من لندن. يخفق قلبي كلما دق جرس الهاتف في هذه الغرفة العالية ثم لا أسمع صوتك ينادي، كالوشوشة: «غهسـآن!» أقول لك أيتها الشقية: أخاف أن ألتفت هذه اللحظة إلى الكرسي المقابل فلا أراك هناك! ماذا تراك تفعلين الآن؟ أعوّضت غسانك التعيس؟ هل وفقت في استبدال سذاجته وحدّته وضيق أفقه وسخافاته (واستقامته الطفلة) بشيء أكثر جدوى؟ أتعتقدين أنك نجحتِ في طمري تحت أوراق «سقوطهم إلى القمة»[1]؟ هل نجحتْ قطع الضباب بلندن في تكوين نعش لذكرياتنا؟ هل جف مرج الشـوك الحلو؟ هل ستعودين؟

لو كنتِ هنا. لو كنتِ معي في هذه الغرفة البعيـدة العاليـة لكان العالم. دونك لا يستطيع الجدار أن يخبىء شيئاً. أتراك تشعـرين كم يموت عمرنا أمام أعيننا؟ أتراك تحسين وأنت في منفاك الاختياري كم يقتلني خوفك وكم يحز ترددك في أوردتي؟ ثم لا تكتبين! إذا كنتِ تعتقدين إنكِ حرامٌ على يديّ فهل حروفُك حرامٌ على عينيّ؟ ومع ذلك فسأترك بيادر القش تلتهب في صـدري وجسدي حتى يـأتي ذات يوم تطفؤهـا فيـه راحتاك. أنت. أيتها المرأة قبل ألف مرة من أن تكوني أديبة وكاتبة. أنت، الأديبة والكاتبة والذكية التي تجعل منك ألف امرأة!

إنني مريض حقاً. لا أريد أن أشعرك بأي قلق علي (إن كان ذلك ممكناً)، ولكن الغرفة تدور الآن، وكالعادة أحتـاج كما أعتقـد إلى نوم كثير... بطاقتك التي وصلتني إلى بيروت (شو هالبرد)[2] كانت رائعة، هل قلت لك ذلك في الرسالة الماضية؟ أريد أن أجد لدى عودتي صندوقاً من الرسائل في حجم شحنة ويسكي. أوصيتُ زميلاً أن يحمل لك ٢٠ علبة

---

(١) رواية كُنتُ أعمل عليها آنذاك، عنوانها: «السقوط إلى القمة».

(٢) كتبت من لندن إلى غسان بطاقة فيها عبارة واحدة: شو هالبرد!...

(سالم)[1]، سمعت عاطف يقول إنه تلقى منك طلباً بهذا الموضوع، أرجو أن يكونوا قد وصلـوا، إذا وصلوا لا تنفخي مع دخانهم اعتزازي بك، وبكل شيء لك ومنك وعنك.

غسان

اليوم الأربعاء.. أعتقد أنني سأعود السبت إلى بيروت، أريد أن أقرأ منك!.

(١) نوع من السجائر.

نيل ١/٢/١٩٦٧

عزيزتي غادة .. يلعن دينك!

ما الذي حدث؟ كتبت لك يوم السبت [illegible] واليوم في الطائرة قال لي [illegible] انك كتبت له [illegible] بعد أكثر [illegible] رسالة منك ... [illegible] فما الذي حدث؟ لا تريدين الكتابة لي؟ معلش! ولكن انتبهي جيداً لما تفعلين: ذلك سيؤدي في تحقيق [illegible]!

اليوم صباحاً وصلت إلى القاهرة، وفي المطار [illegible] ربما لأنني [illegible] وربما لأن الطقس تغير فجأة: [illegible] ... وهكذا [illegible] في [illegible] مع [illegible] وقمت بجولة في المقاهي حيث [illegible] ولم أكتب لك!

كم غيابك في صدري [illegible] ... رسالة [illegible] يا سيدي [illegible] في هذه الغرفة العالية ثم [illegible] ... اقول لك [illegible] ... الكرسي المقابل [illegible] ... تفعلين الآن؟ [illegible] ... (واستقالته الطنانة) [illegible] ... تذكرين؟ [illegible] ... ستعودين؟

لو كنت هنا .. لو كنت معي في هذه الغرفة [illegible] ... تشعرين كم [illegible] أمام أعيننا؟ [illegible] ... ثم تكتبين! [illegible] ... المرأة [illegible] ... والذكية التي تجعل [illegible]!

انني مريض حقاً [illegible] ... (كما [illegible]) [illegible] ... شيء [illegible] ومنه عنك!

[illegible]

[illegible]

فندق
كليوباترا

CLEOPATRA
PALACE HOTEL

القاهرة ٤/٢/١٩٦٧

عزيزتي الشقية، الضائعة، المسافرة التي لا تتذكر!

غداً ظهراً سأكون من جديد في الفراغ الجديد في بيروت، لقد حدثت أمور هامة هنا منذ وصلت، فقد أبلغتني المنظمة التي انتدبتني لتمثيل فلسطين في المؤتمر السياسي لاتحاد الصحفيين العرب أنها قررت فجأة، ولأسباب تافهة كما يبدو لم يقدر لي أن أعرفها، أن تقاطع المؤتمر،وهكذا وجدتني فجأة بلا عمل، وجعلني هذا الوضع أكثر استعداداً لأن أسقط في المرض الذي كنت أترقبه بجزع، وأمس حدث ما كنت أتوقعه: فقد أمضيت معظم نهاري في الفراش. كنت في الليلة التي سبقت قد حولت صدري إلى زجاجة معبأة بالدخان المضغوط، دخنت ٦ علب وأمضيت النهار التالي أسعل وأدخن وأسعل وأدخن من جديد، وأمس ليلاً كان جسدي قد تعب من هذه اللعبة واستسلم أمام عنادي وهكذا قمت فسهرت عند بهاء[١]، ثم اقتادني الأصدقاء، بعد ذلك، إلى الليل ونمت في الصباح... وغداً الأحد سأعود، إذا لم يطرأ أي جديد.

عبر ذلك كله جئتِ أنتِ، وكنت معي رغم أنفك ورغم جميع الذين كانوا معك والذين كانوا معي، وفكرت بك بهدوء، كما يجلس الإنسان العاقل ليلعب الشطرنج معتزماً أن يربح الجولة بأي ثمن، وقلت لنفسي: يا ولد، أنت أصغر من أن تكون دونها وأعجز من أن تغلق الباب. كان «الملك»، على رقعة الشطرنج، معذباً وبعيداً عن جواده وقلعته ورغم ذلك

(١) احمد بهاء الدين.

فقد كان يقاتل بكل دمائه النبيلة، ناجحاً في أن يتجنب التلطيخ بوحل الميدان الشاسع وحمأ الهزائم. كان يعرف أن التراجع موت وأن الفرار قدر الكذابين. إنه فارس اسبارطي حياته ملتصقة على ذؤابة رمحه يعتقد أن الحياة أتفه من أن تعطيه وأنه أكبر من أن يستجدي ولكنه يريد أن يأخذ وأن يعطي بشرف مقاتل الصف الأول. ليس لديه ما يفقده ورغم ذلك فهو يعرف أنه إذا فقد هذا الشيء الوحيد الذي يعتز به فإنه سيفقد نفسه. إنه المقاتل والخصم والميدان والسلاح في وقت واحد معاً، فكيف يربح وكيف يخسر؟ كيف يكون التقدم وكيف يكون التراجع: هذه هي أيتها الشقية لعبة شطرنج لا تنتهي، يظل اللاعب حاضناً رأسه الثقيلة بين كوعيه يتبادل النظر مع الملك الصامت على الرقعة المزدحمة بخبب السنابك المهزومة، دون أن تستطيع الجياد مغادرة الرقعة المقطعة بأقدار الرجال والخيول والملوك الذين يذلهم أنهم لم يولدوا على صهوات خيلهم كما تولد التوائم السيامية.

إنني أريدك بمقدار ما لا أستطيع أخذك، وأستطيع أن آخذك بمقدار ما ترفضين ذلك،وأنت ترفضين ذلك بمقدار ما تريدين الاحتفاظ بنا معاً، وأنت وأنا نريد أن نظل معاً بمقدار ما يضعنا ذلك في اختصام دموي مع العالم.. إنها معادلة رهيبة، ورغم ذلك فأنا أعرف بأنني لست أنا الجبان، ولكنني أعرف بأن شجاعتي هي هزيمتي، فأنت تحبين، فيّ، أنني استطعت إلى الآن أن لا أخسر عالمي، وحين أخسره سأخسرك، ومع ذلك فأنا أعرف أنني إذا خسرتك خسرته.

أستطيع أن أكتشف ذلك كله كما يستطيع الجريح في الميدان المتروك أن ينقب في جروحه عن حطام الرصاص، ومع ذلك فهو يخاف أن ينتزع الشظايا كي لا ينبثق النزيف. إنه يعرف أن الشظية تستطيع أن تكون في فوهة العرق المقطوع مثلما تكون سدادة الزجاجة ويعرف أن تركها هناك، وحيداً في الميدان، يوازي انتزاعها. فالنهاية قادمة، لا محالة... ولو كان شاعراً فارساً يمتطي صهوة الصحراء الجاهلية لاختار

أن يموت رويداً رويداً: يده على كأسه الأخيرة وعينه على النزيف الشريف.

ليقف الفارس في ذلك الخلاء الأجرد ويصيح في وجه الريح: إنني أحبك! فذلك هو قدره الذي تتوازى فيه الخسارة بالربح. إنك الخصب، أيتها الجميلة الشقية.. وليس ثمة إلا أن أنتظرك في غيابك وفي حضورك. في الشمس وفي المطر، تحت تطاير الكلمات من شفاهنا وبين التصاقهما. وثمة حقول من طحلب غير مرئي اسمه الانتظار تنمو على راحتي يدينا حين تمطر فوقهما المصافحة، هناك جسر من الانتظار تشده أهدابنا إلى بعضها حين تتبادل النظر. إن الإنتظار، فيما بيننا، حفرة تكبر كلما عمقت أظافرنا اكتشافها، اننا لا نستطيع أن نردمها بأي شيء فليس في علاقتنا ما نستطيع أن نستغني عنه لنخطو إلى بعضنا فوقه.

اكتبي أيتها الحلوة الذكية. تمسكي بهذا الشيء الذي يستطيع أن يكون إلى الأبد درعك أكثر مما يستطيع أي رداء مبتكر (وقصير) أن يفعل. بوسعك أن تقتحمي العالم على منقار صقر فما الذي يعجبك في حصان طروادة؟ إنني واثق من شيء واحد: بالنسبة لك الحياة ملحمة انتصار تبدأ من العنق فما فوق، فلتجعلي همك هناك. لغيرك أن يعتقد أن حياته لها قمة هي الكتفان. بوسعك أن تدخلي إلى التاريخ ورأسك إلى الأمام، كالرمح. أنت جديرة بذلك وليس من هو أكثر منك جدارة. اطّرحي مرة وإلى الأبد حيرتك الأنثوية المغيظة بين رأسك وركبتيك فتكسبي مرة وإلى الأبد رأسك ورؤوس الآخرين وعظمة أنوثتك وجمالها الاخاذ الصاعق المفعم بالكبرياء. إنني أحبك كما لم أفعل في حياتي، أجرؤ على القول كما لم يفعل أي إنسان وسأظل. أشعر أن تسعة شهور معك ستظل تمطر فوق حياتي إلى الأبد. أريدك. أنتظرك وسأظل أريدك وأنتظرك، وإذا بدّلك شيء ما في لندن، ونسيت ذات يوم اسمي ولون عينيّ فسيكون ذلك موازٍ لفقدان وطن. وكما صار في المرة الأولى سيصير في المرة الثانية: سأظل أناضل لاسترجاعه لأنه حقي وماضيّ ومستقبلي الوحيد. لأن لي فيه

شجرة وغيمة وظل وشمس تتوقد وغيوم تمطر الخصب وجذور تستعصي على القلع.

أكتبي لي. هذه اللحظة وقولي: سأظل معك وسنظل معاً.

غسان

فندق
كليوباترا

CLEOPATRA
PALACE HOTEL

في قلب القاهرة .. ميدان التحرير
تليفون ٧٠٤٢٠ (١٠ خطوط)
تلغرافيا: كليوتيل القاهرة

IN THE HEART OF MODERN CAIRO
TAHREER SQUARE
TEL. 70480 (10 LINES)
TEL. ADDRESS "CLEOTEL"

القاهرة ٤/٢/٦٧

عزيزتي الشقية، الضائعة، الجنية التي لا تتذكر!

غداً أظن أنني سأكون مستعداً للفراغ الجديد في بيروت، لقد حدثت أمور هامة هنا منذ وصلت، فقد أبلغتني المنظمة التي انتدبتني لتمثيل فلسطين في المؤتمر الأفرو آسيوي للصحفيين أنها قررت فجأة، ولأسباب تافهة كما يبدو لم يقدر فيها الوضع، أن تقاطع المؤتمر، وهكذا وجدتني فجأة بلا عمل، وجعلني هذا الوضع أكثر استعداداً لأن أسقط في المرض الذي كنت أترقبه بجزع، والذي حدث كان كالتوقع: فقد أمضيت معظم نهاري في الفراش. كنت في الليلة التي سبقت قد حولت صدري إلى زجاجة مملوءة بالدخان المضغوط، ودخنت ٦ علب وأمضيت الليل التالي أسعل وأرتعش وأسعل وأرتعش من جديد وأسعل، كأن جسدي قد تعب من هذه اللعبة واستسلم أمام عنادي وهكذا تمت هزيمته عند سكره، ثم افتقدت الأصدقاء، بعد ذلك، إلى الليل ونمت في الصباح ... وغداً أظن سأعود، إذا لم يطرأ أي جديد.

عن ذلك كله هربت إليك، وكنت معي رغم النقل ورغم جميع الذين كانوا معي والذين كانوا معي، وفكرت بك بعدو، كما يجب من أن الساقي لملاعب الشطرنج معترفاً أن يربح الجولة بأي ثمن، وقتها قلت لنفسي: يا ولد، أنت أصغر من أن تكون دونكي وأعجز من أن تغلق الباب. كان أملك"، مع قطع الشطرنج، بحذر وبعيداً عن جواده وقلعته ورغم ذلك فقد كان يقاتل بكل رصانة النبيلة، ناجياً، إنه يتجنب التاطيخ بوسط الميدان الشاسع وهما الطرائق. كان يعرف أن التراجع موت وأن الفرار قدر الكذابين. إنه فارس، سارطي حياة ملتصقة مع ذؤابة رمحه يعتقد أن الحياة أتفه من أن تعطيه وأنه أكبر من أن [illegible] ستجديه ولكنه يريد أن يأخذ [illegible] وأن يعطي شرف مقاتل الصف الأول. ليس لديه ما يفقده ورغم ذلك فهو يعرف أنه إذا فقد عناده الشيء الوحيد الذي يعتز به فإنه سيفقد نفسه. إنه يقاتل بالحلم والميدان والسلاح في وقت واحد معاً، لكنه يربح وكيف تخسر؟ كيف تكون المتقدم وكيف تكون التابع؟ أيتها الشقية، نحبة شطرنج لا تنتهي، على الرقعة ما هناك إلا أن [illegible] كوعيه يتبادل نظر مع جيش الصامت في الرقعة الأزرقية [illegible] بجنب السابلة الأخوية، دون أن تستطيع أبداً مغادرة الرقعة المقطعة بقدار الرجال والخيول والقلاع الذين يذكرهم الشعر وولدوا مع مهمات قليلة كما توند النواقيس السياسية.

سيدتي أحبك بمقدار ما لا أستطيع احتماله، وأستطيع أن أحتمله بمقدار ما ترفضينه أنت، وأنت ترفضينه بمقدار ما تريدين أن تحافظي بنا معاً، وأنت وأنا نريد أن نظل معاً بمقدار ما يمنعنا ذلك في انتقام وحقد مع الناس .. إنها معادلة رهيبة، ورغم ذلك فأنا أعرف بأنك ... إلخ، ولكني أحب أن أشياء في شيء لحزني، فأنت تحبين، ألحب [illegible] حضرا في أن تعتقد أن مرة أنه لا أتمنى أن يكون وحيداً في هذا المنزل، ومع ذلك، فأنا أحب أني إذا شعرت [illegible]

[illegible]

فندق
كليوباترا

CLEOPATRA
PALACE HOTEL

IN THE HEART OF MODERN CAIRO
TAHREER SQUARE
TEL. 75420 (10 LINES)
TEL. ADDRESS "CLEOTEL"

في قلب القاهرة .. ميدان التحرير
تليفون ٧٥٤٢٠ (١٠ خطوط)
تلغرافيا: «كليوتيل» القاهرة

أستطيع أن أكتشف ذلك كما يستطيع الجريح في الميدان المتروك أن ينقب في جروحه عن حطام الرصاص. ومع ذلك فهو يخاف أن ينتزع الشظايا كي لا ينبثق النزيف. إنه يعرف أن الشظية تستطيع أن تكون في فوهة العروق بمقطع ع مثلما تكون سدادة الزجاجة ويعرف أن تركها هناك، وحيداً في جسده، يوازي انتزاعها. فالنتيجة قاتلة، لذلك ... ولو كان شاعراً فارساً يمتطي صهوة الخيل الجاهلية لرفض أن يموت رويداً رويداً: يده مع كأس الإفدة وعينه مع النزيف الشريف.

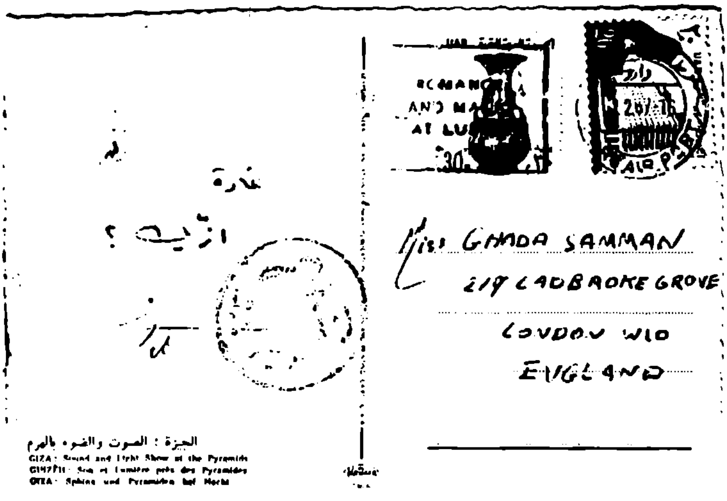
يقف الفارس في ذلك الخلاء الأجرد ويصيح في وجه الريح: إنني أعرف أعداءه هو قدره الذي تتوازى فيه المسافة بالريح. إنه المنصب، إنه جهلة السفينة.. وليس ثمة إلا أن ننتظره في غيابه وفي حضوره. في الشمس وفي المطر، تحت تطاير الكلمات من شفاهنا وبين التصاقنا. وثمة ملفوف من طحين غير مرئي اسمه الانتظار تحفر في راحتي يدينا حين تعبر قوتها المصافحة، وهناك جسر من الانتظار تشده أهدابنا إلى بعضها حين نتبادل النظر. إن الانتظار، فيما بيننا، حفرة تكبر كلما عمقتها أظافرنا اكتشافاً، إننا لا نستطيع أن نردمها بأي شيء غيره في علاقتنا ما نستطيع أن نستغني عنه لنخطو إلى حفنة فوقه.

أكتب إليك خلوة الكلمة. تسكن هذا الشيء الذي يستطيع أن يكون إلى الأبد درعي أكثر مما يستطيع أي رداء مبتكر (وقميص) أن يفعل. بوسعك أن تختاري التمام عن مع منقار عصفور هذا الذي يحمله في عصاه طروادة؟ إنني واثق من شيء واحد: بالنسبة لي الحياة ملحمة انتظار تبدأ من لحظة ما فوقه، فتجيء هي هناك. لغيرك أن يعتقد أن حياته لها ثمة هي الكتمان. بوسعك أن تدفعي إلى التاريخ وترأسه إلى الأمام، كالريح. أنت جديرة بذلك وليس من هو أكثر منك جدارة. اطرحي مرة وإلى الأبد ميراث الشجرة المخيفة بين رأسك وكبريائك تكتسبي مرة وإلى الأبد رأسك ورؤوس الآخرين وعظمة الوحشة وجبالها الأفعى الصاعدة المفعم بالكبرياء. إنك امرأة لم أعرف في حياتي، إنني لا أقول كما لم يقل أي إنسان وسأظل. أشعر أن تسعة شهور معك ستظل تطوف في حياتي إلى الأبد. أريدك انتظرك وسأظل أريدك وانتظرك، وإذا بدلك شيء من إلى أحده، وسيكون ذات يوم أسمى ولو أن عيني ستكون نزف سوات لفقدان وطن. وكما كان في المرة الأولى سيعيد في المرة الثانية: سأظل أناضل لاسترجاعه لأنه حقي وماضي ومستقبلي الوحيد. لأن لي فيه شجرة ونجمة وظل وشمس تتوقد وغيوم تمطر الخصب وجذور تستعصي على القلع.

أكتبي لي. هذه اللحظة رقوتي: سأظل معك وسنظل معاً.

[signature]

بدون تاريخ



غادة

ازيّك

غسان

Miss Ghada Samman
219 Ladbroke Grove
London W10
England

بيروت ٣ نيسان ١٩٦٧

يا غادة!

تلقيت رسائلك جميعاً، ولم يؤخرني عن الجواب إلا ذلك الغرق المخيف في أشغال لا نهاية لها توجها مؤتمر الكتاب الأفروآسيوي الذي عقد هنا خلال الأسبوع الماضي وشغلني من الفجر إلى النجر.. كان اسمك في قائمة الكتّاب الذين يمثلون سوريا وكنت أقرؤه كل يوم، وأقول مثلما قلتِ في إحدى رسائلك: إن ما يدور مفجع حقاً!

وعبر هذا الازدحام الذي لا مثيل له أنهمك كالمصاب بالصرع في كتابة المسرحية التي تحدثنا عنها في السيارة ذات يوم، ذات ليلة.. إنني أستشعر وأنا أكتبها طعم صوتك وبريق عينيك الإلهيتين في تلك الليلة النادرة التي كناها معاً (أواه كم كان ذلك نادراً ومفاجئاً وقصيراً!) وأحس كفيك على جبيني المحروق تستحثني مثلما يستحث المهماز خاصرة الأصيلة. أسميتها «حكاية الشيء الذي جاء من الفضاء وقابل رجلاً مفلساً» وأمس اقترحت لنفسي عنواناً آخر: «النبيّ والقبعة» على أساس أن القبعة تستر رأس الرجل من الخارج والنبيّ يستره من الداخل.. وما زلت في حيرة، ولكن المسرحية تمشي على ما يرام. إنني أكتبها لك!

لنعد إلى رسائلك الرائعة ورسائلي «المفجعة».. أجل، أيتها الشقيّة، أنا غاضب ومهرق ومطعون.. كنتِ تلك الليلة مريعة. آخر ليلة. كنتِ مثلما أردتك دائماً معي وحدي ولكنك لم تكوني معي، وكان هو[1] وكنتِ سعيدة

---

(١) احد أصدقائي، وصل من دمشق فجأة، فسهرت معه عشية سفري ومع غسان الذي تضايق من حضوره.

إلى حد زلزلني صوتك الضاحك وفتح في رئتيّ جرحاً ما زلت أحس نزيفه يبلل قميصي: لقد عملتُ في المكتب مثل كلب لاهث، ألغيت، لأول مرة في حياتي، دعوة كنت وجهتها لصديق مسافر في اليوم التالي وركضت إليكِ: لا! إن ذلك لا يحتمل.

وأمس فقط وصلتني رسالتك التي يقول أولها غسان ويأتي توقيعك في آخرها وبين هذين القلبين السياميين فراغ ثقيل يملؤه البياض: أبغض الألوان إليّ. وفكرت أن أملأ ذلك الفراغ. أن أكتب عنك لنفسي شيئاً. أن أجيب على هذا السؤال الذي طرحته ورقتك البيضاء في وجهي: ما الذي أريد أن تقوله لي؟ قلت: سأكتب: «أنا لكَ» ولكن ذلك ـ حتى ذلك ـ لم يكن يكفي. قلت سأكتب: «أحبك وأريد أن..» أريد ماذا؟ وعدتُ فقرأت رسائلك جميعاً وأنا أرتجف.. آه يا غادة.. أيتها الشقية التي لم ترتطم إلا بالشقيّ!.

دونك أنا في عبث. أعترف لك مثلما يعترف المحكوم أخيراً بجريمة لم يرتكبها وهو في طوق المشنقة، كي يبرر لنفسه نهاية لا يريدها.

أنا أعرف أنك لن تعودي إلى هنا. كنت أعرف ذلك منذ البدء، تماماً حين كنتِ، بذكائك الذي يخونك حين تكذبين، تقولين لي كم سيكون مستقبل علاقتنا مستقراً... وكنتُ أبكي بتلك الدموع المروّعة (التي لا تُرى) مرتين: مرة لأنك ستمضين ومرة لأنك تشكّين برأسي!

وكيف حالك الآن؟ كم صار سُمْك الغبار الذي راكمته لندن فوق وجهي؟ أما أنتِ فقد دخلت إلى عروقي وانتهى الأمر، إنه لمن الصعب أن أشفى منك.

لقد كانت رسائلك رائعة وحادة. حمّلني عذابُك ولؤمك ثقل المسؤولية والشعور بالذنب ولكن ذلك لم يكن له علاقة بالاقتناع: إنني أريدك وأحبك وأشتهيك وأحترمك وأقدس حرفك.. ولست أقبل تلوين ذلك بأي طلاء أو وضعه في صيغ التحفظ. لا. لست عاجزاً عن إعطاء أكثر مما أعطيت ولكنك دائماً ـ أنتِ ـ التي كنت عاجزة عن الأخذ. كنت تحسبين

نبضي ونبضك على جدول اللغرايتمات، كنت تختارين مني أسـوأ ما فيّ وتمزجينه مع ما اخترتِ من أسوأ تجاربك، وكانت الحصيلة قزماً توقعتِ منه أن يدخل فرحاً إلى غرفة أنت فيها بملابس النوم مع رجل آخر، عشية غيابك.! لقد قتلت فيّ الرجل لتعبدي وهماً ليس أنا.. ووجدتِ في اندفاعي فرصتك لتريْ كيف تستطيعين تعذيبي!

وكان عليك أن تتوقعـي ما حدث: لم أصدق قط أنك ضد أخـذ العلاقة إلى مداها. أنت امرأة حقيقية حتى كعب حذائك وقد عرفتُ ذلك. إذن ما الذي كان يرغمك على بناء جدار الجليد؟ رجل آخر؟ مزيداً من الذل؟ أمور أكثر تعقيداً؟ لماذا لم تعتقدي لحظة أنني قد آخذ من هذه الاتهامات متراساً أصد به الرماح التي كانت تنال من رجولتي ورغم ذلك: أنظري ما الذي ضيّعناه! انظري! عام كـامل من المشي عـلى الزجـاج المطحون لماذا؟ من المسؤول؟ كيف تريدين أن أتصرف؟ هاك دواء يصلح للتحنيط، ضعيه في عروقي واجعلي مني شطرين أسند رف كتب تافه في غرفة لك، لا أعرف من فيها!

تريدين أن تقولي أن روعة علاقتنا كانت في أنها لم تكن؟ إنني لا أصدق. ولست أريد أن أصدق. إنني لا أقيس جسدي بصيغ التهرب والخذلان، وأقول لك: اليوم وغداً وإلى الأبد أنك أهنتِ فيّ ما أعتز به أكثر مما كتبتُ وأكتبُ وسأكتب.

يبدو أننا سنتشاجر مرة أخرى.. ولكن أرجوك يا غـادة. اجلسي لنفسك قليلاً واستعيدي ما فعلته بي عاماً كاملاً، كان الصمت أكثر من الكلام. كان البعد أكثر من القرب. كان الوهم أكثر من الحقيقـة. كان الرفض أكثر من القبول. كان التحايل أفظع من المواجهة... لقد حرصتِ مثلاً في الأيام الأخيرة على المطالبة بأسطواناتك بانتظام وبإصرار، ولكنك أبداً لم تفكري بكم أحتاج لآلة التصوير ولأسطواناتي.. وسافرتِ دون أن تكترثي!

إنها تلخص شيئاً أكبر من مجرد هذه الأشياء: لو فكرتِ قليلاً. لو

عدلتِ. لو أعدتِ بينك وبين نفسك تقييم ما كنتِه لي وما كنته لـك... لو عرفت أنني في عام كامل كنتُ دائماً عندك ولك!

يا حبيبتي الشقيّة.. ما الذي يبقى؟ ما قيمتي الآن دونك وما نفع هذا الضياع ونفع هذه الغربة؟ لم يكن أمامنا منذ البدء إلا أن نستسلم: للعلاقة أو للبتر، ولكننا اخترنا العـلاقة بـإصرار إنسانـين يعرفـان ما يريدانه.. لقد استسلمّنا للعلاقة بصورتها الفاجعة والحلوة ومصـيرها المعتم والمضيء وتبادلنا خطأ الجبن: أما أنا فقد كنت جباناً في سبيـل غيري، لم أكن أريد أن أطوّح بالفضاء بطفلين وامرأة لم يسيئوا إليّ قط مثلما طوّح بي العالم القاسي قبل عشرين عاماً، أما أنت فقد كان ما يهمك هو نفسك فقط.. كنت خائفة على مصيرك وكنتُ خائفاً على مصير غيري، وقد أدى الارتطام إلى فجيعة لا هي علاقة ولا هي بتر.. أتعتقدين أننا كنا أكثر عذاباً لو استسلمنا للقطيعة أو لو استسلمنا للعلاقة؟ لا!

أم أنـا فأريـد العلاقـة. ذلك «الاستسـلام الشجاع»[١] لحقيقة الأشياء... تحدثتِ أنت عن «أكثر الميتات كرامة».. هل تقولين أينها؟ في العلاقة أم البتر؟ قولي شيئاً بحق الشياطين!

سأظل أكتب لك. سأظل. وسأظل أحبك. وستظلين بعيدة.. وستظل قدمي تنتفض باتجاه مكبح السيارة كلما مررت في رأس النبع[٢] وشهدت سيـارتك واقفـة هناك عـلى الـرصيف.. أنت تسكنـين فيّ. أنتِ. وليس «كلماتك» كما كتبتِ لي. أنتِ!

..لكِ

غسان كنفاني

---

(١) تعبير من رسالة كتبها لي ونشرها في ملحق **الانوار** على النحو الذي نراه في ص ٨٢ من هذا الكتاب. وهي ككل نصوص غسان كنفاني الوجدانية الشعرية ما تزال تنتظر جمعها في كتاب يضاف إلى أعماله الكاملة.

(٢) حيث بيت الصديق عاطف السمرا سكرتير تحرير مجلة **الاسبوع العربي** ، يومئذ، والذي استودعته سيارتي حين سافرت.

هام: كان أحمد بهاء الدين عندي اليوم وطلب مني «جاداً ورسمياً» أن أكتب لكِ رجاءه ورجاء مؤسسته (دار الهلال) بأن تكتبي «للمصوّر» من لندن رسائل أدبية وفنيـة وإذا شئت سياسية بأسلوبك. إن المصوّر مجلة جادة وذات توزيع مرتفع وتدفع أسعاراً جيدة.. إذا رغبتِ بذلك ابعثي له رسالة إلى دار الهلال في القاهرة.. إن ذلك في رأيي فرصة جيدة ومفيدة، وسيكون الاتفاق واضحاً: يحوّلون لك الفلوس إلى لندن أو يفتحون بها حساباً لك في القاهرة ـ إنه يهديك تحياته أيضاً..

بيروت ٣ نيسان ١٩٦٧

يا غادة !

تلقيت رسالتك حينما ، ولم يوقظني منه الجواب الا ذلك الأرق الخفيف في انشغالك لا نهاية لها . توصلت مؤتمر الكتاب الافرو آسيوي الذي عقد هنا طوال الاسبوع الماضي وشغلني من الفجر الى الفجر .. كان احسن ما في قائمة الكتاب الذين يعلنون سورية . وكنت اقرؤه كل يوم ، واقول مثلما تقترح في احدى رسائلك : انه ما يدور ممتع حقاً !

وعبر هذا الازدحام الذي لا شكل له انتهيت لاهتمام بالصرع في كتابة مسرحية التي قدمتها علماً في السيارة ذات يوم ، ذات لحظة .. انني استشعر وانا اكتبها طعم صوتك وبريق عينيك الاطفئية في تلك اللحظة النادرة التي كنا فيها معاً (اواه كم كان ذلك نادراً ومخاصماً وقصيراً !) واحس كفيك تمسح جبيني المحموم تسحقني معاً بسخاء الهدأة الماهرة الاصيلة . احسستها " حكاية الشيء الذي جاء من الفضاء وقابل رجلاً مخلصاً " واصبح اقترحت لنفسه عنواناً آخر : " النبي والقبعة " مع اساس ان القبعة تستقر على رأس رجل من الخارج والنبي يسترد من الداخل .. وما زلت في حيرة ، ولكن مسرحية تمشي مع الايام . انني اكتبها !

لقد الى رسالتك الرائعة رسالتي " الحقيقة " .. اه ، ايتها الشقية ، انا غاضب ومرهق ومطعون .. كنت اترك اللحظة تربطني آخر ليلة . كنت مثلما اردتك دائماً معي وعندي ، ولكنك لم تكوني معي ، وكان هو . وكنت بصعوبة [illegible] صوتك الضاحك وفتح في رأسي جرحاً ما زلت احس نزيفه يبلل قميصي . لقد جمعت في المكتب شيئاً كلفني لا ادري ، الغيبة ، الاوراق ، حياتي ، دعوة كنت وعدتك بصدقه [illegible] في اليوم التالي ، وكفتني اليوم : لا ! ان ذلك لا يكفي .

واحس فقط وحشتي رسالتك التي تقول [illegible] عمان ، وأي توقعته في آخرها وبين هذين التقيتين السياسيين فراغ [illegible] الماضي : ابحث الالوان الى " . وقدرت ان اجلس ذلك الفراغ . ان اكتب عنك لنفسي شيئاً . ان اجيب عن هذا السؤال الذي طرحته ورقتك البيضاء في وجهي : ما الذي اريد ان تقوله لي ؟ قلت : سأكتب : " انا [illegible] " ، ولكن ذلك - حتى ذلك - ما كان يكفي . قلت سأكتب : " احبك واريد ان .. " اريد ماذا ؟ وعدت فقرأت رسائلك جميعاً وانا ارتجف .. آه يا غادة .. ايتها الشقية التي لم ترحمني الا بالشقاء !

رنين الاسم في عيني . اعترف انك مثلما يعترف المحكوم اخيراً بجريمة لم يرتكبها وهو في طوق المشنقة ، كي يبرر لنفسه نهاية لا يريدها .

انا اعرف انك لن تعودي الى هنا . كنت اعرف ذلك منذ البدء ، تماماً حين كنت في شكلك الذي [illegible] حين تكذبين ، تقولين لي كم ستكون [illegible] علاقتنا [illegible] . ولكنت ابكي مثل الدموع المروعة (التي لا تُرى) مرتين : مرة لأنك ستمضين ومرة لأنك تشكين برأسي !

وكيف حالك انت ؟ كم صار [illegible] الغبار الذي رأيته [illegible] فوق وجهي ؟ اما انا ، فقد وصلت الى عروقي [illegible] انه من الصعب ان اشفى منك .

لقد كانت رسالتك رائعة وحارة . حملتني عذاباً ولومك شقي بمسؤولية [illegible] ولكن ذلك لم يكن له علاقة بالاقتناع : انني ادرك واصدق واستحق واحترم واقدس غرفة .. ولست اقبل كون ذلك [illegible] او وضعه في صيغ التحفظ . لا . لست عاجزاً عن اعطاء اكثر مما اعطيت ، ولكن دائماً [illegible] التي كنت عاجزة عن الأخذ . كنت [illegible] تحسبين نبضي [illegible] في جدول اللوغاريتمات ، كنت تتأكدين مني اسوأ ما فيّ ، وتعرضينه مع ما افترضته اسوأ ما في رجلك ، وكانت الحصيلة قرضاً توقعته منه ان يحمل فرحاً الى غرفة انت فيها [illegible] النوم مع رجل آخر ، [illegible] !
لقد تمكنت من الرجل لتصيري [illegible] ليس انا .. ووضعتني في اندفاعي فرصتك لتركي كيف تستطيعين تعذيبي !

وكان عليك ان تتوقعي ما حدث : لم اصدق [illegible] انك ضد اقذر الحارقة

... وقد عرفت ذلك . إذن ما الذي كان يرغمني على بناء
إلى مداها . أنت امرأة متفتحة حتى ... لماذا لم تختصري كل هذه
هذا الجليد ؟ رجل آخر ؟ مزيداً من المال ؟ أمور أكثر تحضراً ؟
إنني قد أخذت من هذه ... [illegible] ... الذي كانت تسأل عن رجولتي ؟
ورغم ذلك : انظري ما الذي فعلته ! انظري ! عام كامل من ... في الزواج المحفوف "
ماذا ؟ من المسؤول ؟ كيف تريدين أن أتصرف ؟ هل من دواء يصلح للتحنيط ، ضعيه في
عروقي ... [illegible] ... لا أعرف من قبل !

تريدين أن تقولي أن روعة علاقتنا كانت ... لم تكن ؟ إنني لا أصدقه . ولست
أريد أن أصدقه . إنني لا أقسو ... بصيغ التقريب والمذكرات ... وأقول لك : اليوم أو غداً
وإلى الأبد إنك العنصر في ما ... أكثر من كتبت ، أكثر ... وسأكتب

يبدو أننا ... [illegible] ... نفسه مثلاً أو ...
ما نعيشه في عام كامل ، كان ... أكثر من الكلام . كان العدد أكثر من المطلوب . كان الأهم أكبر
من الحقيقة . كان الرفض أكثر من القبول . كان التحدي أوضح من ... لقد مرضت مثلاً من
... [illegible] ... بانتظام ... ولكنك أبداً لم تفكري كم احتاج أنا
لتلك ... [illegible] ... !

إنه تخص شيئاً أكبر من ... لو فكرت قليلاً . لو عدلت . لو
... [illegible] ... لو عرفت أنني لا عام كامل
كنت دائماً عنده ولك !

يا حبيبتي الشقية .. ما الذي يبقى ؟ ما قيمتي أنا دونك وما نفع هذا الضياع
وما نفع هذه الغربة ؟ لم يكن أمامنا منذ البدء إلا أن نستسلم : العلاقة أو البتر . ولكننا
اقترنا العلاقة ... [illegible] ... لقد استسلمنا للعلاقة بصورتيها
الناصعة والحلوة ، ... والمضي وتبادلنا خطأ الجبين . أما أنا فقد كنت جباناً
في ... عمري ، لم أكن أريد أن ... بالفضاء ... لم ... قط مثلما طوح
في العالم القاسي قبل عشرين عاماً . أما أنت فقد كان ... هو نفسك فقط .. كنت خائفة
على ... وكنت خائفاً على مصير عمري . وقد أدى الارتطام إلى ... علاقة
ولا ... . إنا كنا أكثر عذاباً لو استسلمنا للقطيعة أو لو استسلمنا
للعلاقة ؟ لا !

الآن أما ... العلاقة . ذلك "الاستسلام الشجاع" لحقيقة الأشياء ... لقد
... أكثر العينات كراهة " .. هل تحولين ... ؟ ... العلاقة أم في
البتر ؟ قولي شيئاً كي ... !

... [illegible] ... وسأظل ... وستظلين ...
قدمي ... كلما ... [illegible] ...
واقفة هناك على الرصيف .. أنت تسكنين في ... . وليس ... ، كما كنت
في ... !

... [signature]

هام : كان ... عندي اليوم وطلب مني ... أن أكتب لك ... [illegible]
(دار الهلال) ... بالصورة ... [illegible] ...
... توزيع مرتفع ... [illegible] ...
في القاهرة .. ... فرصة ... [illegible] ...
... القاهرة ... [illegible]

١١/٤/١٩٦٧

غادة..

لست أعرف ماذا يتعين عليّ أن أكتب لك.. لقد أرسلت لك رسالة مطولة منذ أسبوع، ومع ذلك فرسائلك تقول أنك لم تتسلمي شيئاً، وأنا أشعر بالذنب، وأخشى أن تعتقدي للحظة أنني ألعب دوراً، أو أن نبضي لك قد أخذ يخفق في فراغ، أو أنه صمت، أو أنه اتجه نحو مرفأ آخر: دونك أيتها الغالية لا شيء ولا أحد.. وغيابك ـ ليكن من يكن الذي سيختاره ـ لن يعوض.. بعدك مستحيل. دونك لا شيء ولكن غيرك غير ممكن.

أنت في جلدي، وأحسك مثلما أحس فلسطين: ضياعها كارثة بلا أي بديل، وحبي شيء في صلب لحمي ودمي، وغيابها دموع تستحيل معها لعبة الاحتيال.

لقد وقع الأمر، ولا فرار.. العذاب معك له طعم غير طعم العذاب دونك، ولكنه، دائماً، عذاب جارح، صهوة تستعصي على الترويض.

إنني أكره ما يذكرني بك، لأنه ينكأ جراحاً أعرف أن شيئاً لن يرتقها. أنا لا أستطيع أن أجلس فارتق جراحي مثلما يرتق الناس قمصانهم... ويا لكثرة الأشياء التي تذكرني بك: الشعر الأسود حين يلوّح وراء أي منعطف يمزّع جلدي، النظارات السود ما تزال تجرحني.... السيارات، الشوارع، الناس، الأصدقاء الذين تركتِ على عيونهم بصماتك، المقاعد، الأكل، الكتب، الرسائل، المكتب، البيت، الهاتف، كل ذلك، كله.. هو أنت، وقبله: أذكرك طالما أنا أنا.. وحين أنظر

إلى كفّي أحسك تسيلين في أعصابي.. وحين تمطر أذكرك، وحين ترعد أسأل: من معها؟ وحين أرى كأساً أقول: هي تشرب؟ ثم ماذا؟

لقد صرتِ عذابي، وكتب عليّ أن ألجأ مرتين إلى المنفى، هارباً أو مرغماً على الفرار من أقرب الأشياء إلى الرجل وأكثرها تجذراً في صدره: الوطن والحب.

وإذا كان عليّ أن أناضل من أجل أن أسترد الأرض فقولي لي، أنت أيتها الجنية التي تحيك، كل ليلة، كوابيسي التي لا تحتمل.. كيف أستردك؟

أقول لك، دون أن أغمض عينيّ ودون أن أرتجف: إنني أنام إلى جوارك كل ليلة، وأتحسس لحمك وأسمع لهاثك وأسبح في بحر العتمة مع جسدك وصوتك وروحك ورأسِك، وأقول وأنا على عتبة نشيج: يا غادة يا غادة يا غادة...

وأغمض عينيّ.

وحين أكتب ليس ثمة قارىء غيرك، وحين أقود سيارتي في تعب الليل وحيداً أتحدث إليك ساعات من الجنون، أتشاجر، أضحك، أشتم السائقين، أسرع، ثم أقف: أحتويك وأقبلك وأنتشي.

إنني على عتبة جنون ولكنني أعرف قبل أي إنسان آخر أن وجودك معي جنون آخر له طعم اللذة، ولكنه ـ لأنك أنتِ، التي لا يمكن أن تُصلح في قالب أريده أنا ـ جنون تنتهي حافته إلى الموت!

أمس رن الهاتف في المنزل، ورفعت السماعة.. لم يكن ثمة أحد يتكلم على الطرف الآخر وهمست، بعد لحظة، بصوت جبان: غادة؟

وهذا كله لا يهمك.. أنت صبيّة وفاتنة وموهوبة.. وبسهولة تستطيعين أن تدرجي اسمي في قائمة التافهين، وتدوسي عليه وأنت تصعدين إلى ما تريدين.. ولكنني أقبل.. إنني أقبل حتى هذه النهاية التعيسة!

ماذا أقول لك؟ إنني أنضح مرارة.. يعصر لساني الغضب مثلما

يعصرون البرتقال على الروشة، لا أستطيع أن أنسى، ولا أستطيع أن أبعد عن وريدي شفرة الخيبة التي بذلتِ جهداً، يشهد الله كم هو كبير، لتجعليني أجترعها بلا هوادة!

ماذا يهم؟ ها أنتِ تكتبين الآن وأنتِ على بعد الفي ميل ما كنت تستطيعين أن تقوليه حين كنا يداً في يد... ومع ذلك فهاتي الحب! كيف؟ كيف؟

لا أعرف ماذا أريد. لا أعرف ماذا أكتب. لا أعرف إلى أين سأنتهي. والآن - خصوصاً - أنا مشوش إلى حد العمى: إن النقرس يفتك بي مثل ملايين الإبر الشيطانية. اشفقي عليّ أيتها الشقية... فذلك، على الأقل، شيء يقال.

قلتِ: نتحادث في الهاتف.. أما أنا فليس لدي قرش أستطيع أن أصرفه، وأن أصرفه خصوصاً على عذاب لا أحتمله. لقد تقوّض هذا الشيء الذي كنته، وأنا حطام، وأعرف أن ذلك شيء لا يسرّك كثيراً، ولكنه حدث: عنوان القصة.

حازم[1]؟ أجل حازم، من نوع أكثر صميمية: إنني أكثر شجاعة منه في وجه العدو المعذِّب، ولكنني أقل منه شجاعة في وجه الحب.

إنني أعطيك بطل قصة، مخلوق جدير بالتفحص في انبوب اختبار.. وسأكون سعيداً لو عرفتِ كيف تكتبين عن رجل أحبك حقاً، ولم يخطىء معك، وظل يحترمك، ولم يكترث بأيما شيء في سبيلك... دون أن تمنحيه بالمقابل شيئاً إلا «آذان الآخرين» والاغتراب والصمت.

لا!

لا تتحدثي معي بالهاتف.. اكتبي لي كثيراً.. أنا أحب رسائلك إلى حد التقديس، وسأحتفظ بها جميعاً وذات يوم سأعطيها لك.. إنها - أيتها الشقية - أجمل ما كتبتِ وأكثرها صدقاً..

---

(١) أحد ابطال قصص كتابي ليل الغرباء.

كنتُ قلتُ لك في رسالتي السابقة انهم يريدونك لتكتبي للمصور من لندن.. حاولي أن تفعلي، واكتبي لأحمد بهاء الدين.

أرجوكِ: أكتبي لي.

غسان كنفاني

١١/٤/١٩٦٧ .

غادة ..

لست اعرف ماذا يتعين علي ان اكتب لك .. لقد ارسلت لك رسالة مطولة منذ اسبوع ، ومع ذلك فرسائلك تقول انك لم تتسلمي شيئاً ، وانا اشعر بالذنب ، واخشى ان تعتقدي لحظة انني العب دوراً ، او انني نسيتك قد اخذ يغمرني فراغ ، او انك صرت ، او انني اتجه نحو طرفاً آخر : دونك انت العالم لا شيء ولا احد .. وغيابك - لكن مهما كان الذي سيختاره - لن يعوض .. بعدك مستحيل ، دونك لا شيء ولكن غيرك غير ممكن .

انت في جلدي ، واحسك مثلما احس فلسطين : ضياعها كارثة بلا اي بديل ، وحبي شيء في صلب لحمي ودمي ، وغيابها دموع تستحيل معه لعبة الاحتيال .

لقد وقع الامر ، ولا فرار .. العذاب معك له طعم غير طعم العذاب دونك ، ولكنه ، دائماً ، عذاب جارح ، وهوة تستعصي على التعويض .

انني اكره ما يذكرني بك ، لانه يفتح جراحاً اعرف ان شيئاً لن يرتقها . انا لا استطيع ان احسن ما ارتق جراحي مثلما يرتق الناس قمصانهم ... وما اكثر الاشياء التي تذكرني بك : الشعر الاسود حين يلوح وراء اي منعطف يمزع جلدي ، النظارات السود ما تزال تجرحني .. السيارات ، الشوارع ، الناس ، الاصدقاء الذين تركت في عيونهم صباك ، المقاعد ، الاكل ، المكتب ، الرسائل ، المكتبة ، البيت ، الهاتف - كل ذلك ، كله .. هو انت ، وقبله : اذكرك طالما انا انا .. وحين انظر الى كفي احسك تسيلين في اعصابي .. وحين تمطر اذكرك ، وحين

تُرعد أسأل: من محمد؟ وحين
أرى كأسه أقول: هل تشرب؟ ثم
ماذا؟

لقد صرت عذابي، ولست على
أن أبقى مرتبة في المنفى، هارباً أو
مرغماً على الفرار من أقرب الأشياء
إلى الروح وأكثرها حباً تجذراً في صدره:
الوطن والحب.

وإذا كان علي أن أمضي من أجل
أن أسترد الأرض مقتولاً بي، أنت
ابنتي الجنية التي تحبه، كل ليلة،
كوابيسي التي لا تنتهي.. كيف أستردك؟

أقول لك: دون أن أغمض عيني
ودون أن أتوقف: إنني أنام إلى جوارك
كل ليلة، طفلة وأتحسس لحمك وأمسح
شعرك وأسبح في بحر العتمة فمع
جسدك وصوتك وروحك ورائحتك،
وأقول وأنا على عتبة نشيج: يا غادة
يا غادة يا غادة...

وأغمض عيني.

وحين أكتب أنسى ثمة قدمي غيرك،
وحين أقود سيارتي في تعب الليل
وحيداً، أحدث الليل ساعات من جنون،
أتشاجر، أضحك، أشتم السائقين،
أسرع، ثم أتوقف، أحتويك وأقبلك
وأنتشي.

إنني على عتبة جنون ولكنني أعرف
قبل أي إنسان آخر أن وجودك فيَّ
جنون آخر له طعم اللذة، ولأنه
سرابك أنت، التي لا يمكن أن تُصبح في
قالب أريده أنا ـ جنون تنتهي حافته
إلى الموت!

أحس رن الهاتف في المنزل، ورفعت
السماعة.. لم يكن ثمة أحد يتكلم على
الطرف الآخر وهمست، بعد لحظة،
بصوت جبان: غادة؟

وهذا كله بلا معنى .. انت ضعيفة
وفاتنة ومرهوبة .. وبسهولة
تستطيعين ان تدخلي اسمي في
قائمة التائهين، وتدوسي عليه
وانت تصعدين الى ما تريدين ..
ولكنني اتمنى .. اني اتمنى حتى هذه
اللحظة المغيبة !

ماذا اقول لك ؟ اني اطفح
مرارة .. يجعل لساني الخشب
مثلما يعرفون البرتقال مع الوشة ،
لا استطيع ان انسى ، ولا استطيع
ان ابعد عنه وريدي شفرة
الجنية التي بذلت جهداً ، يشهد
الله كم هو كبير ، لتجعلني امرأة
بلا هوادة !

ماذا يهم ؟ ها انت تكتبين
الان وانت مع مجد الفن مثل ما
كنت تستطيعين ان تقوليه حينما
كنا يداً بيد ... ومع ذلك تكتبين
الحب ! كيف ؟ كيف ؟

لا اعرف ماذا اريد . لا اعرف
ماذا اكتب . لا اعرف الا انني نسيتني .
والان مصلوباً امشي مشوشاً
الى حد الحمى ! ان الفردوس يتشكل
في شكل ملابسه الابر الشيطانية
تستقر على ابرة الشهية ---
مثلك ، مع الوقت ، حتى يقال .

فلتترك تجارب الهاتف ..
اما انا فليس لدي قرش استطيع ان
اصرفه ، ولا اصرفه مصلوباً على
عذاب لا احتمله . لقد تقوض هذا
الشيء الذي كنته ، وانا محطم ،
واعرف ان ذلك شيء لا يسر كثيراً ،
ولكنه حدث بعنوان القصة .

هازم ؟ اجل هازم ، ...

نوع الرومنسية : اني اكثر شجاعة
منه في وجه العدو المعذب ، ولكني
اقل منه شجاعة في وجه حبه .

اني اعطيك بطل قصة .
فكوني جديرة بالتخصص في اسلوب
الشتاء .. وساكون سعيداً لو
عرفت كيف تكتبين عن رجل
احبك حقاً ، ولم يخطئ معك
وظل يحترمك ، ولم يكن باغياً
شيئاً في سبيله ... ودونه حقوقه
يقابل شيئاً الا " آذان
الآخرين " والاغتراب والصمت .

لا !
لا تتحدثي معي بالهاتف .. اكتبي
لي كثيراً .. انا احب رسائلك اكثر من
التقريب ، وساحتفظ بها جميعاً
وذات يوم ساعطيك اياها .. انها
- انها الشفة - اجمل ما كتبت
واكثرها صدقاً ..

كنت قلت لك في رسائلي
السابقة انهم يريدونك لشيئي
للحضور من لندن .. حاولي ان
تفعلي ، ولكني لا اهديتها موعداً .
ارجوك ، اكتبي لي .

بطاقة بريدية من السودان
١٧ مارس ١٩٦٨

الأخت غادة السمان

مجلة الحوادث
بيروت
لبنان

رغم كل القيظ الذي هنا أردد دائماً: شو هالبرد[١]! لا ينقصني إلا ٣ كيلو[٢] من الوزن أنتظرها كما ينتظر العطشان.. أذكرك، واخترت هذه البطاقة بدقة لأنني أعرف كم تحبين الموسيقى وكم أغتاظ منها... تحياتي لكم جميعاً..

غسان

(١) العبارة التي سبق أن كتبتها له في بطاقة بريدية.
(٢) كان يريدني أن أضيف ٣ كيلوغرام إلى وزني خوفاً على صحتي، وحتى اليوم لم أفعل!..



بطاقة بريدية من السودان

Scenes from Sudan
Visages du Sudan
Immagini del Sudan





17. …

رغم كل القيظ الذي هنا
اردد دائماً : شو ها البرد !
لا ينقصني الا ٣ كيلو متر
الوذه انتظرها كالمنتظر السلام ..
اذكرك ، والثقة تـ هذه البطاقة
حقيقة بيني اعرف كم تحبني
انو سيئ وكم الغنائم سنة ...
تهاني لكم جميعاً ..

[signature]

S-11

ital graph – genova

الآنسة غادة السمان

مجلة الحوادث

بيروت

لبنان

PRINTED IN ITALY

بطاقة من أسوان إلى بيروت(*)

١٤/٢/٦٨

تحيات وأشواق من المؤكد أنها ستدفعني للوصول قبل هذه البطاقة...

غسان

(١) تعذر عمل صورة (فوتوكوبي) عن البطاقة لأنها مكتوبة بحبر أحمر فاتح اللون جداً.

١٩٦٨/٨/٢٥

عزيزتي غادة..

في نفس اليوم الذي تلقيت فيه رسالتـك كنت قد أخـذت عنوانـك من سليم[١] وعزمت على الكتابة لك مطولاً، ولكن حين قرأت اسم كريس[٢] في العنوان انتابني شيء غامض، واكتفيت بأن أكتب لك، على عنواني[٣]

نزلت علي رسالتك كما المطر على أرض أعتصرها اليباس. مثلك لا شيء. مكانك لا يملأ، كلماتك وحدها التي لها صوت يغطس إلى أعماقي. أراك دائماً أمامي، أشتاقك، أعذب نفسي بأن أحاول نسيانك فأغرسـك أكثر في تربة صارت كالحقول التي يزرعون فيها الحشيش: لا تقبل زرعاً غيره إلا «عباد الشمس»، وأنا لن أنهي حياتي عباداً للشمس. أقول لك: إنني أشتهيك، ولا أستحي لأنك صرت الشيء الوحيد الذي أخفق له. هل

(١) سليم اللوزي.

(٢) كريستوفر، صديق بريطاني من أصدقائي في لنـدن، وكنت مشردة تلك الفتـرة فتكرم بإعارتي عنوانه البريدي.

(٣) هذه الرسالة نشر غسان بعضها في ملحق الأنوار الأسبوعي الذي كان يرئس تحريره، وكتب بعضهـا الآخر بخط يـده على هـامش الجزء المنشـور كمـا يـرى القـارىء في (الفوتوكوبي). وفي تونس، كتب الأستاذ عبد الرحمـن مجيد الربيعي في جريدة الصدى بتاريخ ١٩٩٠/٩/٢٣ يقول: «احب ان اذكر ان المرحوم غسان كنفاني عمل في أواخر الستينات رئيساً لتحرير الملحق الأسبوعي لجريدة الأنوار اللبنانية وكان يكتب صفحة اسبوعية فيها. صفحة لا يحلل الوضـع السياسي العربي او العالمي بل يكتب عن خفق قلبه ونبض وجدانه وكل أصدقائه كانوا يعرفون ان تلك الصفحات كانت لغادة وعنها، فلماذا لا تنشر في كتاب ايضاً سيما وان هناك لجنة مهتمة بنشر تراثه كاملاً؟ كما كان غسان يكتب زاوية لنقد الكتب الجديدة ويوقعها باسم فارس فارس، هذه الكتابات لم تر النور كذلك ويجب أن يحصل لها ذلك».

سأراك حين تعودين؟ أم تفضلين الكفر بتلك الساعات التي جبلت في لحمنا حتى القرار؟

مأساتي (ومأساتك) انني أحبك بصورة أكبر من أن أخفيها وأعمق من أن تطمريها. أتراك في نفس المكان؟ إذن يا للمأساة التي لن تنتهي! أقول لك: تعالي، ودعينا نهدم الجدران جميعاً، إن حياتنا أصغر من أن نهدرها في الشطارة. أعترف!

... وهأنذا مَتروك هنا، كشيء!

كيف تركتك تذهبين؟

كيف لم تطبق كفاي عليك مثلما يطبق شراع في بحر التيه على حفنة ريح؟

كيف لم أذوبك في حبري؟ كيف لم أجعل من لهاثينا معاً زورقنا الواحد إلى نبض الحياة الحقيقي؟

كيف ذهبت دون أن أحس بك؟ كيف مرت عيناك في عمري دون أن تتركا على وجهي بصماتهما؟ كيف لم أتمسك بك؟ كيف تركتك - يا هوائي وخبزي ونهاري الضحوك - تمضين؟

أيتها المرأة الطليقة، يا من قبلك لم أكن وبعدك لست إلا العبث، من بحر عينيك سقيت ضياعي جرعة الماء التي كانت دائماً سراباً، وفوق راحتيك تعرفت إلى مرساتي ووسادتي وليلي.

يا طليقة! أيتها المرأة التي مثلك لا يرى، أيها الشعر الذي رف تحت جفني مثل جناحي عصفور ولد في رحم الريح، أيتها العينان اللتان تمطران خبز القلب وملح السهوب الجديبة، يا طليقة: كيف انخلعت هكذا عني؟ كيف شلت مرساتك من عشبي وتركت بحري؟ بعدكِ ليس إلا الخواء، دونك لست إلا قطرة مطر ضائعة في سيل.

عشت معك حقيقة عمري. ضعت فيك إلى حد لم أصدق أنِه قد تمضين، كان ذلك مثل المستحيل، ولكنك - ذات صباح - غبت، كما لو أن شروقك في جبيني لم يكن!

وورقة على حافة الفجيعة:

«غادرت لتوك، وما زلت أحسك بين ذراعي. راقبت المصعد يهبط، الضوء ينطفيء، خطواتـك تختفي. وغداً سـأراك لأودعك، ولكن ذلـك سيكون مرعباً، إلا إذا تصرفنا بحذاقة غير إنسانية... هل أقول لك: إلى اللقاء؟ إنها كلمة ليست شخصية بصورة كافية، تبدو وكأن شخصاً ما قد استعملها قبل لحظة وتركها مرمية هناك. الشيء الوحيد الذي أستطيع أن أقوله..»

أيتها الطليقة...

ذلك كله عبث. الكلمات كلها علكت من قبل أناس آخرين، ولكن وقع يدكِ على جبيني كان دائماً ولادة لشيء رائع ومتوهج، مثل ومضة لهب، كان دائماً شيئاً خاصاً وشخصياً ولا يعوض.

الكلمات عبث، أيتها السحابة التي أمطرت على جفافي موسماً من الخصب، ولكن في عينيك كانت توجد دائماً الكلمة الجديدة البكر التي لم تصدأ من كثرة ما تناقلتها الشفاه. كانت تولد في قبضة الصمت نبضاً عبقرياً يلتمع بالدهشة.

الكلمات عبث، وانت كنت دائماً لغتي التي لا يفهمها أحد، وراء التعويذات التي اخترعها أجدادنا وسموها حروفاً وأصواتاً، لقـد كان شعـركِ مطري، وراحتـك وسادتي، وذراعـك جسري، وعيناك بحـري، وشفتاك كأسي. كان انتظارك عمري، وحضورك ولادتي وغيابك ضياعي.. وها أنت تذهبين مثلمـا تعبر ريح الصباح شباكاً مهجوراً: تحييه لحظة، ثم تعيده إلى الغيب...

كيف تركتك تذهبين؟ ما الذي سأفعله بعدك؟ أي أرض ستخصب بعدك؟ وأي شباك سيدخل إلى جفافي ويباسي ريح الصبح؟

سأعلك الندم عمري. ندمك وندمي. لقد نسفنا بأيدينا الشجـرة الوحيدة التي صادفناها في رحلة عمرينا، ولم يبق أمامنا إلا أن نكمل الشوط في قيظ الوحدة التي لا ترحم. أنت وأنا اعتقدنا أن في العمر متسعاً

لسعادة أخرى، ولكننا مخطئون، المرأة توجد مرة واحدة في عمر الرجل، وكذلك الرجل في عمر المرأة، وعدا ذلك ليس إلا محاولات التعويض، بذل النسيان والندم راقة فوق راقة.

إن أسعدنا هو أبرعنا في التزوير، أكثرنا قدرة على الغوص في بحر الأقنعة. ننسى؟ ذلك مستحيل، وأنا ـ أيضاً ـ لا أريد أن أنسى. ليس بوسعي أن أطمر الزهرة الوحيدة في عمري هكذا، لمجرد أنك ذهبت، وأن أملي في أن ألقاك هو مثل أملي في أن ألقى طفولتي.

فيا أيتها الطليقة التي حملها جناحاها إلى أرض لا أعرفها، والتي كان علي منذ البدء أن أعرف بأنها، مثل العصافير، ستضرب في فراغ السماء وجاذبية المدى الذي لا يحده حد، لست أطمع منك بالعودة. لقد رف جناحاك في زنزانتي وتركا في هوائها الساكن شيئاً يشبه خفق القلب، زرعا في صمتها خفقة طليقة وتركاها تغطس في وحدتها المرة.

لست أطمع منك بالعودة، فالعصافير لا تسكن أعشاشها مرتين، وحين نفضت عن ريشك كسل القرار عرفت أنا أنك لن تعودي..

ولكن كيف تركتك تذهبين؟ كيف لم أربط نفسي إليك مثلما ربط السندباد نفسه إلى ريش الرخ؟

ليس عندي، أيتها الطليقة، يا خبزي ومائي وهوائي، إلا الندم، وبعيداً في قراره توجد بذرة للشجرة القادمة.

بلى.

سأراك مرة أخرى، ذات يوم. ترانا ـ يومذاك ـ سنكسر من حول جلودنا يراقات النسيان التي سنبنيها فوق اللحظات النادرة في حياتنا، كي لا نظل صرعى الخذلان؟

إن العمر خديعة، يا طليقة، وإلا كيف يمكن أن يكون عمري معك عمراً وعمري دونك عمراً أيضاً، وكيف يمكن ـ بعد هذين العمرين ـ أن أراك مرة أخرى وتكونين أنت وأكون أنا؟ لماذا لا؟

ماذا أقول لك؟ إن النسيان هو أحسن دواء اخترعه البشر في

رحلتهم المريرة، ومع ذلك فأنا لن أنســاك. أنت تخفقين في رأسي مثــل جناحي عصفور طليق، أمام بصري ينتثر ريش الطائر الذي حط وطار، مثل لمح البصر...

وها أنذا، متروك هنا كشيء، على رصيف انتظارٍ طويل، يخفق في بدني توق لأراك، وندم لأنني تركتك تذهبين. أشرع كفّي اللتين لم تعرفا، منذ تركت، غير الظمأ.

وأقول: تعالي..

غسان كنفاني

عزيزتي غادة..

في نفس اليوم الذي تلقيت فيه رسالتك من [illegible] وعزمت [illegible] لعنوانك!

كنت قد اخذت عنوانك [illegible] وانت [illegible] مع عنوان [illegible]

الكتابة من مطولة، والتفت [illegible] الى الارض التي لم [illegible] صوت بفظ

كتابي شيء غامض، [illegible] المطر ومرها [illegible] نفسي [illegible] اماوه

[illegible] رسالتك، كلهك [illegible] [illegible] [illegible] انني [illegible]

مثل لا شيء. مكانك [illegible] [illegible] [illegible] ارالت [illegible] لوحده صرت الشيء؟

[illegible] ابدا، امامي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] تعودني

[illegible] كثر [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الدعاء التي

[illegible] [illegible] اقول لك [illegible] [illegible] [illegible] متى القادمة؟

الوحيد الذي ام تفضيني [illegible] حنا مجبت!

... وهانذا متروك هنا، كشيء!

فأنا (وما زلت) اشعر انني احببته صورة اكبر من ان احتمله

واجمل من ان تطمره . أتراك في نفس المكان؟ ازرع في [illegible]

التي لم تمنحني! اقول لك: تعالي، ودعينا نهدم الجدران جميعاً،

ان حياتنا اصغر من ان نهدرها في الشطارة. اعترف!

كيف تركتك تذهبين ؟
كيف لم تطبق كفاي عليك مثلما يطبق شراع في بحر التيه على حفنة ريح ؟
كيف لم اربطك في حبري ؟ كيف لم اجعل من لهاثنا معا زورقنا الواحد الى نبض الحياة الحقيقي ؟
كيف ذهبت دون ان احس به ؟ كيف

مثل ومضة لهب ، كان دائما شيئا خاصا وشخصيا ولا يعوض .
الكلمات عبث ، ايتها السحابة التي امطرت على جفافي موسما من الخصب ، ولكن في عينيك كانت توجد دائما الكلمة الجديدة البكر التي لم تصدأ من كثرة ما تناقلتها الشفاه . كانت تولد في قبضة

التي طفولتي .
فيا ايتها الطليقة التي حملها جناحاها الى ارض لا اعرفها ، والتي كان علي منذ البدء ان اعرف بانها ، مثل العصافير ، ستضرب في فراغ السماء وجاذبية المدى الذي لا يحده حد ، لست اطمع منك بالعودة.
لقد رف جناحاك في زنزانتي وتركا في هوائها

لست اطمع منك بالعودة ، فالعصافير لا تسكن اعشاشها مرتين ، وحين نفضت عن ريشك كسل القرار عرفت انا انك لن تعودي ..

ولكن كيف تركتك تذهبين ؟ كيف لم اربط نفسي اليك مثلما ربط السندباد نفسه الى ريش الرخ ؟

ليس عندي ، ايتها الطليقة ، يا خبزي ومائي وهوائي ، الا الندم ، وبعيدا في قراره توجد بذرة للشجرة القادمة .

بلى .

سأراك مرة اخرى ، ذات يوم . ترانا — يومذاك — سنكسر من حول جلودنا رقاقات النسيان التي سنبنيها فوق اللحظات النادرة في حياتنا ، كي لا نظل صرعى الخذلان ؟

ان العمر خديعة ، يا طليقة ، والا كيف يمكن ان يكون عمري معك عمرا وعمري دونك عمرا ايضا ، وكيف يمكن — بعد هذين العمرين — ان اراك مرة اخرى وتكونين انت واكون انا ؟

ماذا اقول لك ؟ ان النسيان هو احسن دواء اخترعه البشر في رحلتهم المريرة ،ومع ذلك فانا لن انساك . انت تخفقين في راسي مثل جناحي عصفور طليق ، امام بصري ينتثر ريش الطائر الذي حط وطار ، مثل لمح البصر ...

وها انذا ، متروك هنا كشيء ، على رصيف انتظار طويل ، يخفق في بدني توق لاراك ، وندم لانني تركتك تذهبين . اشرع كفي اللتين لم تعرفا، منذ تركت ، غير الظما.

واقول : تعالي .. ■

الكلمات عبث ، وانت كنت دائما لغتي التي لا يفهمها احد ، وراء التعويذات التي اخترعها اجدادنا وسموها حروفا واصواتا، لقد كان شعرك مطري ، وراحتك وسادتي، وذراعك جسري ، وعيناك بحري ، وشفتاك كاسي . كان انتظارك عمري ، وحضورك ولادتي وغيابك ضياعي .. وها انت تذهبين مثلما تعبر ريح الصباح شباكا مهجورا : تحييه لحظة ، ثم تعيده الى الغيب ...

كيف تركتك تذهبين ؟ ما الذي سافعله بعدك ؟ اي ارض ستخصب بعدك ؟ واي شباك سيدخل الى جفافي ويباسي ريح الصبح ؟

سامحك الندم عمري . ندمك وندمي . لقد نسفنا بايدينا الشجرة الوحيدة التي صادفناها في رحلة عمرينا ، ولم يبق امامنا الا ان نكمل الشوط في قيظ الوحدة التي لا ترحم . انت وانا اعتقدنا ان في العمر متسعا لسعادة اخرى ، ولكننا مخطئون ، المرأة توجد مرة واحدة في عمر الرجل ، وكذلك الرجل في عمر المرأة ، وعدا ذلك ليس الا محاولات التعويض ، بدل النسيان والندم راقة فوق راقة .

ان اسعدنا هو ابرعنا في التزوير ،اكثرنا قدرة على الغوص في بحر الاقنعة .ننسى؟ ذلك مستحيل ، وانا — ايضا — لا اريد ان انسى . ليس بوسعي ان اطمر الزهرة الوحيدة في عمري هكذا ، لمجرد انك ذهبت، وان املي في ان القاك هو مثل املي في ان

... تمضين ؟

ايتها المرأة الطليقة ، يا من قبلك لم اكن وبعدك لست الا العبث ، من بحر عينيك سقيت ضياعي جرعة الماء التي كانت دائما سرابا ، وفوق راحتيك تعرفت الى مرساتي ووسادتي وليلي .

يا طليقة ، ايتها المرأة التي مثلك لا يرى، ايها الشعر الذي رف تحت جفني مثل جناحي عصفور ولد في رحم الريح ، ايتها العينان اللتان تمطران خبز القلب وملح السهوب الجدبية ، يا طليقة : كيف انخلعت هكذا عني ؟ كيف شلت مرساتك من عشبي وتركت بحري ؟ بعدك ليس الا الخواء ، دونك لست الا قطرة مطر ضائعة في سيل .

عشت معك حقيقة عمري . ضعت فيك الى حد لم اصدق انه قد تمضين ، كان ذلك مثل المستحيل ، ولكنك — كالمصباح — غبت ، كما لو ان شروقك في جبيني لم يكن!

وورقة على حافة القصيدة :

« غادرت لتوك ، وما زلت احسك بين ذراعي . راقبت المصعد يهبط ، الضوء ينطفىء ، خطواتك تختفي . وغدا سأراك لاودعك ، ولكن ذلك سيكون مرعبا ، الا اننا تصرفنا بحذاقة غير انسانية ... هل اقول لك : الى اللقاء ؟ انها كلمة ليست شخصية بصورة كافية ، تبدو وكأن شخصا ما قد استعملها قبل لحظة وتركها مرمية هناك . الشيء الوحيد الذي استطيع ان اقوله..»

ايتها الطليقة ...

ذلك كله عبث . الكلمات كلها علكت من قبل اناس آخرين ، ولكن وقع يدك على جبيني كان دائما ولادة لشيء رائع ومتوهج،

رئيس التحرير غسان كنفاني
سكرتير التحرير روبير غانم
[illegible] درويش عبد الرحيم

صباح يوم ١٩٦٦/١٢/٢٨ أيقظني قرع على الباب. كان غسان واقفاً منهكاً وغاضباً، وناولني هذه الرسالة قائلاً: إنها لك. كتبتها لك، ولكنني خاطبت أختي فايزة فيها لغضبي منك. وتركها بين يدي ومضى.. وكانت رسالة بدأ كتابتها في الليلة السابقة، ليل ١٩٦٦/١٢/٢٧ وختمها برسالة أخرى بعد طلوع فجر ١٩٦٦/١٢/٢٨.

صعقني ما ورد فيها فقد كنت ليلتها بحاجة إلى أن أخلو إلى نفسي بعد سهرة مع بعض الأصدقاء ولم يخطر ببالي أن ذلك سيزلزل غسان إلى هذا المدى.. أم تراه خطر ببالي وتعمدته في اللاوعي؟ أم تراني كنت أريده حقاً أن يقضي سهرته مع أسرته ولذا اقترحت عليه الذهاب مبكراً إلى هناك ووعدته بأن أهتف له لأضمن ذهابه مما أثار شكوكه؟ هل تعمدت إثارة شكه؟ ما زلت حتى اليوم لا أدري، ولكنني أذكر جيداً أنني كنت دائماً حريصة على كيانه العائلي بقدر حرصي على استقلالية كياني.

بيروت ١٩٦٦/١٢/٢٧

عزيزتي فائزة..

إنني أغيب عنك سنوات ولكنني أعود، أنبع فجأة، وأنت تقولين لنفسك: ها هو الطفل يعود. كنتِ فيما سبق تغضبين وتحزنين وتقولين إنك تفتقدينني ولكنك استسلمت أخيراً لذلك الطفل الغريب الأطوار دائماً، المغلوب على أمره دائماً، الباحث عن ملجأ دائماً.. تستطيعين الآن، بعد ثلاثين سنة، أن تطمئني لشيء واحد هو أنني سأظل أعود، فقد كتب علي كما يبدو أن أظل مهزوماً في أعماقي، إن الشيء الذي انكسر فيّ حين كنت في العاشرة لن يلتئم، وقد ظللت دائماً أوفى الناس لشيء اسمه التعاسة وسوء الحظ. وهأنذا أعود مرة أخرى لك، ربما لأنك بعيدة عني ولأنك الجزيرة التي لم تعد لي ولأنك لا تستطيعين أن تأخذيني معك وفيك ولك..

ما الذي حدث خلال السنين الطويلة الماضية؟ ما الذي حدث، بالضبط، منذ اقتحمت عليك غرفة العمليات؟ هل تذكرين؟ يوم رفعت المشرط في وجه المسكين ولسون، ذلك الاسكتلندي الطبيب الذي كان يجد فيّ ما لم أجده أنا نفسي، إنه يضحك بلا شك حين يذكر القصة. كنت أنا على حق رغم كل شيء، وقلت له: ليمت الطفل، ولكن إذا ماتت هي فستموت معها هنا. ورفضت أن أخرج وظللت مثل مجنون فار مثبتاً ظهري إلى الزاوية وأنظر إليك مضرجة بالدم تحت أصابعه الباردة وحين تنفس الصعداء بعد قرن من الرعب أخذت أبكي، وسقط المشرط من يدي... ولم أرك إلا بعد أن صار أسامة في الرابعة من عمره..

لماذا أذكّرك الآن بهذا الشيء الذي مضى؟ ربما لأنني أشعر كم كنت على حق.. إن الإنسان ليس إلا مخترع ملاجىء، هكذا كان وهكذا

هو وهكذا سيظل، وكل ما عدا ذلك هراء في هراء، وأقول الآن: كنتُ أحس ملجأي عميقاً داخل تلك الغريزة التي كنت تسمينها، حين كنتُ طفلاً، النبوة، وكنت أحس كم كان فقدانه هولاً تساوت فيه إرادة العيش بشفرة المشرط. إنني لا أنسى حدقتي الدكتور ولسون حين كانت تسبح فيهما تلك الكرتان الزرقاوان، كان رجلاً قادراً على الفهم من فرط ما شاهد الناس يموتون ببساطة ويتركون وراءهم العالم بملاجىء أقل، وكان يعرف أنكِ ملجأي.

وهأنذا أعود يا فائزة مثلما كنت أعود إليك طفلاً شقياً مبللاً بمطر يافا الغزير وتستطيعين بنفس الصوت القديم أن تقولي لي: «كنت تسير تحت المزاريب، أنا أعرف كم تبلغ بك الشقاوة..» تحت المزاريب يا فائزة تحت المزاريب.. إنني أعطيك رأسي بعد أكثر من عشرين سنة لتجففيه مرة أخرى رغم أنني أحسه مبتلاً من الداخل، أعطيك رأسي، أنا الشقي المسكين، فلم يتبق ثمة شيء إلا يديك.. وبالضبط لأنهما على بعد ألف ميل.

ما الذي حدث منذ ولد أسامة عبر ذلك المخاض الصعب الرهيب؟ بالنسبة لي ما تزال دفتا الباب الأبيض تروحان وتجيئان متقاطعتين منذ خرجت منهما.. هل تغير أيما شيء؟ ما الذي حدث؟ أي جنون يملأ هذا العالم؟ هل رأيت الدكتور ولسون مرة أخرى وتحدثتما عن جنوني؟ هل يعرفني أسامة؟ هل يسمع عني بين الفينة والأخرى؟ أما أنا فقد حدث لي ذلك الشيء الذي قلت لي مرة أنه وحده سيحطمني ذات يوم: الحب.

لو كنت هنا، وجلست معنا كما كنت تفعلين منذ زمن، لنظرت إلي في لحظة مسترقة وهززت رأسك موافقة. لقد عشت عمري أنتظر أن أرى من رأسك تلك الحركة . حين جلسنا مع جاكلين في بحمدون قبل سبع سنوات انتهزتِ أول فرصة ورفعتِ أمام عيني حاجبيك كأنك تقولين «لا، ليست هي» وراحت جاكلين، وراحت مُنى، وراحت كوكب[1] عبر حاجبيك

---

(١) أتمنى على جاكلين ومنى وكوكب عدم تمزيق رسائل غسان إن كتب لهن ذات يوم لأن تلك

اللذين كانا دائماً يقولان «لا».. وجاءت هي. قولي لي إنها هي.

أخيراً هذا هو الشيء الذي كنت تنتظرينه يا فائزة وراء ظهري، دون أن أعرف.. هذا هو الشيء الذي وحده يستطيع أن يحطمني. كم كنتِ صادقة وكم كنتُ غبياً.. أتذكرين يوم جئت إليك أقول إن جاكلين سافرت؟ قلت لي على مائدة الفطور: إن شراستك كلها إنما هي لإخفاء قلب هش، لا حدود لهشاشته، ذات يوم ستصل أصابع امرأة ما إليه وستطحنه.. وإذ تجيء يومها إليّ سأفهمك وحدي!

هأنذا أجيء فكافئيني بأن تفهميني، ليس بوسعك أن تنصحي أحداً، إنني أتمزق وليس بوسعك أن تجدي، بعد، أذناً واحدة في هذا الجسد الذي كان كله آذان، إننا نجيء دائماً متأخرين. متأخرين. متأخرين. أفهمتِ كل شيء الآن يا فائزة؟ متأخرين.

أقف الآن على هذا المرتفع في حياتي وأنظر إليها قاحلة مليئة بالشوك والتوحد وتمتد في برودة الماضي وبرودة المستقبل دونما نهاية.. ويبدو أنني أحاول أن أستبدل الوطن بالمرأة، أعرفت في عمرك كله ما هو أبشع من هذه الصفقة وأكثر منها استحالة؟ ولكن هذا ما يحدث، وأستطيع أن أكشفه بوضوح الآن كأن كل ما حدث لم يكن إلا اقتياداً أعمى إلى هذه النهاية. لقد حاولت منذ البدء أن أستبدل الوطن بالعمل، ثم بالعائلة، ثم بالكلمة، ثم بالعنف، ثم بالمرأة، وكان دائماً يعوزني الانتساب الحقيقي، ذلك الانتساب الذي يهتف بنا حين نصحو في الصباح: «لك شيء في هذا العالم فقم» أعرفته؟ وكان الاحتيال يتهاوى، فقد كنت أريد أرضاً ثابتة أقف فوقها، ونحن نستطيع أن نخدع كل شيء ما عدا أقدامنا، إننا لا نستطيع أن نقنعها بالوقوف على رقائق جليد هشة معلقة بالهواء، والآن: كنت أمشي على رقع الجليد تلك، وليس كل ما كتبته وكل ما قلته في حياتي كلها إلا صوت تهشمها تحت الخطوات الطريدة.

مرة أخرى، ما الذي حدث؟ تزوجت فجأة، أنت لا تعرفين لماذا

= السطور لم تعد رسائل شخصية تخص تاريخهن بل تخص تاريخ الأدب.

بالطبع وقد فجأك الخبر مثلما فجأ والدي، ولكنه لم يستطع أن يفعل شيئاً، لم يكن يستطيع أن يحرمني من ثروته بعد أن حرم منها رغم أنفه، ولم يكن يستطيع أن يمنعني من ولوج بيته بعد أن امتنعت من تلقاء نفسي ولم يكن ليستطيع استنزال غضب السماء علىٍ فلدي من غضبها ما يفيض عن حاجة رجل واحد.. ولم يكن هو أيضاً يعرف لماذا وكيف، ولكنني كنت أعرف، كنت أمارس تلك الفضيلة البشرية الوحيدة: كنت أخترع ملجأ.

لقد جاءت أني حين كنت قد شرعت، مختاراً ومرغماً، في الانزلاق على هضبة الوحل المغرية والجذابة، وفي ذات الصباح الذي قررت في مسائه أن أتزوجها كنت على وشك الاتفاق مع امرأة نصف ثرية نصف جميلة ونصف تحبني ونصف شابة على أن نعيش معاً. كانت تلك المرأة نصف الطريق إلى السقوط وأردت أن أجعلها محطتي كي أقبل الرحلة كلها فيما بعد إلى قرار القاع السحيق والمنسيّ. وجاءت أني ذلك اليوم مثلما تجيء رسالة البشرى من مكان قصيّ مجهول فجعلتها ملجأي للفرار في واحدة من ومضات النبوّة التي تبرق في ضمير كل إنسان على ظهر هذه الأرض. أقول لك الآن: كانت فراراً.

كانت يا فائزة بعيدة عني في كل شيء. واحتجت إلى خمس سنوات كبيرة أظل مشغولاً خلالها في ردم الهوة المفتوحة بيننا، وارتكبت مرة أخرى خطأ الاحتيال: فحين عجزت عن ردمها كما ينبغي ردمتها بطفلين.

ولكنني رغم كل شيء ظللت مخلصاً للقيم التي احترمها والتي أورثني إياها إقطاع جدي المؤمن بالفضائل حين خسر أراضيه ولكنه أصر على كسب أخلاقه، وكنت أعرف في أعماقي أن الشراع المطوي في أعماقي سيمتلىء برياح الغربة من جديد ولكنني ظللت صامداً، وبقسوة السكين تخليت عن حياتي السابقة في سبيلها، كانت وما تزال امرأة رائعة، ربما الشيء الوحيد في هذا الكون الذي أستطيع برضى لا حدود له، أن أقدم لها حياتي إذا ما تعرضت لخطر الغياب.

أقول لك ذلك الآن رغم أنك سألتني ذات يوم وكنا وحدنا: **هل أنت سعيد معها؟** فقلت لك حاسماً وصادقاً: لا. إن الحب شيء وعلاقتي بها شيء آخر، وهي تعرف.

ثم جاءت غادة.

جاءت؟ لا، إن الكلمة الأصح هي: عادت. لقد كانت موجودة دائماً في أعماقي. أنا لا أتحدث عن الفترة التي كنت أراها فيها عابرة في ممرات الجامعة قبل عشر سنوات، لا. إنني أتحدث عن وجود أكثر تعقيداً من ذلك وأكثر عمقاً. ماذا أقول لك وكيف أشرح لك الأمور؟ دعيني أقول لك كيف: أمس كنت أذوِّب شمعة فوق زجاجة، أتلهى بهذه اللعبة التي يكوّن فيها الإنسان شيئاً فوضوياً وغامضاً من زجاجة وقضيب شمع، وكان ذوب الشمع قد كسى جسد الزجاجة بأكمله تقريباً، وفجأة سقطت نقطة من الشمع الذائب دون إرادة مني وتدحرجت بجنون فوق تلال الشمع المتجمد على سطح الزجاجة واستقرت في ثغرة لم أكن قد لاحظتها من قبل وتجمدت هناك فجعلت ثوب الشمع بأكمله يتماسك من تلقائه.

هذا ما حدث، ولست أجد أي وصف آخر له. ومنذ قابلتها أول مرة(١) عرفت في أعماقي كل الذي سيحدث، على الأقل من جهتي. ورغم ذلك فقد كنت مثل الذي يدخل إلى حقل من الرمال المتحركة لا يعرف فيما إذا كان عليه أن يعود أو أن يقطع الطريق إلى الأمام.

عمري الآن سبعة شهور، ولن تصدقي كم تغـيّرت. أنا نفسي لم أصدق ولا أصدق، ويبدو أن هناك رجال لا يمكن قتلهم إلا من الداخل.

لقد عذبها الكثيرون في حياتها وهي وحيدة ولا تستطيع أن تردم الهوة بينها وبين العالم إلا بالرجال، (في الواقع لا أؤمن بهذا. وقد قاله لي هاتف مجهول قبل أسبوع) ألم أردمها أنا بطفلين!

---

(١) التقينا للمرة الأولى في جامعة دمشق امام باب قـاعة الامتحـان الشفهي ولم أكن قد سمعت به أديباً يومئذ. بعد أيام الجامعة لم نلتق فترة أربعة أعوام حتى التقينا مصادفة في جريدة المحرر ببيروت، وكان غسان مصراً على إلغاء تلك الأعوام من حياتي وحياته!.

لنحاول كرة أخرى: إنها تحبني وتخشى إذا ما اندفعت نحوي أن أتركها مثلما يحدث في جميع العلاقات السخيفة بين الناس، وتخشى إذا ما ذهبت في علاقتنا إلى مداها الطبيعي أن نخسر بعضنا. ولكن يا فائزة هذا كلام كتب وأطباء ومدرسي حساب وليس عواطف امرأة أمام رجل يحبها وتحبه..

لنحاول مرة ثالثة: إنها تحبني إلى حد لا تـريد فيـه أن تقوّض حياتي. ولكن من الذي قال لها أن هروبها لن يفعل؟

يا فائزة. إنني أثق بذكائها، ربما أكثر مما ينبغي. وأفسر كلامها مثلما يفعل الباحث في المختبر. يخيل لي أحياناً أنها أمام الناس تحاول إذلالي. إن ذلك لا يغضبني (نعم فقد وصلت إلى هذا الحد!) ولكن لماذا؟ ما الذي يدفع إنساناً ما إلى تمزيق إنسان آخر يحبه بهذه القوة؟ أمس قالت لي أمام صديق: إن أي رجل في هذا العالم لن يدخل بيتي إلا هو، لأنه أخ (وكانت تتحدث عن صديقي) لماذا؟ ما هو ذلك الشيء الرهيب الذي يدفع امرأة بأن تقول هذا الكلام للرجل الذي تحبه أمام صديقه؟

لست أدري يا فائزة. ولكنني ليل نهار، لحظة وراء الأخرى، أفكر في ذلك كله وأعيش وأتعذب فيه ومن أجله.. أحياناً أنظر إلى عينيها وأقول لنفسي: ينبغي أن تكره هذه المرأة التي يروق لها إذلالك على هذه الصورة، ولكنني لا أستطيع. كنت فيما سبق أستطيع أن أصل إلى قرار في لحظة حين أقول هذا الكلام لنفسي.. أما الآن فأنتِ لن تدركين تعاستي!

إن الدنيا عجيبـة، وكذلـك الأقدار. إن يـداً وحشية قـد خلطت الأشياء في السماء خلطاً رهيباً فجعلت نهايات الأمور بداياتها والبدايات نهايات.. ولكن قولي لي: ماذا يستحق أن نخسره في هذه الحياة العابرة؟ تدركين ما أعني. إننا في نهاية المطاف سنموت.

وأنا لم أكتب لك ذلك كله لأطلب نصيحة، أستطيع الآن أن ألقي محاضرة حول هذا الموضوع.. ولست أدعي أنني أعرف كيف ستنتهي الأمور، ولكنني ذات يوم سأكون قادراً على أن أقول لنفسي وأنا أودعها

أمام باب بيتها دون أن تتيح لي لحظة الاقتراب منها: «لقد ماتت». وعندها سأبكي، وقد ارتكب حماقة، وقد أنكسر لشهر أو شهرين، وسيظل قلبي يقرع كلما أقرأ عنها أو أراها أو أسمع أخبارها مثلما يقرع قلب المرء حين يصادف شبحاً، وأقول لك ما هو أبشع: قد أنزلق وأتحطم ولكنني أبداً أبداً لن اقبل أن أكون صديقاً لها، أرى بعينيّ المكسورتين رجلاً يثبت أنه يحبها وتحبه. فلن أتحمل هذا الهراء. إنني.. كما قلت لك مرة ـ أفضل الموت عن الأسر. إن أحداً لا يستطيع أن يحبها كما فعلت، وعلى الأقل من أجل الحقيقة فسأرفض دائماً أن أقبل الزيف.

... الأيام تدور أيتها العزيزة، تدور وتدور مثلما تدور رأسي الآن، وتحت غبارها التافه يأمل الإنسان أن ينسى. أتذكرين يوم روى لنا والدي المسكين كيف حشا جرح صديقه بغبار العنكبوت جمعه من ثقوب سور عكا؟ قال لنا يومها ان الغبار أوقف النزيف.. يا لله كم كان يقرأ الغيب!

ربما تسمعين ذات يوم أنني كففت عن حبها، أقول لك الآن: لا تصدقي. إنني أحبها بطريقة لا يمكن أن تذوي، كتبت لها ما لم أكتبه في حياتي ومعها ومن أجلها تحدّيت العالم والناس ونفسي وتفوقت عليهم جميعاً. إن حباً من هذا المستوى لا تقبله المرأة ولكنه مع الأسف يستطيع رجل ما أن يحمله وهو يعرف هذه الحقيقة. لا فرار ولا ملجأ هذه المرة فلنأمل بمفعول الغبار.

أنت تسألين: ما الذي تريده إذن؟ وأنا لا أعرف. أعرف فقط أنني أريدها. أنا لا أستطيع أن أفهم كيف ترفض المرأة رجلاً تحبه. إن علاقتهما، إلى أبعد مدى، تضحي حاجة، وإذا كنت أنا قادراً على اتخاذ قرار رهيب من النوع الذي اتخذته منذ شهرين فكيف تريدين أن أفسر الأمور؟ صحيح أن الجنس ليس أولاً ولكنه موجود.. أوه يا عزيزتي! ليس من السهل بالنسبة لي أن أبني معها علاقة جنسية حتى لو أتيحت لي الفرصة لذلك، أذكر ....(١)

(١) هذا السطر المشطوب الغاه غسان بنفسه، وكانت الرسالة هكذا عندما استلمتها. =

إذن مـاذا أريد؟ لا أعـرف أيتهـا العـزيـزة لا أعـرف .. إن الحيـاة معقدة أكثر مما ينبغي لأناس سيعيشون أربعين سنة على الأكثر، والذي أشعره الآن أننا نضيع حياتنا هباء... إن رجولتي لم تذل في حياتها مثلما تذل في كل ليلة أقول لها فيها: نوماً هانئاً... ثم أدير ظهري وأمضي كأنني قطعة خشب لا يسكنها عصب، وينزف جرح تلك الرجولة المهدورة حين أسمع وراء ظهري اصطفاق الباب: إن الأمر لا يعنيها.

ماذا أفعل؟ حاولي أن تقولي لي رغم أنني لن أطيع، ولكن عسى ذلك يساعد في الوصول إلى شيء.. إننا تافهون حين يضحي القرار متعلقاً بنا. أحياناً أفكر في الالتحاق بالفدائيين عسى أن أموت شريفـاً على الأقـل، أحياناً أفكر بالسفر إلى مكان مجهول: أبدل إسمي وأعمل وأعيش إلى أن أموت بهدوء مجهول.. أحياناً أفكر في اقتحام بيتها والبقاء فيه.. ولكن ذلك كله - أسألك - ماذا يجدي؟ أتحسبين أنني أفتش عن فرار من نفسي؟ لا. منها؟ لا. إذن ماذا أريد؟ إنني أريدها. ولكن كيف؟ كيف؟ أين هي البلاطة السحرية في هذا الكون التي نستطيع أن نضع أقدامنا فوقها معاً؟

إن الشيء الوحيد الذي أردته في حياتي لا أستطيع الحصول عليه. لقد تبين لي أن حياتي جميعها كانت سلسلة من الرفض ولذلك استطعت أن أعيش. لقـد رفضت المدرسـة، ورفضت العائلـة. ورفضت الثروة، ورفضت الخضوع، ورفضت القبول بالأشياء، ولكنني أبداً لم أرد شيئاً محدداً، وحين أريدها تفر من أصابعي (وأصابع القدر والأشياء والعالم، أنا أفهم ذلك) مثلما يفر الماء من الغربال!

إنني أفكر بالنسبة لها كما يلي: معركتنا خاسرة، إذن فلنعمل على ربحها إلى أن تجيء اللحظة. الزمن ضدنا فلنستعمله طالما هـو معنا. اللقاء مستحيل فلنتلاق حين يكون ذلك ممكناً. سنخسر كل شيء فلنربح الزمن كي لا نندم. البكاء قادم.

= وحاولت كثيراً قراءته وفشلت!.

أنا أعرف أنها تحبني، لا ليس كما أحبها، ولكنها تحبني. إنها تردد دائماً أنها ضدي إذا شيّأتها ولكنها لا تكف عن تشييئي دون وعي منها. إنها تهرب مني في وقت لا أكف فيه عن الاندفاع نحوها. إنها ـ رغم كل ما تقوله ـ تفضل التفاهة والمشاعر التي تمر على السطح، وأنا أعرف أن الحياة قد خدشتها بما فيه الكفاية لترفض مزيداً من الأخداش ولكن لماذا يتعين علي أنا أن أدفع الثمن؟ إنها امرأة جميلة ـ وتستطيعين رؤية ذلك في صورها ـ ولكنها أجمل في الواقع من صورها، وقد يكون دورها في إتعاسي وهزيمتي أنها مشتهاة بطريقة لا يمكن صدها وهو أمر لا حيلة لها به ولكنني أيضاً لا حيلة لي به، وهي ذكية وحساسة وتفهمني وهذا يشدني إليها بقدر ما يبعدها عني، فهي تعي أكثر مني ربما طبيعة الرمال المتحركة التي غرقنا فيها دون وعي منا. أقول لك باختصار انها جبانة، تريد أن تكون نصف الأشياء، لا تريدني ولا تريد غيابي، وفي اللحظة التي وصلت فيها أنا إلى انتساب كامل لها كنت أبحث عنه كل حياتي تقف هي في منتصف الميدان.

إنني أدفع معها ثمن تفاهة الآخرين.. أمس صعقتني، مثلاً، حين قلت لها انني أرغب في رؤيتها فصاحت: أتحسبني بنت شارع؟ كانت ترد على غيري، وكنت أعرف ذلك ولكن ما هو ذنبي أنا؟

إنني أتمزق مثلما لم يحدث لي في حياتي أبداً، لا شيء كان قادراً على هزي بلا هوادة أكثر من هذه المرأة، إنني أحبها، وأشتهيها.. وفي سبيل ذلك ارتكبت حماقة أخرى لا يد لي بها: يا فائزة، ليس لديّ أية علاقة جنسية مع أي كان.. هل تفهمين؟ إنني رجل مأساتي هي في ذلك التوافق غير البشري بين جسدي وعقلي، هكذا قال لي الدكتور ولسون يوماً: ولذلك أنت مريض بالسكّر يا صغيري!

ولكن حذار أن تحسبي أن هذه هي المشكلة. لا. إنني لست صغيراً إلى هذا الحد ولم يعد الجنس بالنسبة لي نهاية الكون. ما هي مشكلتي إذن؟ لا أعرف، ولكنني أريدها. هذا شيء مستحيل كما قد

تقولين، وأنا أعرف ولكن هذه هي القصة.

دعينا نحاول اكتشاف الأمور ببساطة: لنقل أنها امرأة يلذ لها تعذيبي فلنسعد الآن، الفراق لا بد منه فلنتلاق بانتظار أن يأتي.

أو فلنبتر كل شيء الآن. هذه اللحظة، في جرح نظيف ونبيل ونهائي.

ولكن في الوسط؟ في الوسط يا فائزة التي تعرفين أنني لا أستطيعه، يا لتعاسة أخيك المغلوب على أمره.. إن سيزيف نسي قضيته ضحية العادة. أما أنا فثمة صخرة واحدة، أحملها مرة واحدة، وأعود بها مرة واحدة!

وكيف حال أسامة؟ علميه أن الزيف هو جواز المرور الأكثر حسماً، وأن الدنيا هراء يكسب فيها من ينزلق على سطحها، لا تروي له أبداً أبداً قصة خاله الذي أراد ذات يوم أن يصنع الحياة بمشرط جارح.. إن الحياة أقل تعقيداً وينبغي أن تكون أكثر بساطة. إن الحياة مثل هضبة الجليد لا يستطيع أن يسير عليها من أراد أن يغرس نفسه فيها. الإنزلاق هو الحل وهو الاحتيال الأمثل.. علميه أن لا ينتظر ثلاثين سنة ليرتكب أخطاء خاله التعيس، وأن لا يتوقع شيئاً.

لا تكتبي لي جواباً. لا تكترثي، لا تقولي لي شيئاً. إنني أعود إليك مثلما يعود اليتيم إلى ملجأه الوحيد، وسأظل أعود: أعطيك رأسي المبتل لتجففيه بعد أن اختار الشقي أن يسير تحت المزاريب!

١٩٦٦/١٢/٢٨

الشمس ستشرق بعد قليل، ولتوي تلقيت هاتفاً منها.. كنت أنتظرها طوال الليل وكنت أعرف أنني لو أردت أن أجدها لوجدتها ولكنني كأنما دون إرادة مني كنت أريد أن أرى مدى اهتمامها هي. لا خبر، لا إشارة. لا شيء. قالت لي في الصباح أنها ستأوي إلى فراشها في العاشرة ولذلك «اذهب لبيتك باكراً اليوم».. ولكن حتى منتصف الليل لم

تكن هناك، ولا في الواحدة، ولا في الثانية، ولا في الثالثة... ثم هتفت لها فأبلغتني انها كانت تشرب نبيذاً، وأنها كانت تسهر مع صديق... وسألتني: لماذا تأخرت؟

كانت تحسب أنني أحدثها من البيت ولكنني لم أكن هناك. كنت على بعد صرخة واحدة منها. كنت سألت في البيت عما إذا كان أحد قد هتف فقيل لي أن جرس الهاتف دق مرة أو مرتين دون جواب فهتفت لها، وهذا ـ يا فائزة ـ ما كانت تريد أن تقوله! هل تتصورين؟ كانت تجهد لتنال أذني كي تصب فيهما اللعنة.. ترى ما الذي يذكّر هذه الإنسانة بي، إلا الذل؟

ما الذي حدث هذه الليلة؟ إنني مجنون. هذا شيء حقيقي: حين كتبت لك الصفحات السابقة كنت، أيضاً، على بعد خطوات منها، في المقهى المجاور وسيارتي إلى جانب سيارتها، ومثلما حدث وتوقعت لم تكترث، وذهبت، وكنت أشرب كأساً مع كل صفحة حتى صار الليل وفتك الكحول بكتفي فلم يعد بوسعي أن أحرك ذراعي وقدت السيارة في المطر والغبش والذهول بهدوء لم يكن عندي في حياتي، وقررت أن لا أرى أحداً... لم أفكر بالموت، فكرت بالتعاسة فقط وعرفت أنني سأكون تعيساً إلى أمد طويل. إنني أحبها وهذا شيء لا أستطيع أن انكره ولا أن انساه ولا حتى أن أغفره لنفسي، وحين لمست أصابعي جسدها ذات ليلة راودني شعور مخيف، أخافني حقاً، بأنني لم المس امرأة من قبل.

وهأنذا مكسور ومطعون وبعيد عن كل شيء، غداً لن يكون يوماً آخر.. وأنا أعرف أنني أحتاج أن أكون وحيداً تماماً ربما ثلاثة شهور، أظل أكتب في هذه الأوراق لك، يوماً بعد الآخر، لتري بعينيك قصة رجل ينتهي، أو يبدأ، أو ينزلق، أو يغترب، أو يموت بالصدفة بعد ذلك كله.

وما الذي بقي لأفعله أيتها العزيزة؟ ما الذي بقي؟ بعد قليل سأشرب قهوة أخرى، وأحتاج لكأس حليب كي يظل صدري قادراً على التنفس.. وسأمشي، ولكنني لن أرى أحداً... وسأضع نفسي في مكان أبعد

وأنأى من أن أسمع فيه صوتها وأكثر انخفاضاً من أن يتيح لي رؤيتها أو التحدث إليها.

أجلس الآن في الشمس وأكتب. مررت من أمام بيتها عشر مرات ورأيت سيارتها ووقفت على حاجز الروشة أتفرج على الناس والأطفال والموج وأنا أكاد أغفو على الحاجز. لأول مرة منذ سنوات نسيت الإبرة اللعينة ونسيت الطعام.. تراها سألت عني؟ ذلك لن يكون إلا إذا كانت تريد أن تراني معذباً، أو تريد أن تنصحني تلك النصيحة التافهة: إذهب إلى بيتك باكراً.. أو تقول لي: لماذا تغار؟ بعيدة عن الحقيقة بعيدة بعيدة.. ستجد ألف عذر لترضي هذا الطفل القنوع الغبي، وكالعادة لن يكون بوسعي أن أقول لها: لا، وأمس ليلاً ماذا حدث؟ ماذا يمكن أن يكون قد حدث غير أنها كانت فخورة بأنها قادرة على الخروج مع شاب آخر، أو مع نفسها، وأنا أنتظر؟

وما الذي أريده.. ما الذي أريده من كل شيء يا فائزة؟ ما الذي يريده هذا الطفل المدلل الضائع الغبي الذي تحول إلى كرة متشابكة من الأعصاب والجروح.

بيروت ٢٧/٣/١٩٦٦

عزيزتي فائزة ..

انني اغيب عنك سنوات ولكنني اعود ، انبع فجأة ، وانت تقولين لنفسك : ها هو الطفل يعود . كنت فيما مضى تغضبين وتحزنين وتقولين انك تفتقدينني ولكنك استسلمت اخيراً لذلك الطفل الغريب الاطوار دائماً ، المغلوب على امره دائماً ، الباحث عن ملجأ دائماً .. تستطيعين القول ، بعد ثلاثين سنة ، ان تطلقي شيئاً واحداً هو انني سأظل اعود ، فقد كتب علي كما يبدو ان اظل مشدوداً الى الماضي ، الى الشيء الذي انكسر فيّ حين كنت في العاشرة من عمري ، وقد ظللت دائماً اوضح للناس شيئاً اسمه التعاسة وسوء الحظ . وها أنذا اعود مرة اخرى لك ، ربما لانك بعيدة عني ولانك الجزيرة التي لم تتدنس ولانك لا تستطيعين ان تأخذي مني وفيك ولك ..

ما الذي حدث خلال السنين الطويلة الماضية ؟ ما الذي حدث ، بالضبط ، منذ اقتحمت علينا غرفة العمليات ؟ هل تذكرين ؟ يوم رفعت المشرط في وجه المسكين وليم ، ذلك السكتلندي الطيب الذي كان يجد فيّ ما لم اجده انا نفسي ، انه ضحك طويلاً حين يذكر القصة . كنت اذ ذاك هوجاء رغم كل شيء ، وقلت له : ليمت الطفل ، ولماذا لا تتركوه يموت هادئاً . ورفضت ان ازاح وظللت مثل مجنونة ما . مشبثة ظهري الى الزاوية وانظر اليه مضرجة بالدم تحت اصابعه الباردة وحين تنفس الصعداء بعد قرن من رعب الاختناق الحي ، وسقط المشرط من يدك ... ولم ادرك انا بعد ان صار ابني في الرابعة من عمره ..

لماذا اذكرك الآن بهذا الشيء الذي مضى ؟ ربما لانني اشعر كم كنت على حق .. ان الانسان ليس الا مشروع معاناة ، هكذا كان وهكذا وهكذا سيظل ، وكل ما عدا ذلك هواء زاهر ، واقول الآن : كنت احس في ملجأي عميقاً رائعاً تلك الغريزة التي كنت تسمينها ، حين كنت طفلة ، النبوة ، وكنت احس كم كان فقدانك هولاً تساوت فيه ارادة العيش بشفرة المشرط . انني لا انسى صديقي الدكتور وليم حين كانت تسبح فيهما تلك الكرتان الزرقاوان ، كان رجلاً قادراً على الفهم من فرط ما شاهد الناس يموتون ببساطة ويتركون وراءهم العالم بملاجئ اقل ، وكان يعرف اين ملجأي .

وها أنذا اعود يا فائزة مثلما كنت اعود اليك طفلاً شقياً مبللاً بمطر يافا الغزير

وتستطيعين بخبث لصوت يتقدم ان تقولي لي: "كنت تسير تحت المزاريب لم، لا اعرف لم
تبلغ به الشفاعة." تحت المزاريب يا فائزة تحت المزاريب.. انني اعطيك رأسي
بعد أكثر من عشرين سنة لتحتضنيه مرة أخرى رغم انني احس مبتلا من الداخل، اعطيك
رأسي، لا أستقي السكينة، لم يتجه ثمة شيء الا حبه.. وبالضبط لسنا مع بعد
الف ميل.

ما الذي حدث منذ ولد اسامة عبر زمنه الخاص الصعب الرهيب؟ بالنسبة
لي ما تزال رفتا الباب الابيض تروحان وتجيئان متقاطعتين منذ خرجت منهما. هل تغير
اي شيء؟ ما الذي حدث؟ اي جنون ملأ هذا العالم؟ هل رأيت الدكتور ولسون مرة أخرى
وتحدثتما عن جنوني؟ هل يعرفني اسامة؟ هل يسمع عني بين الفينة والأخرى؟ اما
انا فقد حدث لي ذلك الشيء الذي قلت لي مرة انه وجها ذات يوم: الحب.
لو كنت هنا، وحسبته معا كما كنت تفعلين زمنه، لنظرت الي في لحظة
مسترقة وهززت رأسك موافقة. لقد عشته كما كي انتظر ان ارى من رأسك تحت
الكآبة. حين جلسنا مع جاكلين في كندوم قبل سبع سنوات انتهزت اول فرصة ورفعت
امام عيني حاجبيك كأنك تقولين "لا، ليست هي" ورأيت جاكلين، ورأيت مني، ورأيت
كوكب عن حاجبيك الذهبي كأنما يقولان "لا".. وجاءت هي. قولي لي انها هي.
اخيرا هذا هو الشيء الذي كنت تنتظرينه يا فائزة وراء ظهري، دون ان اعرف..
هذا هو الشيء الذي وحده يستطيع ان يعطيني. كم كنت صادقة وكم كنت غبيا".. اتذكرين
يوم جئت اليك اقول ان جاكلين سافرت؟ قلت لي مع ابتسامة بعطور: ان شراستك
كلها انما هي لأطفاء قلب هش، لا حدود لهشاشته. ذات يوم ستحس اصابع امرأة ما
اليه وستحطمه.. واذ تجيء جوهرة الي ساحضنه وحدي!

كأنما اجيء لا افتش بين تفرضيني، لست جوهرة ان تتحكي اهدأ، انني اتمزق
ولست بوسعك ان تدرك بعد، انها واحدة في هذا الحب الذي كان كله آذانه، انما
تجيء دائما متأخرين. متأخرين. متأخرين. أنهيت كل شيء الآن يا فائزة؟ متأخرين!
اقف هنا في هذا المرتفع في حياتي وانظر اليه تاملة مليئة بالشوك والتوحد وتمتد في
برودة الماضي وبرودة مستقبل دونما شيء.. ويبدو انني احاول ان استبدل الوطن بالمرأة، اعرفت

في محاولة فهم ما هو ابشع من هذه الصفقة وأكثر منها استحالة ؟ ولكن هذا ما حدث ، واستطيع ان اكتشفه بوضوح اكثر كأنه كل ما حدث لم يكن الا اختيارا احمق في هذه الزاوية . لقد حاولت منذ البدء ان استبدل الوطن بالعمل ، ثم بالعائلة ، ثم بالكلمة ، ثم بالعنف ، ثم بالمرأة ، وكان دائماً يعوزني الانتساب الحقيقي . ذلك الانتساب الذي يهتف به صبي صغير في الصباح : "أي شيء في هذا العالم يخصني" اعرفه ؟ ولكن الاختيار سيء . فقد كنت اريد ارضا ثابتة اقف فوقها ، ونستطيع ان نخدع كل شيء ما عدا اقدامنا ، انك لا تستطيع ان تقنعها بالوقوف على رقائق جليد هشة معلقة بالهواء ، وانا كنت امشي على رقائق الجليد تلك ، ودفنت كل ما كتبته وكل ما تمنيته في حياتي كلها الا ان صوت تهشمها تحت الخطوات الطريئة .

مرة اخرى ، ما الذي حدث ؟ تزوجت فجأة ، انك لا تعرفين لماذا . بالطبع وقد فعلت ذلك الخبر مثلما فعل والدي ، ولكنني لم استطع ان افعل شيئا . لم اكن استطيع ان اكره من تزوجته بعد ان صرت منذ [illegible] لم اكن استطيع ان اعطي مستقبلا بيننا حين ان [illegible] من خفاء نفسي ولم اكن لاستطيع الاستمرار خلف السراب على [illegible] عن حاجة اكبر واهم .. ولم اكن اعرفها بوضوح كما [illegible] ، ولكنني كنت اعرف ، كنت ابحث تحت الفضيلة البشرية الوهمية ، كنت اقترح ملجأ .

حين جاءت آني حين كنت قد شبعت ، تماما [illegible] ومرضي ، [illegible] في الانزلاق على هضبة الوحل المغرية والجذابة ، وبدلا من الاصلاح الذي قررت في ساعة ان اتزوجها كنت على وشك الاتفاق مع امرأة [illegible] نفس جميلة ووجه كئيب ورغبة مشابهة في ان نعيش معا . كانت تلك المرأة نصف الطريق الى [illegible] تخطي كل [illegible] الرحلة كلها فيما بعد الى قرار التاريخ الكبير والحاسم . وجاءت آني ذلك اليوم مثلما تجيء رسالة الشرك من مكان قصي [illegible] في [illegible] التي [illegible] في [illegible] كل [illegible] من [illegible] الارض . [illegible] كانت فراغا .

كانت المرأة جيدة معي في كل شيء . واحببت ان اعيش سنوات كثيرة اظل مشغولا فيها [illegible] القوة المفتوحة بيننا ، وارتكبت مرة اخرى خطأ الاستكمال : حين عجزت عن [illegible] كما ينبغي [illegible] .

ولكني رغم ذلك ظللت مخلصاً للقيم التي احترمتها والتي أورثني إياها اقطاع جدي المؤمن المتعصب [illegible] ، وكنت أعرف في أعماقي أن الشارع المطوي في أعماقي سيهاجمني [illegible] بريح الغربة من جديد ولكني ظللت صامداً ، وبقسوة السنين تخليت عن حياتي السابقة في سبيل [illegible] ، كانت وما تزال أروع [illegible] ، ربما الشيء الوحيد في هذا الكون الذي أستطيع بفضله أن أصمد وأن أتقدم في حياتي إذا ما تعرضت لخطر الغياب .

[illegible] سألتني ذات يوم وكنا وحدنا : هل أنت سعيد معي ؟ فقلت لها همساً وصادقاً : نعم . [illegible] الحب شيء وعلاقتي بك شيء آخر ، وهي تعرف .

ثم عادت [illegible] .

قالت : نعم [illegible] : عادت [illegible] لقد كانت موجودة دائماً في أعماقي . [illegible] من الفترة التي كنت أراها فيها عابرة في حياتي الجامعة قبل عشر سنوات [illegible] الذي أحدث عن وجود أكثر تحقيقاً من ذلك وأكثر عمقاً . [illegible] أشرح لك الأمور ؟ [illegible] كيف [illegible] حين كنت أذوب شمعة فوق زجاجة ، [illegible] التي [illegible] موضوعياً وعاطفياً من زجاجة وقضيب شمع ، وكان ذوب الشمع قد [illegible] كسى جسد الزجاجة [illegible] تقريباً ، وفجأة سقطت نقطة من الشمع الذائب دون إرادة مني وتدحرجت [illegible] الشمع [illegible] على سطح الزجاجة واستقرت في ثغرة لم أكن قد لاحظتها من قبل وتحجرت هناك [illegible] تحت الشمع [illegible] .

هذا ما حدث [illegible] ، منذ [illegible] أول مرة عرفتك في أعماقي كل الذي ستحدث ، لم يرق عن جرحي . ورغم ذلك فقد كنت [illegible] الذي يدخل في حقل من الرمال المتحركة لا يعرف فيما إذا كان عليه أن يعود أو أن يقطع الطريق إلى الأمام

عمري الآن [illegible] ، [illegible] . أنا نفسي لم أصدقه ولا أصدق [illegible] ويبدو أن [illegible] لا [illegible] تحكم [illegible] .

لقد عذبت الكثيرين في حياتي وهي وحيدة ولا تستطيع ان تردم الهوة بيني وبين العالم الا بالرحيل ، (لا الآتي لا اوسع منها) وقد قالت لي هاتف تحول فتين اسرع) الى ان ادرك انا طفلين !

تحاول كرة اخرى : انك تحبني وتخشى اذا ما اندفعت نحوي ان اتركها معلقة في جميع العلاقات السخيفة بين الناس ، وتخشى اذا ما ذهبت في علاقتنا الى مداها الطبيعي ان تخسر بعضنا ولكن يا فائزة هذا كلام كتب واطباء ومدرسي صف ب ، وسيء علامات امرأة امام رجل يحبها وتحبه ..

تحاول مرة ثالثة : انك تحبني الى حد لا تريد معه ان تتعرض حياتي . ولكن من الذي قال لك ان اخرجت لن يفعل ؟

يا فائزة اني اعرف انك كائنة . ربما اكثر مما ينبغي . واعرف كلامك مثلما يعرف الباحث في المختبر كيف لي احيانا بين امام الناس تحاول اذلالي . ان ذلك لا يغضبني ، (نعم فقد وصلت الى هذا الحد!) ولكن لماذا ؟ ما الذي يدفع انسانا ما الى ان تمزع انسانا آخر يحبه بهذه القوة ؟ امس قالت لي امام صديقة : ان هنالك اي رجل في هذا العالم لن يدخل بيتي الا هو ، لانه اخ (وكانت تتحدث عن صديقي) لماذا ؟ ما هو ذلك الشيء الرهيب الذي يدفع امرأة لتقول هذا الكلام للرجل الذي تحبه امام صديقه ؟

لست ادري يا فائزة ، ولكنني اعيش شيئا ، لحظة وراء الاخرى ، امثر في ذلك كله واعيشه واتعذب فيه ومنه ايضا .. احيانا انظر الى عينيك واقول لنفسي : ينبغي ان اكره هذه المرأة التي يحوم بك الرجال عن هذه الصورة ، ولكنني لا استطيع كنت فيما مضى استطيع ان اصل الى قرار في لحظة حين اقول هذا الكلام لنفسي ... اما الآن فانت لن تدركين تماسكي !

ان الدنيا عجيبة ، ولذلك الاقدار . انا ايضا وحشية قد خلطت الاشياء في السماء خلطا رهيبا فجعلت نهايات الاقدار بدايات والبدايات نهايات .. ولكن قولي لي : ماذا سيتعين ان نخسره في هذه الحياة العابرة ؟ تدركين ما اعني . انا في نهاية المطاف سأموت .

وانا لم أكتب لك ذلك كله لأطلب نصيحة ، استطيع ان ... ان ادلي لك دفعة حول
هذا الموضوع .. ولست ادعي انني اعرف كيف ستنتهي الامور ، ولكنني ذات يوم
سأكون قادراً على ان اقول لنفسي وانا اودعك امام باب بيتها دون ان تتيح لي
لحظة الاقتراب منه : "لقد ماتت" . وعندها سأبكي ، وقد ارتكب حماقة ، وقد
انكسر لشهر او شهرين ، وسيظل قلبي يقرع كلما اقرأ عنك او اراها ، او اسمع اخبارها
مثلما يقرع قلب المرء حين يصادف شيئاً عزيزاً ، واقول لك يا هذا شيخ : قد
اذللته واحطم ولكنني ابداً ابداً لن اقبل ان اكون صديقاً لك ، ارى بعيني
الملكوتية رجلاً يثبت انه يحب ولكنه . نعم احتمل هذا الهراء .
انني - كما قلت لك مرة - افضل الموت على الاسر . ان اولاً لا استطيع ان اكون
لا محدث ، وفي الاقل من اجل الحقيقة سأرفض دائماً ان اقبل الزيف .
ان الايام تدور ايتها العزيزة ، تدور وتدور مثلما تدور رأسي بالرحى ، وكنت
عبارتها التافهة بأمل لا ... الذكرى يوم روى لنا والدي المسكين
كيف هشم جرح صديقه بغبار الحنظل ... ؟ تعال
لنا وجهي ان الغبار اوقف النزيف .. يا الله كم كان يقرأ الغيب !
ربما تسمعين ذات يوم انني كففت عن حبك ، اقول لك الآن : لا تصدقي . انني
احب بطريقة لا تملك ان تدرك ، لتنبت مني ... في حياتي وحبي و...
احبك تحديت العالم والناس ونفسي وتفوقت عليهم جميعاً . ان ... هنا ...
المستوى لا تحتمله المرأة ولكنه مع الاسف يستطيع رجل ما ان يحمله وهو يرى هذه
الحقيقة . لا فرار ولا ملجأ لهذه المرة فنأكل محصول الغبار .
انت تسألين : ما الذي تريده انت ؟ وانا لا اعرف ، اعرف فقط انني اريدها .
انا لا استطيع ان افهم كيف ترفض المرأة رجلاً تحبه ، ان علاقتها ... الى ابعد مدى ، تضحي
ناصعة . واذا كنت انا ... قادراً على اتخاذ قرار رهيب من النوع الذي اتخذته منذ شهرين فكيف
ترفضين ان افسر الامور ؟ صحيح ان الحب ليس اولاً ولكنه موجود .. اوه يا عزيزتي ! ليس
من السهل بالنسبة لي ان ابني معك علاقة هنيئة حتى لو انتهت في الزوجة ذلك ، واذكر

[redacted] .. انني ماذا اريد ؟ لا اعرف ابنتي العزيزة سر المرء .. ان الحياة معقدة اكثر مما ينبغي لناس يعيشون اربعين سنة او اكثر ، والذي اشعر به اننا نضيع حياتنا هباء ... ان رجولتي لم تبدأ في حياتي مثلما تبدأ في كل ليلة اقول لا جديد : نوما هانئا ... ثم ادير ظهري واضطجع كأنني قطعة خشب لا تمسكها عصبة ، وينزف جرح تلك الجولة الجديدة حين اسمع وراء ظهري اصطفاق الباب بأن الامر لا يجدي .

ماذا افعل ؟ حاولت ان اتحول [redacted] لي رغم انني لست اهلا ، ولكن عسى ذلك يساعد في الوصول الى شيء .. انما كانوا من يضحي اكثر متعلقا بنا . احيانا افكر في الانتحار بقنابلهم عسى ان اموت شريفا في القتال ، احيانا افكر بالسفر الى مكان مجهول : ابيع جسمي واحمل واعيش الى ان اموت كعبد ، مجهول .. احيانا افكر في اقتحام بيتك والبقاء فيه .. ولكن ذلك كله ، انسانا . ماذا يجدي ؟ اتحسبين انني انتظر منك خلاصا من نفسي ؟ لا . ممنوع ؟ لا . انني ماذا اريد ؟ انني اريدك . ولكن كيف ؟ كيف ؟ اين هي البساطة السحرية في هذا الكون [redacted] التي تستطيع ان تضع اقدامنا خطوة معا ؟

ان الشيء الوحيد الذي اردته في حياتي لا استطيع الحصول عليه . لقد تبين لي ان حياتي صحيحة لانها سلسلة من الرفض ولذلك استطعت ان اعيش . لقد رفضت المدرسة ، ورفضت العائلة ، ورفضت الثروة ، ورفضت الخضوع ، ورفضت القبول بالاشياء ، ولكنني ابدا لم اريد شيئا محددا ، وحين اريدها تتسرب من اصابعي (واصابع القدر والاشياء والعالم . انا افهم ذلك) مثلما يتسرب الماء من الغربال !

انني افكر بالنسبة لها كالتالي : حركتنا خاسرة ، انه [redacted] مخطئ في رجوعه الا ان يجيء اللحظة . الزمن ضدنا نحن نستحق طالما هو معنا . اللقاء سيكون فلتلاقه حين يكون ذلك ممكنا . سنخسر كل شيء فلنربح الزمن كي لا نندم . البكاء قادم

انا اعرف انها تحبني ، لا ، ليس كما احبها ، ولكنها تحبني . انها تردد دائماً انها
عندي انا شيئاً انها ولكنها لا تكف عن تشجيعي دون وعي منها . انها
تقرب مني في وقت لا اكف فيه عن الاندفاع نحوها . انها - رغم كل ما تقوله - تنفعل بتفاهة
والمشاعر التي تمر على السطح ، وانا اعرف ان الحياة قد هدمتها بما فيه الكفاية لترفض
مزيداً من الاوهام ، ولكن هل يتعين علي انا ان ادفع الثمن ؟ انها امرأة جميلة - تستطيع
ان تدرك ذلك في صورها - ولكنها اجمل في الواقع من صورها ، وقد تكون دورها في انعكاس
وضربتي انها مشتركة بطريقة لا يمكن صدها وهو امر لا حيلة لي به ولكني ايضاً
لا حيلة لي به ، وهي ذكية وحساسة ومتفهمة وهذا سيدفع انها تقدر ما يجدها
عني ، فهي تعي انني ربما طبيعية ، رجال تجربة التي عرفتها منه دون وعي منا . اقول
لها بانفعال انها جبانة ، تريد ان تكون نصف الاشياء ، تريدني ولا تريد
عيافي ... في اللحظة التي وجدت فيها ما اني استطيع ان كنت ابحث عنه كل
حياتي تتفه هي في منتصف الميدان .

اني ارفع صوتي عن تفاهة الآخرين .. اصمت فجأة ، ثم حين قلت
لها انني ارغب في رؤيتك مضاجعتك ، أتحسبين ستتشاجرين ؟ كانت تردد عم غيري ، وكنت
اعرف ذلك ولكن ما هو شأني انا ؟

اني اعرفه منذ ان حدث لي في حياتي ابداً ، لا شيء كان قادراً على هزي
بعد هوارة اكثر من هذه المرأة . اني احبها ، واشتهيها .. وفي سبيل ذلك ارتكبت
حماقة اقوى لا يدرك بها : يا عزيزة ، ليس لدي اية علاقة جنسية مع اي كان ..
هل تفهمين ؟ اني رجل مأساتي هي في ذلك التوافق غير البشري بين جسدي وعقلي ،
هكذا قال لي الدكتور ولسوف يوماً : ولذلك انت مريض بالسكر يا صغيري !

ولكن هذا ان تحسبي ان هذه هي مشكلة . لا . اني لست صغيراً
الى هذا الحد ، لم يعد الجنس بالنسبة لي مأساة الكون . ما هي مشكلتي اذن ؟ لا اعرف ،
ولكني اريدها . هذا شيء مستحيل كما تقولين ، وانا اعرف ولكن هذه هي الحقيقة

دعينا نحاول ان نكتب الاحداث ببساطة : انا لست امرأة يجب ان تحبني

نفسه حزناً . القراءة لابد منه لتنظيف انتظار ان يأتي
او فننتز كل شيء الآن . هذه اللحظة ، في جرح نظيف
ونبيل ونزالي .

ولكن في الوسط ؟ في الوسط يا فائزة التي تزعمين اني لا استطيعه ؟
في تجارب افيلي المخلوب ام اره -- ان سيزيف نسي قضيته ضحية العادة ،
اما انا فصخرة صخرة واحدة ، احملها مرة واحدة ، واعود بها مرة واحدة !

وكيف حال اسامة ؟ عليه ان ازيف لهو حولنا المرور الآن حسناً ،
وان الدنيا هراء يكسب فيه من يزلقه مع سخرية . لا ترو له ابداً ابداً قصة
خالد الذي اراد ذات يوم ان يصنع الحياة بشرط صارم .. ان الحياة اقل تعقيداً
وينبغي ان تكون اكثر بساطة . ان الحياة مثل هضبة الجليد لا يستطيع ان يسير عليها
من اراد ان يغرس نفسه فيها . الانزلاق هو الحل وهو الاحتيال الامثل .. عليه
ان لا ينتظر ثلاثين سنة ليرتكب اخطاء خالد المقيتة ، وان لا يتوقع شيئاً .
لا تكتبي لي جواباً . لا تأتي . لا تقولي لي شيئاً . انني اعود الليلة
كما يعود اليتيم الى ملجأه الوحيد ، وسأظل اعود . اعطيه رأسي المبتل
ليجففه بعد ان امطار الشقي ان يسير تحت المزاريب !

٢٠ / ١٠ / ٩٦٣

الشمس ستشرق بعد قليل ، ولتوي تحققت انها تغادرني . كنت انتظرها
طوال الليل وكنت اعرف انني لو اردت ان احبها لوجدتها ولكنني كنت دون ارادة حتى كنت ادري
ان ارى مدى اشتياقها لي . لا خبر ، لا اشارة ، لا شيء . قالت لي في الصباح انها ستأتي الى
زيارتي في العاشرة ولذلك " اذهب لبيتك باكراً اليوم " .. ولكن حتى منتصف الليل لم تكن هناك ،
ولا في الواحدة ، ولا في الثانية ، ولا في الثالثة .. ثم هتفت لها فأجابتني انها كانت تشرب

بعيداً ، وانها كانت تسهر مع صديق ... وسألتني : لماذا تأخرت ؟

كانت تحب انني ابتعدت عن البيت ولكنني لم أكن كذلك . كنت في بعد معرفة واهية منها . كنت سأتركه في البيت حتى اذا كان أحد قد هتف فقيل لي ان جرس الهاتف دق مرة او مرتين دون جواب لتخفيف لها ، وهذا في فائدة - ما كانت تريد ان تقوله او هي تنظر من كانت تحبه يتناول اذني كي تصب فيها اللحنة .. ترى ما الذي يذكر هذا [illegible] بالنسبة لي ، الا اللذة ؟

ما الذي حدث هذه الليلة ؟ انني مجنون . هذا شيء حقيقي : حين كتبت من صفحات السابقة كنت ، ابغي ، بعد خطوات منها ، في بعض الطرق وسيارتي الى جانب سيارتها ، وشاهدت [illegible] وتوقعت لم تتحرك ، وذهبت ، وكنت اشرب كأساً مع كل صفحة حتى صار السير ومن الكحول يكفيني لم يجد حتى ان اوله ذلك وقدت السيارة في المطر والضباب والذهول كعبور لم يكن عندي في حياتي ، وقررت ان لا ارى احداً ... لم افكر بالموت ، فكرت بالتعاسة فقط وعرفت انني سأكون تعيساً الى امد طويل . انني احبه وهذا شيء لا استطيع ان انكره ولا ان انساه ولا حتى ان اغفره لنفسي ، وحين لمست اصابعي جسدها ذات ليلة راودني شعور مخيف ، اذاقني في حقاً ، بانني لم المس امرأة من قبل .

وها انا محسور ومطعون وبعيد عن كل شيء ، وغداً سيكون يوم آخر .. وانا اعرف انني احتاج ان اكون وحيداً تماماً ربما ثلاثة شهور ، اقل اكتب في هذه الاوراق لها ، يوماً بعد يوم ، لترى بعينيها قصة رجل ينتهي ، او يبدأ ، او ينزلق ، او يحترق ، او يموت بالصدفة بعد ذلك كله .

وما الذي بقي لا تخفيه ايتها العزيزة ؟ ما الذي بقي ؟ بعد قليل سأشرب قهوة اخرى ، واحتاج لكأس عليه كي يظل صدري قادراً على التنفس .. وسأمشي ، ولكنني لن ارى احداً ... وسأضع نفسي في مكان ابعد ولا ارى من ان اسمع فيه صوتك ، واكثر انخفاضاً من ان تجيء لي رؤيتك او التحدث اليك .

احببته فوق حبي للبيت والكتب . ومرت منذ ان بنيته عشر سنوات ورأيته يدرس وتحققت
من ماضٍ وروشة اتحدث مع الناس والاطفال والمرأة وانا اكاد اعتقد اني الى حد . ويوم
ذلك منذ سنوات نسيت الابرة العجيبة ونسيت الطعام .. تراها سألت عني ؟ ذلك ان لجوءه
الآن لأنك تريد ان تراني معذبا ، او تريد ان تقضي على بقية الناعمة : اذهب
الى بيتك بكرا - او تقول لي : ماذا تقول ؟ جيدة عن الحقيقة جيدة جيدة ..
ستجد الف عذر لترمي هذا الطفل المتنوع الخبيء ، وكالعادة لن يكون بوسعي ان اقول
لك : لا ، ولست ادري ماذا حدث ؟ ماذا عليه ان يكون قد حدث غير انه كانت
فقيرة ربما غادرة مع الزوج مع شاب آخر ، او مع نفسها ، وانا انتظر ؟
وما الذي اريده .. ما الذي اريده من كل شيء يا فائزة ؟ ما الذي يريده هذا
الطفل المدلل الضائع الخبيء الذي تحول الى كرة متشابكة من الاعصاب والزوج ؟

ملحق:
مقتطفات من آراء نقدية في الكتاب(*)

جرأة غادة السمّان وشجاعتها في إبداء آرائها الصريحة دون لف أو دوران أو نفاق ما زالت كما عهدناها. فقد أصدرت أخيراً عن دار الطليعة كتاباً بعنوان «رسائل غسان كنفاني إلى غادة السمّان».

وقد أثار الكتاب، بطبيعة الحال، ضجة كبيرة ترددت أصداؤها في كل مكان، وانتشرت في كافة الصحف والمجلات العربية، بين مؤيدين ومستنكرين ومتفرجين. فالمستنكرون رأوا في نشر غادة لرسائل الكنفاني جريمة لا تغتفر، إذ لا يصح ربط اسم غسان، المناضل والثائر الفلسطيني المعروف، بقضايا الحب والغرام، وخاصة أن تلك الرسائل، كما تبدو، طافحة بالهوى والعذاب والشكوى وبمرارة الهزيمة. وكأنهم بذلك يقولون إن المناضل والثائر لا يمكن أن يعرف الحب وإنه إنْ جربه، فإنه بذلك يسيء إلى سمعته ومكانته.

وفي رأيي، إن غادة السمّان (لا غيرها) الصادقة دائماً مع نفسها وفي كتاباتها ومواقفها، اختارت نشر تلك الرسائل لأنها مقتنعة بأنها بذلك تحفر بُعداً آخر من أبعاد شخصية الكنفاني، الشاعر والكاتب والصحفي والثائر والمناضل. ولو كان كاتب تلك الرسائل شخصاً غير الكنفاني، لما كانت للرسائل أهمية ما. ولو كانت المعشوقة إنسانة أخرى غير غادة السمّان، التي تمتلك شجاعة تؤهلها للقفز فوق الموانع، لما فكرت يوماً في الكشف عنها. ولكنها غادة التي تمتلك حسّاً أصيلاً، يمنحها باستمرار ثقة متجددة بالنفس. أما الذين يحاولون الإساءة إليها أو التشكيك بمواقفها بعد سنين طويلة من الإبداع والعطاء، فإنهم يثيرون زوبعة دخان، سرعان ما تتلاشى مخلّفة وراءها إضافة من نوع جديد إلى المكتبة العربية.

ابتسام عبد الله

جريدة «الجمهورية» العراقية، ٢٤/ ١١/ ١٩٩٢

(*) تتابع الأسماء في هذا الملحق بالترتيب الأبجدي، وهو يتضمن مقتطفات من المقالات النقدية التي استطعنا الحصول عليها، شاكرين من يزودنا بالمزيد منها مما لم يرد ذكره في هذا الملحق لنشرها في الطبعة القادمة، على أن تُرسل الكتابات إلى العنوان التالي:
غادة السمّان ـ ص.ب ١٨١٣ ـ ١١، بيروت ـ لبنان.

. . . من أين كانت تأتيه هذه الطاقة العجيبة، التي جعلته يناضل ويكتب المقالة السياسية والرواية والقصة والشعر ويرسم ويعقد المؤتمرات الصحافية، ويحدث انشقاقات لا تنتهي في التنظيمات التي ينضم إليها، ثم يجلس بعد الظهر ليضحك ساخراً من كل شيء، ويختلي إلى نفسه عند العشية ليدون واحدة من رسائل الحب الرائعة، التي نشرت الأديبة غادة السمّان بعض ما وجّهه إليها منها، فكشفت ـ مشكورة ـ عن وجه آخر، وجه إنساني عميق وصادق لغسان كنفاني، الذي لطالما اختفى خلف قناع المناضل وسمات الشهيد. . .

إبراهيم العريس

جريدة «الحياة»، لندن، ٨/ ٧/ ١٩٩٣

. . . وجدت أن الكتاب ـ عندما اطلعت عليه ـ مثير ويكشف عن جوانب كثيرة تصلح مادة لكاتب سيرة «غسان كنفاني» وفيه تحليلات نفسية دقيقة وخاصة في الرسالة الأخيرة التي وجهها «غسان» معنونة إلى أخته وهو في الحقيقة يقصد «غادة».

لكن لي رأياً في نشر رسائل «غسان» دون رسائل «غادة» إليه. فهذا الكتاب كان يجب أن يضم كل رسالة وجوابها، لذلك فهو في شكله الحالي يمثل نصف الحقيقة والذي يكون أحياناً أشد تضليلاً من الكذب.

ههنا مقياس صغير بحجم بوصلة البحار. هل رسائل «غادة» موجودة بين ما خلفه «غسان» من تراث؟ إن كان «غسان» نفسه قد أعدمها فمعنى ذلك أنه كان يريد لتلك المرحلة في حياته أن تظل مجهولة وهذا يعني أن «غادة» حين نشرت رسائله إليها لم تحترم رغبته. أما إن كانت الرسائل باقية فقد كان من الطبيعي تأجيل النشر حتى يظهر الجزء الذي لا يزال محجوباً من تلك المراسلات. كذلك أرى أن المبادرة إلى نشر رسائل «غسان» قد أُسيء توقيتها. فحين يحدد الناس أبصارهم في ذكراه إلى نقاط القوة في شخصيته فقد تصبح المفارقة واسعة جداً حين نريدهم أن يحولوا أبصارهم إلى نقطة ضعف لديه. أنا لست ممن يحيطون المناضل أو الشهيد بهالة من القداسة لاعتقادي أن كل إنسان فينا لديه «عقب أخيل»: «نقطة ضعف». صحيح أن البطل يغدو رمزاً كبيراً ولكن علينا دائماً أن نتذكر أن بطولته يجب أن تزداد عظمة في نفوسنا لأنه كان إنساناً مثلنا غير مبرأ من كل ما يحتاجه الإنسان على المستوى الجسدي والنفسي. إنما الذي أنكره أن نتعمد جر الناس من الاهتمام بالشيء العام الكبير إلى تفحص الخاص الصغير. إذ إن هذا التعمد في تحويل الاهتمام من مجال كلي إلى مجال جزئي يسيء كثيراً إلى الرمز. . .

وتشهد لغادة هذه الرسائل بأنها كانت حريصة على ألا تحطم البيت العائلي على رأس «غسان» كما أنها كانت حريصة على أن تظل العلاقة علاقة حب نقي مؤيد بصلابة المرأة المتمنعة. . .

د. إحسان عباس

مجلة «الحصاد»، قبرص، ٩/ ١٠/ ١٩٩٢

الذين قرأوا كتاب «رسائل غسان كنفاني إلى غادة السمّان» بهدف الوقوف على جوانب جديدة

من حياة الأديب والمناضل والشهيد الفلسطيني المعروف، تمكنوا بالفعل من إثراء معلوماتهم ومشاعرهم. أما الذين ذهبوا إلى الكتاب لمعرفة طبيعة العلاقة التي جمعت غسان وغادة، ووصلت إلى ذروات مشبوبة العاطفة (مع غسان على الأقل)، فقد عادوا كما ذهبوا... بخفيّ حنين يقودهم إحباط شديد ممزوج بإحساس أن غادة خدعتهم!

لا يختلف اثنان في أن قرار غادة نشر رسائل غسان الخاصة إليها، وفيها ذلك الاحتقان العاطفي الشديد، كان خطوة جريئة بكل المقاييس الأدبية والثقافية والاجتماعية في عالمنا العربي... لكن الخطوة الجريئة التي أرادت غادة بواسطتها نشر رسائل غسان «بصفتها أعمالاً أدبية لا رسائل ذاتية» لم تكتمل. إنها سيرة أحادية الجانب: رسائل غسان تخفق في فراغ من العواطف، من دون أن ترافقها ردود تعيد رسم صورة علاقة الحب كاملة. وإذا كانت غادة عجزت عن الحصول على رسائلها لأي سبب من الأسباب، فإن ذلك لم يكن ليمنعها من أن تضمن مقدمتها تفاصيل عن طبيعة العلاقة بينهما.

أحمد أصفهاني

جريدة «الحياة»، لندن، ١٣/ ١٢/ ١٩٩٢

... السؤال الذي لا بد من طرحه قبل أي شيء آخر هو: هل كانت هذه الرسائل «وثائق أدبية لا رسائل شخصية»، كما أشارت غادة السمّان في مقدمتها؟...

في الرسائل ما يمكن أن يقبل ككلام خاص فيه شيء من المساومة مع العشيقة، على الزوجة، لكن لا يمكن القبول به ككلام للنشر، ولا يمكن أن يكون الأديب الراحل، بالتالي، قد أذن بنشره... المهم أن النصوص والمقدمة تتكاملان في إجلاء الهدف الذي تطمح إليه غادة السمّان، من خلال نشرها لهذه الرسائل، ولن نبتعد كثيراً في قذف التهم الارتجالية التي أوصلها البعض إلى حد التآمر مع البيت الأبيض والمنظمة الصهيونية العالمية، على مناضل فلسطيني لاقى ما لاقاه من تكريم واحترام، وشكل رمزاً من رموز الأدب الفلسطيني المقاوم. وإنما نتأكد مما تقدم، أن المشروع يدخل في استعادة ذاكرة الصبا لدى الأديبة الكريمة...

أحمد بزون

جريدة «السفير» البيروتية، ٢٠/ ٨/ ١٩٩٢

... قد تكون بعض رسائل غسان إلى غادة، أو كلها، صحيحة وقد تكون ملفقة، بيد أن الصحيح أن غسان كان مثلنا، بني البشر...

... فلنعد للشهداء إنسانيتهم وبهذا فقط نفي شهادتهم حقها.

أحمد سعيد نجم

مجلة «الهدف»، ٣٠/ ٨/ ١٩٩٢

... إن الغرض السياسي يعبر عن نفسه أو يطل برأسه من بين سطور مقدمة الرسائل ذاتها. إنني لا أعفي عملية النشر من توقيت الإساءة إلى القضية الفلسطينية السامية والتمهيد إلى كل

«الدراما» التي بلغت ذروتها في اتفاق غزة ـ أريحا. إنني لست من السذاجة لكي أصدق سلامة نية غادة السمّان في نشر هذه الرسائل. لقد كان الهدف من النشر هو إفراغ كبرياء الرموز الفلسطينية التي دفعت دمها ثمناً لما تؤمن به. إفراغها من محتواها العقائدي والإبداعي. لقد كشفت الرسائل ليس عن ضعف في مواجهة العاطفة الذاتية بل عن هزال ملحوظ في التصدي لاندفاعات هذه الذات في حالات خلوتها ووحدانيتها.

... ولا أرى ضرورة ملحة تدفع أديبة لامعة كغادة السمّان إلى التضحية بكرامتها من أجلها. فهل لها في نشر الرسائل مآرب أخرى؟...

أحمد عبد المجيد
جريدة «القادسية» العراقية، ١١/١١/١٩٩٣

... وتبقى الرسائل تحمل نبض القلب، صوت الإنسان في أعماقه ومشاعره، وتظل القادرة أكثر فأكثر، على التعبير عما يعتلج في الحنايا، وعن كل ما يبهج الفؤاد أو يلون بالسواد سويداء القلب...

أديب عزت
مجلة «فنون» السورية، ٢١/٩/١٩٩٢

غادة استمرت وواصلت مسيرتها بصبر ألف أيوب. ولو كانت التهم والتجريحات ومحاولات النيل منها قد أفلحت معها، كما حصل مع أخريات، لتوقفت منذ البداية... لكنها كانت تعرف ما تريد، وآخر ما واجهته في نشرها لرسائل غسان كنفاني الملتاعة لها. لقد وصل عدد طبعات مجموعتها الأولى إلى إحدى عشرة طبعة، وهو رقم لا أظن أن هناك مجموعة قصصية قد وصلته لأي كاتب من كتّاب القصة القصيرة العربية.

أحمد عساف

في سنة ١٩٧١، أصدر أنيس منصور كتابه «يسقط الحائط الرابع»، وكان أول ناقد يكتب عن غادة السمّان وقد قال عنها: «إنها مثل كرة القطن المشتعل تنطلق في كل مكان؛ إنها تبحث عن ماء يخمدها. فإذا وجدت الماء رفضت وقاومت وصرخت... ما الذي تريده؟ تريد أن تظل مشتعلة وأن تحلم بالماء».. وحين كتب عن أعمالها «ليل الغرباء» و«عيناك قدري» و«لا بحر في بيروت»، وصفها بأنها أديبة غير متمية...

المهم أنها اعترفت بعلاقة حب بينها وبين غسان كنفاني. هذا الاعتراف قلب الدنيا.. وهز الوسط الأدبي كله رجالاً ونساء.. ماذا لو فعلها باقي الكتّاب؟ آه، لو استهوت اللعبة الأدب النسائي! ولهذا قالت لها سناء البيسي: اعترف أنك ملكة الرواية بعد روايتك «ليلة المليار»، وكان هذا يكفي. لماذا الآن وله زوجة وأولاد؟

أشرف توفيق
مجلة «العربي» الكويتية، شباط/فبراير ١٩٩٥

. . . من غزة والقاهرة والخرطوم وسواها يكتب غسان على سجيته وتفيض عواطفه بصدق ومحبة ويفصح عن الإنسان الكامن فيه: ذلك الذي صار شهيداً وكاتباً ومناضلاً لا يُنسى.

مجلة «الأقلام» العراقية، كانون الأول، ١٩٩٢

الكاتبة غادة السمّان هل ستكون جريئة في حياتها كما في كتاباتها؟ هذا السؤال يطرأ على ذهن كل من قرأ ما قاله جهاد فاضل، الناقد اللبناني نقلاً عن غادة السمّان، ومفاده أن غادة ستنشر رسائل حب متبادلة بينها وبين الكاتب الفلسطيني الشهيد غسان كنفاني، كاشفة بذلك عن تفاصيل قصة حب ظلت مخفيّة عن البعض. وقالت غادة إنها ستنشر الرسائل كاملة بمناسبة مرور عشرين سنة على استشهاد كنفاني ضاربة بذلك عرض الحائط التقاليد التي تفرض على المرأة كتمان أسرار علاقاتها الشخصية، ومما قالته أيضاً، إن الرسائل هي ملك الجميع وليس ملك شخص معيّن طالما أنها جزء من تاريخ الأدب العربي. . . كتاب غادة السمّان المنتظر هل سيكون فاتحة عهد جديدة في كشف أوراق وأسرار الأدباء العرب الذين رحلوا قبل حبيباتهم؟ وهل ستكون هناك نساء أخريات بجرأة غادة السمّان؟ الجواب ربما سيكون بالإيجاب، خاصةً وأن كتباً من هذا النوع مقروءة ومطلوبة بكثرة لما تمثله من أسرار شخصية لكتاب معروفين.

ونأمل أن يكون كتاب غادة السمّان عن كنفاني لا يشبه الكتاب الذي أصدرته حبيبة «مجهولة» لخليل حاوي عن خليل حاوي نفسه!

جريدة «ألف باء» العراقية، ١٩٨٨/٩/٧

سامح الله من قال، إن المرأة لا تكتم سراً.

بعد ستين سنة (١٩٣٧ ـ ١٩٩٧) فتحت الأديبة الكبيرة إدفيك جريديني شيبوب الملف السري جداً المتعلق برسائل حميمة جداً أيضاً، بعث بها إليها مؤسس الحزب السوري القومي الاجتماعي، الزعيم أنطون سعادة.

وفي العادة والعرف، إن الدول التي تحترم نفسها لا تعرض ملفاتها السرية للباحثين إلا بعد مضي عشرين سنة، وقد تكون قد شجعتها على ذلك الأديبة الثورية غادة السمّان التي كانت سبّاقة إلى نشر الرسائل الشخصية «لأنها خرجت من الخاص إلى العام باستشهاد صاحبها قبل عشرين سنة» («رسائل غسان كنفاني إلى غادة السمّان» ص ٨).

أنطوان خليل

مجلة «الحوادث»، لندن، ١٩٩٧/٨/٢٩

كتاب الأديبة غادة السمّان ورسائل غسان كنفاني إليها أثارا ضجة بين معارض ومؤيد.

أرى أن قطاعات كبيرة من القراء المحترفين والعاديين يجهلون عوالم الكُتّاب الداخلية ويجهلون أزماتهم وأمزجتهم وتركيباتهم النفسية، ولذلك فإنهم يحاسبونهم كما يحاسبون أي إنسان عادي وفق نفس المعايير ويصدرون أحكاماً جائرة في حقهم.

إن بصمة المبدع هي جودة في نتاجه كما هي في حياته، لكن ما يظهر للناس هو ما يقدمه لهم، وبالتالي تُرسم صور مثالية كثيرة... نحن بحاجة إلى فهم أوسع لطبيعة المبدع...

أنور الخطيب

جريدة «الاتحاد»، أبو ظبي، ١٣/ ١٠/ ١٩٩٤

أليس مفارقاً أن يختفي كلام الحب، من نثر العرب المعاصرين؟

المرأة هي الأرض أو هي الوطن، المرأة رمز حتى في حالات العشق القصوى، والحب في أدب الرجال والنساء، خاضع لنمذجة مسبقة. وفي الحالات النادرة حيث يعلو صوت الحب في حياة شخصيات الروايات والقصص، فإنه يختفي في القضايا الكبرى. ولعل أدب كنفاني نفسه، هو النموذج الصارخ لهذه الإشكالية.

ففي الوقت الذي كان يبعث فيه برسائل حبه، كان يكتب مسرحية «القبعة والنبي»، أيَ كان يعيش انفصاماً بين وجودية عقلانية تعبر عنها المسرحية، وبين وجودية حياتية تعبر عنها الرسائل...

مع رسائل كنفاني، نحن أمام حالة فريدة في الأدب العربي. لكنها للأسف حالة ناقصة. تستطيع غادة السمّان أن تقول إن جزءاً من الرسائل احترق، ونحن لا نملك سوى أن نصدقها أو أن ندعي تصديقها.. ولكنها حين تنشر الرسائل هكذا ودون مقدمة حقيقية (كتبت للكتاب مقدمتين محشوتين برطانة البلاغة التقليدية)، فإننا نتساءل هل المعشوق خارج الدائرة، أم أنه يفضل أن يبقى خارجها كي يحتفظ بالضوء مسلطاً على سلطته!

رسائل كنفاني تكشف سلطة العشق، لكنها لا تكشف كل الحقيقة. فالحقيقة ناقصة. غادة السمّان تقول إن رسائلها الجوابية لكنفاني ليست في حوزتها، ونحن لا نملك سوى تصديقها، لكنها لا تستطيع أن تدعي أن ذاكرتها ليست بحوزتها أيضاً، فالإشارات التوضيحية التي كتبتها في أسفل الرسائل تدل على أنها ما تزال تذكر أدق التفاصيل.

لماذا لم تكتب مقدمة عن الحكاية، وعن ما تذكره من رسائلها؟ هل لأنها أرادت أن تحتفظ بصورة المتسلط المطلق... وما قيمة السلطة أمام سلطة الزمن الذي سيأخذنا جميعاً إلى ذاكرة النسيان؟...

الياس خوري

ملحق جريدة «النهار» البيروتية، ٢٥/ ٧/ ١٩٩٢

... ولماذا انتظرت السيدة غادة كل هذه المدة لكشف ما يمكن وصفه بالعورات؟...

نحن الذي عايشنا غسان كنفاني في الفترة ذاتها «فترة الغراميات» والأشواق الملهبة أو الملتهبة، لا ندعي أن الرجل كان قديساً ولا حتى أفلاطونياً أو بثينياً... أو حتى عنيناً...

... أقول الآن، إنه كان ربما، يعشق كوب الشاي الأخضر في أغلب الأحيان أكثر من أية امرأة...

... أمسك بعلامة استفهام ضخمة حول الموضوع برمته، لا أسوق تهمة التزوير أو التحريف

أو التأليف، أولاً لأنني لا أملك مصاريف الدعاوى والمتابعات الإجرائية القانونية، وثانياً لأنني لا أملك الجهد اللازم لمتابعة المحاكمة والمناكفة...

... وما دمنا في مجال التطرق إلى النظام العالمي الجديد، لا أستطيع إلا أن أخمن ولادة كتاب السيدة السمّان من حمأته...

... في هذا العصر مات غسان كنفاني فعلياً... قبله كان ما زال حياً بصورة ما، غامضة وفاعلة، لم يكن خلالها بالإمكان رشق وجهه باللطخ السود، ولا جسده بالحراب المسمومة.

أما الآن... في عصر الردة الجلية هذا، فهذا ليس ممكناً فقط، بل هو واجب ربما...

... أليس هو التوقيت المناسب لنشر ما نشر.

أيها الفلسطينيون، إن رمزكم الأدبي كان يتمنى تقبيل قدمي سيدة ما... اركعوا إذن. لن تنفع كل هذه الحجارة... وكل هذه الدماء الفتية.

كله هباء، كله هراء، ألا ترون؟.. إنه كتاب، وموثّق، تريدون خبراء خطوط؟ أم خبراء نوايا؟ أم خبراء استثمار؟ في كل الحالات هو الغناء في الطاحون. إنه سيل العدم يتناسل...

إلياس العطروني

جريدة «السفير» البيروتية، ١/ ٨/ ١٩٩٢

... لكنك عظيم. تسأل لماذا؟

ليس لأنك كنت مناضلاً شجاعاً... ليس لأنك حملت فلسطينك على ظهرك وتجولت في الدنيا... وليس لأنك تفتتت ذات صباح لتصبح شهيداً... ليس لأنك كنت كل هذا فقط. بل لأنك كنت إلى جانبه إنساناً.

آمال مختار

جريدة «الصباح» التونسية، ٢٧/ ١/ ١٩٩٢

... وأتساءل لو مات غسان ميتة غير التي ماتها... أكانت تفتخر غادة بحبه.

وها نحن يا غادة ننتظر، لنرى على من يقع دور الاعتراف الآن...

أميمة الناصر

جريدة «الرأي» الأردنية، ١٨/ ١٢/ ١٩٩٢

منذ أفرجت الأديبة غادة السمّان عن رسائل الحب التي بعثها إليها غسان كنفاني، ونشرتها... والثورة على غادة قائمة في مضارب العرب من المحيط إلى الخليج.

... ولماذا لا يكون الثائر عاشقاً؟ وعاشقاً خائباً مثلي ومثلك ومثل الملايين في هذا العالم؟ وهل يستحيل على القلب الكبير أن يجمع بين حب بلاد وحب امرأة؟

... إن «الرجال لا يبكون» هي عبارة لا وجود لها إلا في قواميس الجلادين والتماسيح. وغسان كان أديباً مرهفاً، يعيش بالحب وللحب. لهذا اجتمع حوله عشرات الأصدقاء الذين ما زالوا

أوفياء لذكراه حتى هذه اللحظة... أهم ما في الرسائل أنها كشفت جانباً حميماً من الأديب الذي قرأناه بحب، والمناضل الذي بكينا رحيله قبل الأوان. أما الذين يتساءلون عن رسائل غادة الجوابية، فهم لا يريدون اكتشاف غسان بقدر ما يبحثون عن الإثارة... إن رسائله إليها مكتملة بحد ذاتها، بل بدون الهوامش القليلة والمقدمة التي قدمتها بها. هذا إذا قرأناها بعين الباحث المتشوق لحرف لم ينشر لغسان، لا بعين الجاسوس الذي يتشمم الفضيحة.

كل جريمة غادة أنها امرأة عربية خرجت عن المألوف فنشرت رسائل أديب هام بها، مع كل ما في الهيام من خيلاء... ومن لحظات ضعف. ومن كان منا بلا ضعف فليرمِ غادة بحجر!

إنعام كجه جي

مجلة «الدولية»، باريس، ٢/١٢/١٩٩٢

انقسم النقد في هذا الشأن (رسائل غسان) إلى قسمين. فالذين قالوا: لِمَ لا، هم غالباً ممن يؤمنون بحرية الفنان المطلقة في التصرف بمقتنياته الخاصة. وطالما أن هذه الرسائل كتبت لغادة، فيحق لغادة وحدها التصرف بها ونشرها في الوقت الذي تراه ملائماً لذلك. وحجتهم في ذلك أن حب غسان لغادة لم يكن خافياً على أحد. فالذين عايشوه في أواخر الستينيات كانوا يقرأون عن هذا الحب في زاويته الخاصة. ويا ليت نساء عربيات أخريات يتجرأن على إخراج رسائل أدبائنا الكبار لهن المخبأة في صناديق الخوف والعتمة...

أما الذين اعترضوا، فإنما فعلوا ذلك لسببين: الأول لاقتناعهم بأن الأدب كنتاج كامل وشامل شيء، والمراسلات الأدبية شيء آخر. ويعني ذلك أن الرسائل قد تكون أدبية ومكمّلة للنتاج الأدبي وقد لا تكون. وهل كل ما يكتبه الفنان تحت وطأة الانفعالات العاطفية يشكّل دوماً مادة أدبية هامة؟ وإن توقفنا عند رسائل غسان إلى غادة التي لا تزيد عن الإثنتي عشرة رسالة، نتساءل: هل تضيف إلى أدبه مضيفاً؟

إيفانا مرشليان

مجلة «الدولية»، باريس، ٢٤/٢/١٩٩٣

... ليس في العربية مثل هذا التقليد. إذ لا مكان في ثقافة القضايا والكليات أن تُطابق صورة الكاتب صورة الإنسان فيه. فالعيش في ثقافتنا مرذول أو مصنف في مرتبة دنيا، تماماً كما يُصنّف النثر. والقضايا توضع في صفة الشعر ومرتبته.

... وسواء اقتنع القارئ بالمبرّرات التي أوردتها في تقديمها للكتاب أم لم يقتنع، فإن ما أقدمت عليه غادة السمّان عبر نشرها الرسائل لا يخلو من الجرأة، مهما كانت الدوافع إليه. هذا فضلاً عن الجانب الآخر الذي ربما لم تفطن له غادة السمّان وهو إسهامها في نشر أول نص غرامي باللغة العربية، دون تدخل أو حذف أو مراعاة أو تورية...

بسام حجار

مجلة «الناقد»، كانون الأول، ١٩٩٢

. . . وسواء كنا مع غادة السمّان أو ضدها، إلا أنها برعت في تقديم الكتاب بصراحتها من ناحية وبأسلوبها في الكتابة من ناحية أخرى.

. . . وندخل من صراحة غادة إلى صدق غسان فنكتشف أننا في عالم من الشعر، من اللغة الناضجة المذهلة. غسان يرتفع في العشق إلى حيث تختلط الحبيبة بالثورة، بالقضية، بالأرض، بالأهل.

. . . غادة قتلت غسان من الداخل كما قال، وهي نقطة عليها. ولكن نشر رسائله بما تضمنت من عمق إبداعي ساهمة في إحيائه مهما قيل، وهذه نقطة لها.

بدري عبد الملك

مجلة «الحسام» اللبنانية، ٢٥/ ١٠/ ١٩٩٢

غادة لم تقلْ لنا هل كانت ترد على رسائل الحب من غسان برسائل حب مماثلة؟ وإذا كانت لم تفعل، فهل كان غسان يمارس الحب من طرف واحد؟ وهذا الحب من طرف واحد كيف ينسجم مع العلاقات العشر أو العشرين التي كانت لغسان في الوقت نفسه؟

بلال الحسن

جريدة «السفير» البيروتية، ١١/ ٧/ ١٩٩٧

من يقرأ بوح غسان بالعشق، لا يمكنه إلاّ أن يتذكر قيس وليلى، وكل قصص العشق التي دوّنها التاريخ. العشق في قلبه شرقي إلى أقصى الحدود، يوصله إلى حدّ الجنون أحياناً، وإلى حدود الألم في كثير من الأحيان.

مجلة «بلقيس» اللبنانية، حزيران/ يونيو ١٩٩٨

. . . التنطع للدفاع عن غسان بالأوهام مخافة الفتك والإساءة إليه فهذه هي الإساءة عينها. . .
إن قليلاً من التروي يظهر أن فعل غادة يستحق كل تنويه لأنها استطاعت أن تكشف عن جانب غالباً ما طاله الطمس وكأن الإنسان عقل دون قلب. وبفعلها تكون قد قربته لنا أكثر. . .

بوشخار حمو

مجلة «الناقد»، تشرين الأول، ١٩٩٣

. . . غادة السمّان في نشرها رسائل كنفاني لها، تثبت جرأتها في تناول المحرّمات (إذا اعتبرنا الرسائل الخاصة جزءاً منها)، والمعروف عنها أنها جريئة إلى حدّ المغامرة، وأنها تملك طاقة على انتهاك المقدس من تقاليد وعادات وأعراف، لا تزال جزءاً من ديمومة «التجمعات» العربية.

وفي عودة إلى الرسائل، فإن غادة السمّان تفوّت على القارئ طرح بعض الأسئلة حول اكتفائها بنشر رسائل كنفاني إليها من دون أن تنشر إلى جانبها رسائلها له بانتظار أن تعثر عليها، وتنتهزها فرصة لتوجه نداء «إلى من رسائلي بحوزته (أو بحوزتها). . . ونظن أن لغادة السمّان عذرها في هذا الشأن، وليس ما قيل في حقها إلا محاولة لتسجيل موقف أو رأي لا أكثر. خصوصاً أولئك الذين

تعرضوا للسمّان آخذين عليها غياب قلمها عن مراقبة بعض ما جاء في مضمون الرسائل، باعتبار ذلك يمس بكرامة أديبنا الراحل وتاريخه النضالي... لا شيء يمنع من أن يكون الإنسان مناضلاً إلى جانب كونه عاشقاً حتى العظم. إلا إذا كنا نرسم صورة للبطل على ضوء ما تختزنه الذاكرة العربية... غادة السمّان تكسر هذا المفهوم وتنزع عن البطل أخباراً وهمية تصنع سيرته وشخصيته، تجرده من أوهام العامة ونسيج خرافتهم حوله.

حسناً كانت فعلت غادة السمّان لو اقتصرت في تقديمها للرسائل على هذه الإيضاحات ولم تسهب في تحليلها البارد لأبعادها الوطنية والأدبية والإنسانية. فعرضها للدوافع والأسباب التي حملتها على النشر جاء جافاً ويفتقر إلى حميمية الرسائل ودفئها. وكان أحرى بها لو تركت للرسائل أن تكشف نفسها بنفسها...

بيار شلهوب

جريدة «نداء الوطن» البيروتية، ١٥/ ١١/ ١٩٩٢

... لقد سمحت لنفسك بنشر رسائل غسان كنفاني إليك وانتهكت حرمة العاطفة... وأعطيت لنفسك الحق كل الحق في ذلك.

تغريد شملاوي

جريدة «الدستور» الأردنية، ٨/ ١/ ١٩٩٣

... أما كيف ننبش في «خاص» الثوري؟ فهذا تابع للقناة المتّبعة في النبش والحفر وعن الهدف المقصود في/ ومن ذلك. وبنفس الوقت مرتبط بالمتلقي وسوية استيعابه للمظاهر المسلكية...

أنا لا أقصد اتّهام الأديبة غادة السمّان (بل لا بد من أن يشكرها كل المخلصين لغسان الأديب والثوري والإنسان، حيث أظهرت فيه جانباً كان أكثر إبداعاً وتألّقاً إنسانياً من خلال نشرها لرسائله) ولكنني أتّهم التغييرات الفيزيولوجية والنفسية التي تطرأ على جسد المرأة بعد مضيّ العقود الأربعة الأولى من عمرها، خصوصاً إذا وجدت نفسها في حالة من الفراغ النفسي والاجتماعي الذي لا تستطيع أن تحمله على أكداس الدولارات أو المساحيق أو الأوراق الصفراء المهملة...

... كان غسان فناناً مبدعاً خلاّقاً ثورياً بكل ما تحمل مواصفات الفعل الإيجابي من مظاهر ومنظومات. وباعتباره إنساناً، لم يكن مبرمجاً كما تشتهي أنظمة العجلات والمداخن والنساء اليائسات والرجال المنحطون أو غيرهم. أي أنه كان يحاول الحركة عبر أفق مفتوح بخطاب جمالي وعقلاني وفكري وثقافي مفتوح. ولم يكن مغلقاً في دشداشة التعريف القزم للثوري الميكانيكي الذي يحرك لسانه فقط ليكتشف في اليوم التالي أنّه علّق ثوريته على مشجب الإيديولوجية الرثّة، وترك نفسه متخبطاً في مستنقع الميكانيكيات المقزّمة للإبداع الجمالي. وهذا لا يعني أن المبدع الثوري يعاني من ازدواجية مسلكية. فهو في عشقه متماه مضح ناكر للذات، بغض النظر عن صيغه إن كان للوطن، أو للإنسان أو للطرف الآخر (الرجل أو المرأة). وهنا بالذات تسقط معايير الأعراف والتقاليد وأنظمة التمثلات الاشتراطية. فما معنى أن يقوم إنسان ما بعملية انتحارية يتشظى فيها جسده أمام الفكرة المعتنقة. وبنفس الاتجاه يمكن مناقشة حالة العشق التي يمارسها الثوري. فهو ناكرٌ قطعي لذاته أمام الطرف الآخر،

وبالتالي، لا معنى لتناول هذه الحالة من خلال تشعّبات علم النفس التي تدرسها من ناحية مرضية كالدونية والمازوشية وغيرها. . . وما محاولة اغتيال غسان على أيدي الذين فهموا رسائله على أنها مادة متفجرة جديدة ستناثر موقعه في ذاكرتنا المفجوعة لن تكون إلاّ إعادة بناء لمقدماته التي وضعها في ثقافة المقاومة على أمل إيجاد مشروعية القدرة على التصدي الوطني الشعبي والابتعاد عن مشاريع الرد البربري للقاع الشعبي ضد قطار عولمة السماسرة ورعاة البقر وأشباه الديناصورات. . .

د. جمال الدين الخضور

مجلة «الهدف»، ١٨/ ١٠/ ١٩٩٢

تنوي غادة السمّان نشر رسائل حب تبادلتها ذات فترة مع الكاتب الفلسطيني الراحل غسان كنفاني بمناسبة مرور عشرين سنة على غيابه. ستنشر غادة السمّان هذه الرسائل كاملة وبدون اجتزاء. . . ضاربة بعرض الحائط بآداب النظام العام الشرقي وتقاليده، هذا إنْ كان هناك مؤسسة اجتماعية شرقية لها مثل هذا القوام القانوني، ولها مثل هذه التقاليد.

قالت لي غادة السمّان: مرّت عشرون سنة على تلك الحكاية العاطفية، فأصبحت تخصّ الجميع ولا تخصّ شخصاً معيناً بالذات. لذلك لا أجد ما يمنع من نشر تلك الرسائل. . . إنها رسائل تدخل في باب الوثائق الأدبية أكثر مما تدخل في باب الرسائل الشخصية. فأي تحرّج أو تأثم في نشرها؟

وتذكرت ساعتها رسائل الياس أبو شبكة إلى حبيبته وكيف أحرقها شقيق زوجها بعد عودته من البرازيل، ورسائل خليل حاوي إلى ديزي الأمير التي تكفّلت هي ـ وليس أحد سواها ـ بإجراء «اللازم» تجاهها. لقد أعطتها قبل سنة لدار نشر لبنانية بعد أن حذفت منها ما حذفت، وأخفت ما أخفته «بالكلس المقوى» كما يقول أحد متون الكتاب الذي ضم الرسائل. وفي طليعة ما حذفته وأخفته اسمها بالذات، كأن خليل حاوي أرسل تلك الرسائل إلى فتاة وهمية تخيّلها، لا إلى فتاة كانت خطيبته وقد أقاما معاً في كامبردج (يُراجع كتاب إيليا حاوي عن شقيقه خليل، وقد صدر مؤخراً عن دار الثقافة في بيروت). وقلت في نفسي وأنا أسمع غادة السمّان تروي باعتزاز ما ستفعله لغسان كنفاني بعد مرور عشرين سنة على استشهاده: إن ذاكرة غادة السمّان تتوهج مع الوقت وأصالة معدنها يحسم الأمر، فتعيد الحياة إلى ماضٍ من العمر فيه ما يبعث الفخر لا ما يولّد الخجل.

جهاد فاضل

مجلة «الحوادث»، لندن، ١٢/ ٨/ ١٩٨٨

. . . غادة تسوق الشاهد تلو الشاهد، والفكرة تلو الفكرة، من تراث السلف أو من تراث العصر، لتثبت حق الكائن البشري بالحب والبوح، وهو أمر يظهر كم أن مجتمعاتنا الشرقية متخلفة حتى عن ماضيها الحضاري نفسه. ففي ذاك الماضي الحضاري بلغ الإنسان العربي من رقي القلب والروح والوجدان، ما لم يبلغه إنسان معاصر اليوم. . . والواقع أن أحداً لم يحسن إلى غسان كنفاني في ذكرى مرور عشرين سنة على استشهاده بمقدار ما أحسنت غادة السمّان. لقد أظهرت الإنسان والصدق والبراءة فيه.

... وأراني بعد ذلك في غير حاجة إلى التأكيد على أن غادة السمّان لم تسيء إلى أحد في نشر هذه الرسائل، ولا إلى أية قيمة من القيم الراسخة في الضمير البشري أو في الضمير الأدبي... ولن يندم القارئ إذا أعاد قراءة المقدمة وقراءة الكتاب كله مراراً. ففي كل ذلك شحنات من الوجد يندر لها مثيل.

جهاد فاضل

مجلة «الحوادث»، لندن، ١٩٩٢/٨/٢٨

... والغريب أن «الفئة» نفسها التي حملت عليّ يوماً لنشري قصيدة غير معروفة لبدر شاكر السياب (تشوّه صورته) كشاعر تقدمي في نظرهم، تحمل اليوم على غادة السمّان بداعي أنها تشوّه سيرة غسان كنفاني. أما لماذا تشوّه غادة سيرة غسان فلأن غسان عند هؤلاء ليس مجرد كاتب أو إنسان عادي، بل كاتب أو إنسان امتزج «بقضية»، والقضية تتأذى عندما يُضبط هذا الكاتب في «القطة» يقول فيها لامرأة أو لحبيبة أنه يحبها... فكيف يجوز ذلك من كاتب كان مسؤولاً يومها مع وديع حداد عن العمليات الخارجية للجبهة الشعبية؟ ثم إن توقيت نشر هذه الرسائل هو عندهم أكثر إيذاء، «فالقضية» نفسها تمر اليوم في أخطر مرحلة من مراحلها. إنها في حالة هزيمة ما بعدها هزيمة وتردّ ما بعده تردّ. وكان الأولى بغادة السمّان أن تؤجل نشر هذه الرسائل في هذا الظرف الدقيق لحين استعادة القضية لأنفاسها أو لحين وصول القضية إلى النصر. أما وأنها لم تفعل ذلك فلا شك أنها «وقّتت» نشر هذه الرسائل مع دوائر أجنبية مشبوهة (لكي تزيد القضية تعقيداً) من نوع الدوائر التي «وقّتُّ» أنا معها عندما نشرت قصيدة بدر.

... ما فعله غسان كنفاني لم يكن عيباً أو شراً، فالكثيرون قبله، ومن كبار القوم ومن أصحاب القضايا، صرخوا وتأوهوا عندما كانوا في مثل وضعه. وكل هذا خير دليل على أن الحب هو صاحب الوقت وصاحب الزمان والباقي وحده. ودليلنا المباشر على ذلك أن كل عمليات غسان العسكرية لم تقدم أو تؤخر، في حين أن «عمليته» العاطفية هذه تثير اليوم ما تثيره من اهتمام، ومن يدري فقد تكون في المستقبل «عمليته» الأدبية الوحيدة الباقية.

أما أن «القضية» في محنة خطيرة اليوم ولذلك لا يجوز نشر هذه الرسائل، فما أدرانا أن حال هذه القضية سيكون غداً أفضل، أو أنه قابل للتحسن مع الوقت. ثم هل نربط نشر كتاب أدبي، أو نشر كتاب موضوعه رسائل عاطفية عمرها ربع قرن (لمجرد أن صاحبها كان مناضلاً)، بتحسن ظروف هذه القضية؟ ولنفترض أن ظروف هذه القضية لن تتحسن، وهذا هو الأرجح مع الأسف الشديد، فهل نحبس الكتاب أو الرسائل؟ وهل هذه الرسائل شديدة التأثير على مجرى هذه القضية فعلاً؟ وهل كانت غادة السمّان، وهي من العرب العاربة كما هو معروف، ترضى بطبعها لو أنها كانت مقتنعة بأن نشرها يضرّ بالقضية؟...

جهاد فاضل

مجلة «الحوادث»، لندن، ١٩٩٢/٩/٢٥

... جاء في الرسائل ما يثبت رغبة غسان كنفاني في الكتابة عنه من قبل غادة السمّان، يقول «إنني أعطيك بطل قصة، مخلوقاً جديراً بالتفحص في أنبوب اختبار، وسأكون سعيداً لو عرفت كيف تكتبين عن رجل أحبك، ولم يخطئ معك وظل يحترمك، ولم يكترث بأيما شيء في سبيلك».

... لم تهتز صورة غسان المناضل في أذهاننا حين قرأنا الرسائل بل إني رأيته يحيا من جديد ولم أعتبره موتاً ثانياً له كما أشار الأستاذ محمد كعوش في مجلة الحصاد. موت من أجل الوطن هو حياة، وموت من أجل العشق هو حياة أيضاً.

الرسائل تحمل فنية عالية ولها قيمة أدبية تندرج ضمن فن المراسلات الأدبية بين الكتّاب على خلاف ما ذكر الأستاذ وليد أبو بكر من خلو تلك الرسائل من إبداع غسان كنفاني في الكتابة...

تلزمنا جرأة غادة السمّان لفعل ذلك حتى يتكوّن لدينا فيما بعد فن جديد: المراسلات الأدبية وخاصة تلك التي تكون بين الرجل والمرأة. ماذا في ذلك؟! لماذا لا نعمد إلى كشف دواخلنا وفضح المستور حتى لا ننفصل كثيراً عنها...

جواهر الرفايعة

جريدة «الرأي» الأردنية، ٣/ ١١/ ١٩٩٢

... وفي زمن أقرب إلينا أذكر غادة السمّان وقصة الحب التي جمعت بينها وبين غسان كنفاني. وهي العلاقة التي كشفت عنها الرسائل التي نشرت مؤخراً في إطار عملية جريئة لم يسبق لها مثيل في حياتنا الثقافية والأدبية. إذ كثيراً ما تنشر الرسائل المتبادلة بين الكتّاب والكاتبات بعد الوفاة، خصوصاً بعد وفاة الكاتبة. أما في حال غادة السمّان فقد وقع العكس، بحيث بادر الطرف المؤنث في العلاقة، لا الطرف المذكر، إلى نشر المراسلات المتبادلة. ثم إن الإبداع والتأثر الثقافي المتبادل كان ركيزة في علاقة غادة السمّان بغسان كنفاني...

جورج طرابيشي

مجلة «الوسط»، لندن، ١٣/ ١٢/ ١٩٩٣

... إن غادة تقدم غسان عاشقاً مهزوزاً، ضعيفاً، يعاني من أمراض السكري، النقرس، الضغط العالي والواطئ... لقد شوّهت غادة صورة غسان... فهل يمكن أن نعد هذا (الذل) من الأدب، وأنه لوجه الإبداع وإفادة القارئ؟

حسب الله يحيى

جريدة «العراق»، ٥/ ٨/ ١٩٩٣

... لقد ذهب الحق وجماله في معمعة الضجيج، وافتعال التقولات على أدبية راقية مثل غادة السمّان، بل إن بعض (أصحاب الأعراض وحماتها) استجروا تاريخ غادة السمّان وماضيها.. وبنوا عليه بعض ما جاء في الكتاب، وهم ليسوا على حق إطلاقاً لأن أنفاسهم ليست طيبة أبداً، ولأنهم أخذوا بالجزء، ولم يأخذوا بالكل.. أخذوا ما اتفق وأغراضهم من الكتاب وتركوا ما خالف ذلك. وهذا ليس هو روح الأدب والقراءة النقدية...

وغادة السمّان، وهي تنشر رسائل غسان كنفاني اليوم لم تأت شراً، أو ترتكب حماقة، أو تنشر سلوكاً شائناً أبداً.. إنها بصريح العبارة تقدم كتابها الجديد بكل افتخار، وتقدير، واحترام لأديب مرموق مثل غسان كنفاني، قيضت له الأيام ولها أن يتعارفا.. فتمد هي إليه يد الصديقة الدافئة في مرضه، ويمد هو إليها اليد الصديقة الدافئة وهي ما تزال في أول مشوارها الأدبي...

وفي قناعتي أنه لولا قناعة غسان كنفاني بإبداع غادة السمّان وسلوكها، وحضورها.. لما كتب إليها حرفاً واحداً.. وفي المقابل، لولا إدراك غادة السمّان الكبير لحقيقة غسان كنفاني.. لما بادلته الحوارات، والرسائل، والكتابات، ولما عايشته سلوكاً وأدباً.. فقد كانا معاً، قمتي إبداع في عاصمة مثل بيروت حاشدة بالأسماء الإبداعية المهمة، وذات الحضور غير العادي...

إن الخلط، والتشويش اللذين شابا المقالات والدراسات التي تناولت كتاب غادة السمّان الجديد (رسائل غسان كنفاني إلى غادة السمّان).. سيزولان لأنهما وقفا موقف الأخلاقي، وكأنهما في محكمة، تجاه أثر أدبي فيه الكثير من الحضور الأدبي، والصدق الوجداني، والعذوبة الفنية الرهيفة، والقيمة التاريخية.. وذلك كله في صالح المبدعين غادة وغسان.. لا ضدهما. وقد آن الأوان حقاً.. أن تنحسر تلك الكتابات المتهافتة التي لا تحوّم إلا في فضاءات عكرة لا أوكسجين فيها، ولا صفاء، ولا مودات...

حسن حميد

مجلة «صوت فلسطين»، ١٩٩٣/٣/٣٠

كاتبة مبدعة وتقدم أدباً نسائياً متميزاً. ولكن كتابها الأخير عن غسان كنفاني لم أعجب به على الإطلاق.

... كتاب ليست فيه أي جرأة بل حب ظهور وأنانية. هي تنشر رسائل أديب أحبها ما العيب في ذلك؟ الجرأة الحقيقية حين تنشر رسائلها هي لغسان كنفاني، لقد اتفقا على نشر هذه الرسائل عندما يتوفى أحد الطرفين وباستشهاد غسان شوهت غادة صورته.

حسناء مكداش

«الاتحاد الأسبوعي»، أبو ظبي، ١٩٩٤/٩/١٥

... نرجسية مقيتة لا تليق بمرتكبيها وهم في ميعة العمر فكيف بهم وقد ارتدّوا إلى أرذله مثل السيد نزار قباني والسيدة غادة السمّان في أكثر ما يكتبان حتى ولو كان نشر رسائل كاتب ضخم مثل الشهيد غسان كنفاني... نقول هذا لمناسبة صدور الرسائل بطبول وزمور عن دار الطليعة في بيروت (لماذا ليس عن دار رياض الريس المختصة بمثل هذا الـ...!؟)ومن حسن الحظ أن تلك الطبول والزمور لم تتجاوز دائرة «قطرها دار النشر» المذكورة على الرغم من الغندرة والزيطة...

ولا بد للقارئ أن يتساءل هل يجرؤ على مثل هذا الهراء (يقصد مقدمة غادة السمّان للرسائل) إلا شخص يحتاج إلى قليل من الحياء...!؟

حسيب كيالي

جريدة «تشرين» السورية، ١٩٩٣/٧

. . . والذي يقرأ هذه الرسائل يجد حقاً أنها عالم أدبي فريد. . . تحتاج من القارئ إلى حساسية خاصة لقراءتها. . فهي نبض ودم واحتراق كامل لكل الخبرات الأدبية الإبداعية المتألقة التي عاشها القاصّ والروائي الشهيد كنفاني. . . وفيها (تكريم لحالة عشق) وعت غادة السمّان حقيقتها واحترمتها. . .

. . . هذه المراسلات تبقى ناقصة، إذا لم تكتمل بنشر رسائل غادة السمّان إلى كنفاني نفسه. . . والتي هي الآن بحوزة أهل الشهيد. . .

حسين دعسة

جريدة «الرأي» الأردنية، ٨/ ١/ ١٩٩٣

. . . تقوم علاقة المثبّت (غسان) بموضوع حبّه (غادة) على أساس لعب دور الابن المفرط الدلال والحساسيّة التي تبلغ أحياناً حد الإزعاج: موقف طفلي استغلالي يضيّع حتى حق الشريك في رد الفعل البسيط والطبيعي، بل تهدر كل حقوق الشريك المشروعة في أبسط درجات الخصوصية والاستقلالية، ويسيطر هاجس طفلي على بطلنا حول أبسط ما يمكن أن يقوم به الشريك من تصرفات وما يقيمه من علاقات وهو ما نسميه بـ «الغيرة المرضيّة». وحين يلعب دور الأب ـ الرجل، فسيكون دوره منتفخاً بصورة مَرَضيّة وفي الغالب حامياً ومنقذاً بصورة تضيّع أبسط خصوصيات وحقوق المقابل. تأمل ردود الفعل التالية («الرسائل»، ص ٩١): «قد أنزلق وأتحطم ولكنني أبداً أبداً لن أقبل أن أكون صديقاً لها، أرى بعينيّ المكسورتين رجلاً يثبت أنه يحبها وتحبه؛ فلن أتحمل هذا الهراء. .». ثم يحاول تخريج هذا الأمر بصورة فكريّة قد لا يدرك من يسمعها جذرها الإيروسي: «إنني كما قلت لك مرة أفضّل الموت على الأسر. وعلى الأقل من أجل الحقيقة فسأرفض دائماً أن أقبل الزيف». ومثل هذه التخريجات الفكرية الحاذة القائمة على الإنكار والتبرير يمكن لها بعد خطوات أو مراحل من اختزان الألم وكبت المعاناة والإحباط أن تتصعّد في صورة أعمال إبداعية أو حتى إنجازات فكرية وفلسفية واسعة ومرموقة (مع توافر الموهبة الأصيلة طبعاً). يكتب غسان لأخته: «أنت تسألين: ما الذي تريده إذن؟ وأنا لا أعرف، أعرف فقط أنني أريدها». . .

لقد احتجّ الكثيرون على نشر هذه الرسائل بحجّة أنها تسيء إلى صورة بطلنا. وأنا أعتقد أن هذا الاحتجاج بالإضافة إلى أنّه مرتبط بصورة الأب المنزّه التي نضع فيها بطلنا وبتماهينا معه، فإنّها ترتبط أيضاً بمقاوماتنا اللاشعورية التي تحاول السيطرة على دوافعنا المتململة تحت قبضة الكبت. فعظمة بطلنا تكمن في أنّه لم يكن يخجل من تلك الدوافع وأعلنها بجرأة. . .

وقد تبع بطلنا صوت قلبه حتى النهاية، وكان حقيقياً ورائعاً حتى في لحظات ضعفه، وكان كبيراً حتى في تناقضاته. . .

د. حسين سرمك حسن

مجلة «دراسات عربية»، بيروت، شباط/ فبراير ١٩٩٩

ما أظلم الإنسان.. فالذين أقاموا الدنيا ولم يقعدوها يوم نشرت الأديبة غادة السمّان رسائل الشهيد غسان كنفاني إليها مخطئون.. فقد عز عليهم أن يرتبط اسم غسان بقصة حب كبيرة... وهذه الفئة الغاضبة على غادة السمّان، اعتبرت نشر الرسائل من قبيل الإساءة والافتئات على إنسان يمثل الرمز لقضية بلاده، فكيف يهبط إلى هذا المستوى الذي لا يليق بالأبطال؟... وكيف يمكن أن يكون لديه وقت أو مكان لإنسان آخر حتى لو كان امرأة مرهفة الحس كغادة السمّان...

إن هذه الرسائل ليست ملكاً خالصاً لغادة السمّان، وقد أدركت هذه الحقيقة فتصدت بالنشر لحراب الكثيرين، ولم تهتم غادة بتلك الزوابع، لأنها تعرف أن رسائل غسان ملك للحقيقة وللتاريخ...

حمدية خلف

«مجلة الكويت»، ١٥/ ٤/ ١٩٩٣

... مراسلات بين كاتبة مثل غادة السمّان وكاتب مثل غسان كنفاني، تعني أن تجربتين ثقافيتين لكل منهما خصوصيتها ومصادر غناها الخاصة بها، تتحاوران بحرية كاملة، ومصدر هذه الحرية، ما تتيحه سرية الرسائل الخاصة بين رجل وامرأة.

ولنلاحظ المعادلة المقلوبة.. في علاقة الحرية بالعلاقة السرية التي تمثلها رسائل مغلقة بين رجل معروف ارتبط اسمه بالقضية الفلسطينية والنضال القومي، وبين امرأة عرفت بالجرأة على مستوى ما تطرح في كتاباتها.

... إن غسان كنفاني إنسان أولاً.. وكونه مناضلاً لا يجرده من عواطفه الإنسانية...

... وبرغم كل ما قيل أو يقال عن الكتاب، فهو يضعنا أمام تجربة إنسانية صادقة وحقيقية، وسواء تعاطفنا مع غسان أم أنكرنا عليه حبه.. فإنه لم يكن في ذلك الحب، نقيضاً للمثقف المناضل الذي عرفناه.

حميد سعيد

جريدة «الثورة» العراقية، ٢٧/ ١١/ ١٩٩٢

... غسان المناضل الرمز الشهيد كان عاشقاً للمرأة التي تجسدت في زمن ما من حياته في «غادة السمّان»، وكان عاشقاً أيضاً للوطن والأرض التي كانت متجسدة أبداً في وجدانه وضميره...

أنا لا أدافع عن الكتاب، لأني أحسّ أن من يقرأه بعد أن ينزع من داخله القيود الجاهزة والأحكام المسبقة لا بد وأن يحس بأهميته وبراءته.

حنان بيروتي

مجلة «بسمة» الأردنية، ١٦/ ١/ ١٩٩٣

... صدر كثير من التعليقات، سلباً وإيجاباً، مع أو ضد غادة في أن تنشر في مثل هذا الوقت رسائل عاطفية لواحدٍ من أكبر المناضلين الفلسطينيين، وكأن النضال يحرم القلب أن يخفق

والعين أن تدمع.. وكأنه يحرم الحب!!..

وكانت ليلة..

فمع غسان وغادة.. عشت سهرة ولا أمتع..

أي حب رائع هذا الذي جمع بين أديبين يصل التعبير عندهما لقوة حدّ السيف، ونبش المبضع في جسد الكلمة؟!.. عالم خاص عاشه الأديبان وبقي منه رسائل مدهشة إلى حدّ إفلات كلمة «آه» وأنت تتابع بين السطور البقاء والرحيل.. النعم واللاّ، خلال سنوات خمس تحت سماء بيروت الساطعة أحياناً الباكية أحايين..

حنان خير بك خدّام

مجلة «مرايا»، ١٩٩٣

لمَ لا (تنشر الرسائل)؟ هي رغبت في ذلك، ولكنني أشك في صدقها، ولا أعرف مدى أمانتها وصدقها في نشر الرسائل. لديَّ رسائل عدّة من كُتّاب مشهورين، ولكنني لا أنشرها إلاّ إذا نشرتُ ردّي عليها ليظهر موقعي في العلاقة.

حنان الشيخ

مجلة «الوسط»، لندن، ١٢/ ١٠/ ١٩٩٢

... منذ البداية تؤكد غادة في مقدمتها: «إن تسديد طعنة إلى جمعيات الرياء المتحدة أمر كان سيطرب له غسان». ويأتي غسان مثبتاً رأيها قائلاً: «الادعاء، التمثيل، والزيف، هي الشيء الوحيد الذي لا أستطيع أبداً إتقانه». «أضع معك نصل الصدق الجارح على رقابهم». «لست أقبل التلوين وصيغ التحفظ»...

حياة الحويك عطية

جريدة «الدستور» الأردنية، ٢٢/ ١/ ١٩٩٣

... من خلال ما كتب غسان نلمس أن مقومات العلاقة العاطفية مفقودة. ما معنى كل ذلك العذاب في غياب الآخر... لقد كانت غادة في غاية القسوة وأعتقد أنها أرادت أن تستنزف غسان وفي ذلك تأكيد لشخصيتها.

حياة الرايس

جريدة «الصحافة» التونسية، ٢٢/ ٦/ ١٩٩٣

... نشر هذه الرسائل العاطفية عمل قد ينطوي على نوع من النكران ومجافاة الوفاء وإباحة أسرار لم يكن يرغب صاحبها في إباحتها إبان حياته، وربما ذهب البعض إلى أن عملية النشر هذه تنطوي على نوع من التشهير بصاحب الرسائل.

ولكنني أذهب إلى غير ذلك، لأن كاتباً مثل غسان كنفاني، أصبحت حياته وكتاباته وكل إرثه الفني والنضالي ملكاً للآخرين ولا يصح التستر عليه، خاصة بعد مرور عشرين عاماً على

وفاته، ونحن نعرف أن أسرار الدول والرؤساء والزعماء، على ما تنطوي عليه من قضايا بالغة الأهمية، يصبح من الجائز نشرها وإعلانها على الملأ بعد مرور عشرين عاماً من حدوثها. فكيف لا يحق لغادة السمّان أن تنشر رسائل عاطفية، كانت قد تلقتها من غسان كنفاني قبل أكثر من ربع قرن؟...

ولأن تراث غسان كنفاني قد أصبح ملكاً للآخرين، فقد شرع أصدقاؤه منذ زمن مبكر في جمع ونشر كل ما عثروا عليه من قصص أو مقالات أو رسائل أو رسومات...

خليل السواحري

جريدة «الرأي» الأردنية، ١١/٩/١٩٩٢

... إحجام معظم الأدباء العرب عن ارتياد الحقل الشائك لنشر الرسائل مردّه أن الرسائل تشبه الوثائق التي تبرز لحظات خاصة، متمردة على قوانين الأدب الصارمة، خصوصاً إذا كانت بين كاتب وكاتبة، كتلك الرسائل المتبادلة بين جبران خليل جبران ومي زيادة، بين غادة السمّان وغسان كنفاني... وكلّنا يذكر ردود الفعل الغاضبة التي أثارتها غادة السمّان، حين تجرأت على نشر رسائل غسان كنفاني إليها. وقد واجهت الحملة بقولها: «أعرف أن الكتاب مسّ مرة واحدة مجموعة من المحرمات، وكنت أتمنى أن يدور الحوار حول الرسائل من دون رياء بدلاً من ممارسة الإرهاب الفكري». وأضافت: «أشعر بالحاجة إلى مؤسسة عربية ترعى هذا النمط من الوثائق، لأضع الرسائل الأدبية التي استلمتها في حوزتها، بمأمن من الحريق والنهب والتشطيب على أن تُنشر بعد موتي».

خليل صويلح

مجلة «الوسط»، لندن، ١١/١٢/٢٠٠٠

... وفي سياق بطولته تلك اندرج عشقه لغادة السمّان ولم يكن هذا العشق كما رأته إحدى الكاتبات السوريات ضعفاً عابراً... وعوضاً من أن يمسك النقاد بمفاتيح شخصية الكاتب من خلال بوحه في هذه الرسائل راحوا يصطادون كلمة من هنا وعبارة من هناك لطمس هذه الشخصية، وأجهدوا أدمغتهم وقلوبهم الصدئة باختراع أو افتراض أسباب مشبوهة تدفع غادة السمّان لنشر الرسائل في هذه المرحلة...

أخيراً إن العربة التي تسير في الصحراء تثير الغبار والرمال حولها. ويظل السؤال: أنحاور الغبار ونختلف حوله أم نحاور العربة؟

خليل محمد الخليل

مجلة «دراسات عربية»، بيروت، آب ١٩٩٣

غادة السمّان (في نشرها لرسائل غسان كنفاني إليها) لها رأيها وقناعاتها وأنا أحترم رأيها. لكن برأيي الأسرار يجب أن تُحترم، مع أني لا أتلقى رسائل مثل التي تتلقاها غادة. فأصدقائي كتبوا لي بعد أن كبرت، وحين كنت صبية لم أكتب لأحد ولم يكتب لي أحد، حتى إني لم أسلم على وجل

وأنا طالبة بالجامعة ولا حتى بكلمة صباح الخير. لقد كنت طوال عمري محافظة، ومن السيئ فضح الآخرين.

ديزي الأمير

جريدة «الكفاح العربي»، بيروت، ١٩٩٧/٤/٢٤

... هنا يرقد غسان كنفاني: على شاهده كتبت غادة السمّان أحلى عبارات الحب، صار زواره يقرأون رسائل الحب بعد تلاوة الفاتحة. هل عاتبه كمال ناصر: ألم أنصحك، ألم أقل لك يا غسان، بادر بنفسك وانشر رسائلها لك، وافش ما خبأته غادة في قلبها من أسرار. يصمت الرجل في صمته الأبدي، ويذهب السر عميقاً. من يسكن صدر كاتبة لا ترغب في بوح مبكر؟...

ربعي المدهون

جريدة «الحياة»، لندن، ١٩٩٢/١١/٢٠

... ليس سراً أن العديد من الفلسطينيين غاضبون على غادة السمّان هذه الأيام لأنهم يعتقدون أنها أساءت إلى أحد رموزهم الكبيرة بإظهاره بمظهر الضعيف عاطفياً أمامها.

... وعلى كل حال، فقد حرصتُ شخصياً على محاولة قراءة ما وراء السطور في مقدمة غادة السمّان.. وأظن أن غادة السمّان كانت تغار من غسان الكاتب ولم تجد سبيلاً إلى تنفيس غيرتها إلا تعذيب الإنسان والرجل والعاشق فيه.

هل اختارت غادة السمّان نشر رسائل غسان إليها في الوقت الذي أحست فيه أنها أصبحت توازيه في المكانة بعد عشرين سنة من استشهاده؟

رسمي أبو علي

جريدة «القدس العربي»، لندن، ١٩٩٢/١٠/٣٠

... وإذا كان الكثيرون لا يرون جدوى من نشر رسائل شخصية لغسان ويشككون بنوايا غادة فإنه لا بد من القول بأن الحياة الشخصية للأديب تتحول إلى ملك للقارئ ولتاريخ الأدب متى كانت لهذا الأديب مكانة كبيرة أو بعد أن تحول إلى رمز من رموز النضال الفكري والسياسي كما هو الحال بالنسبة لغسان كنفاني.

والنقطة الحرجة التي يتجنب الكثيرون الحديث فيها هي تزامن علاقة غسان كنفاني بغادة السمّان مع زواجه...

إن ما يدعو للدهشة والغرابة أن يعيب الكثيرون على غادة قسوتها الشديدة على غسان ورفضها لحبه. ماذا كانوا يريدون منها؟ أن تساير رجلاً متزوجاً.. وله طفلان يعشقهما بجنون؟ وأن تبادله هذا العشق الذي لا ضفة له وهي التي سُدّت الآفاق أمامها وطردت من عملها ببيروت بعد أن صدر عليها حكم بالسجن لتركها العمل بدمشق، قبل أن يصدر عام ١٩٧٠ عفو عام شملها. هذا إلى جانب وفاة والدها في تلك الفترة وهو أقرب الناس إليها وفشل خطوبتها من صحافي معروف.

... فهل كان من الطبيعي وهي المرأة الواعية بواقعها أن تترك نفسها تسقط في أزمة أشد وتتسبب في فك رباط أسرة بريئة؟...

رشيدة الشارني
جريدة «القدس العربي»، لندن، ٢٣/١١/١٩٩٢

... قبل أن تمضي الاتّهامات بعيداً علينا أن نذكر بأنّ غادة السمّان نشرتْ عدّة نداءات من أجل الحصول على رسائلها إلى غسان قبل إصدار الكتاب بثلاثة أعوام وإلى حدّ الآن لم تحصل عليها. ولا أعتقد أنّ أديبةً تملك شجاعة الرجال الحقيقيين وجرأتهم تخشى نشر رسائل كانت قد تبادلتها مع رجل أحبّها منذ أكثر من عشرين عاماً.

رشيدة الشارني
مجلة «الآداب»، بيروت، آذار/نيسان ١٩٩٣

... كلما كنت أنتقل من رسالة إلى أخرى، والأصح من حالة وجد إلى أخرى، كنت أشعر باكتشاف جديد لأعماق الإنسان، ولتحرك متواصل في عوالمه الداخلية بين أحلام وتأملات وذكريات، واكتشف فيها أعماق شعبنا الفلسطيني وتراث وطننا الغالي.

... أرى في رسائل غسان كنفاني إلى غادة السمّان معايشة روح فلسطينية تجربة إنسانية بلغة تشيع منها الوطنية مع الألفة والصفاء، بخصوصية الهم الإنساني في بعده الفلسطيني. كان هذا عنده يتجلى دائماً حتى في مداعباته لأصدقائه. وإذ أذكر يوم التقيت وإياه في حفل تأبين المرحوم خالد اليشرطي، حيث توجه إلى الحفل عند وصوله مباشرة من سفر خارج البلاد، ليلقي كلمته مع حرصه الدائم على المشاركة والتواصل مع كل نبضة وطنية عفية. والجو كما هو، كانت مداعباته لأصدقائه في حفل التأبين تمزج همه القومي مع فلسطينيته الحادة، وكنت يومها ممن نالني منها مغمزاً، ردده على مسمعي بعد إلقاء كلمتي، إذ قال «يا أحسن بورجوازي وطني في العالم العربي».

هذا هو غسان، الإنسان الفلسطيني، عطاء مخلص وكلمة تنطق صدق الالتزام الوطني والخلقي والإنساني...

رفعت صدقي النمر
جريدة «السفير» البيروتية، ٣/٩/١٩٩٢

... حينما تدخل العاطفة حياة البشر بل وتقتحم كيانهم مثل نيازك براقة فإنها لا تعرف حدوداً للمكان ولا للزمان.. وقد عرف القرن العشرون ثنائيات كثيرة على المستوى الأدبي والفني وحتى السياسي. ومن ثنائيات الحب والإبداع جبران خليل جبران ومَيّ زيادة اللذان كانت لهما مراسلات متبادلة في الأدب والشعر والفكر. كان حبهما رومانسياً خالصاً.. هناك أيضاً الأديبة اللبنانية (غادة السمّان) التي أصدرت عام ١٩٩٢ كتاباً تضمن الرسائل المتبادلة بينها وبين الكاتب الفلسطيني (غسان كنفاني). وقد استمرت علاقتهما سنوات طويلة..

رفعت يونس
مجلة «ألف باء» العراقية، ٦/٤/١٩٩٤

برأيي، غادة إنسانة أنانية وأنانية جداً. . . وليس من الحكمة أن يكون الإنسان على علاقة مع امرأة بهذه الأنانية.

من: حوار مع الرفيق أبو علي مصطفى،
نائب الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين
مجلة «صوت المرأة» (الصادرة عن لجان المرأة الشعبية الفلسطينية)
السنة السادسة، العدد العشرون (١٩٩٢)

غادة التي أفرجت عن الرسائل بعد كل هذه السنوات، قامت بخطوة جريئة اجتماعياً، إذ تكشف الرسائل عن حب عميق (من طرف واحد؟) كان غسان يكنّه لها، وعن يأسه أمام الحائط المسدود الذي وقف من دون تحقيق رغبته بتجاوب منها. ويُذكر أن كنفاني حين كتب تلك الرسائل كان متزوجاً وأباً لولدين.

رواد طربيه
مجلة «الدولية»، باريس، ٢٤/٨/١٩٩٢

. . . مضمون الرسائل يشير إلى أن غادة السمّان بادلته الكثير منها. ولعل من الواجب على من في حوزته (أو حوزتها) رسائل السمّان إلى كنفاني أن يتيح إمكان نشرها، ليتيح لنا تالياً أن نقرأ النصف الآخر لحقيقة تلك العلاقة التي خرجت من الخاص إلى العام. . .

. . . وإذا كان غسان كنفاني يقول في رسائله كل ما ينبغي لرجل أن يقوله لامرأة، فإن غادة السمّان تؤكد، مرة أخرى، جرأتها في كشف المستور غير آبهة للحرمات والممنوعات في «التابو» العربي. وتقدم على خطوة رائدة في الكشف عن جانب بارز من علاقات المبدعين العرب الإنسانية، جانب ظل دائماً في الظل، لاصطدامه بجدار الموروثات والتقاليد. وظل الرجل، قبل المرأة، يحرص على إبقائه بعيداً عن الأضواء، لكن غادة لا تأبه. وها هي تعد بالمزيد من كشف المستور، في مقدمة الرسائل. . .

زاهي وهبي
جريدة «النهار» البيروتية، آب ١٩٩٢

من بين الكتب التي لفتتني جداً «رسائل غسان كنفاني إلى غادة السمّان»، أولاً لأنه فريد من نوعه في الأدب العربي المعاصر ويندرج في باب رسائل العشق الرقيقة والبوح الحميم، وأنت تعرف كم ينقص حياتنا العربية المعاصرة من دفء وحميمية، وثانياً لجرأة الأديبة السمّان في الكشف عن جانب مضيء وإنساني في حياة كاتب ارتبط اسمه دائماً بطوباوية القضية وقدسية النضال. وكنت أكثر سعادة لأن غادة السمّان هزّت بعنف كثيرين من النقّاد والكتّاب العرب الذين وضعوا كتابها في خانة المؤامرة والنظام العالمي الجديد وغيرها من الكليشيهات الفارغة.

زاهي وهبي
جريدة «الشرق الأوسط»، لندن، ٣١/١٢/١٩٩٣

... بهذه الهدية للثقافة العربية، اقتحمت غادة السمّان، مجالاً محرماً، وكانت متمردة واعية تمردها على ترسانة المنظورات المهترئة لعالمنا العربي الراهن (الأجداد كانوا أفضل) بل على مفاهيم العالم الذكوري برمته. هكذا حررت التجربة الذاتية المحصنة من قيودها الفردية، وجعلتها تأخذ أبعادها الإنسانية، فوق الأسماء والزمان والمكان لتحكي قصة حب وصداقة بين مبدعين.

إن هذه الروعة الأدبية والإنسانية، ينبغي لها أن تكتمل، وهذا مرهون بتلبية نداء السمّان إلى من يملكون رسائلها إلى غسان، ليسارعوا إلى نشرها.

فكيف بغير تلبية ذلك النداء يمكن إبراز «نصف الحقيقة الآخر» وهو مفقود؟ وهل نقصد تلك الأقلام بذلك أن تكتب الأديبة اليوم عن مشاعرها منذ ربع قرن؟

لقد قالت ما يكفي لمن يقرأ، ولم تسهب كثيراً، صوناً للحقيقة التي أرادتها كما هي محفوظة في رسائلها المفقودة، على أمل أن تنشر، وخير ما فعلت.

إن تلك الأقلام (بوعي أو بغيره) أظهرت ما أرادت أن تخفي، فأطلقت اتهاماتها جزافاً، مراوحة بين الجهل وسوء النية، وفي الحالتين، أبرزت بطانة وعيها الشهرياري الموروث والمستمر بقوة استمرار الأوضاع المتوارثة، بعد حملات صليبية من التشويه والدعاية والإعلان، معبرة عن خوف قديم ودفين من الأنثى وحريتها على وجه الخصوص (غسان براء من «دفاعات» كهذه)...

إنه كتاب نادر في شفافيته ورقته وصدقه، ولهذا فهو كتاب تمرد من أجل الحب والإبداع، كتاب حقيقة.

إنه للعاشق الراحل الذي لم يرحل إلا ليعود أرق وأغنى وأبهى وأكثر ثورية.

إنها الأديبة الوفية والتي أثبتت جرأتها أنها في مستوى الأمانة التي أدتها رغم عتاوة الظروف...

زياد نجم

جريدة «السفير» البيروتية، ١٩٩٢/٨/٢٨

... أنا كقارئة لغادة فوجئت بهذه الرسائل. على أساس أن حبيبة «غسان» كنت أظنها كاتبة ثانية لها صولاتها وجولاتها في عالم الرواية والقصة اللبنانية «المناضلة» و«المؤدلجة». وكنت أسمع هذا من الوسط الذي نعيشه، أي الوسط الثقافي، وأظن أن لوثة النميمة بدأت تتغلغل فيه وتتفشى الفذلكات لتطال الجميع.

زينب حمود

جريدة «الأنوار» البيروتية، ١٩٩٢/٨/٢٣

على الرغم من قوة غادة وانفتاحها الفكري والنفسي، واقتحامها الكلي للحياة بكل ألوانها، إلاّ أن غادة تبقى طفلة صغيرة تخاف من الحب ومن جروحه ومن آلامه وخيباته. ولذلك تعاملت في علاقتها مع غسان كما تتعامل الطفلة مع الدمية، تارةً تحملها لتضمّها إلى صدرها، وأخرى ترمي بها على الأرض. يقول غسان (في رسالة له، ص ٣٦ من هذا الكتاب): «.. إنك لا تريدين أخذي،

وإن أصابعك تحوطني من كل جانب كأصابع طفل صغير حول نحلة ملونة: تريدها.. ولا تمسكها ولكنها تنبض معها».

سحر سيوفي

من محاضرة بعنوان «مفهوم الحب في أدب غادة السمّان»

ألقتها في جمعية أصدقاء دمشق، ١٩٩٦

«رسائل غسان كنفاني إلى غادة السمّان» يحقق أعلى المبيعات في معرض الكتاب العربي ببيروت.

... وتبقى غادة رغم غربتها وغرابتها سيدة الأدب النسائي، وتبقى رغم طقوسها وهالة الهروب الدائم من الوهج، الذي تخلقه حولها بكتاباتها، هاجس كل أديب ومثقف. البعض ينشدها رغبة في التعرف إلى الأديبة الغامضة، والبعض الآخر يتوخى التحدّي في مواجهتها، وآخرون يتمنون نيل رضاها اقتناعاً بما استطاعت أن تصل إليه في ساحة الأدب.

غادة السمّان شئنا أم أبينا تبقى اسماً لامعاً في الساحة الثقافية حفرته بكتابات متواصلة وكأنها نبع يتفجر عطاءً وعزته بتحدٍ مستمر للمجتمع، للتقاليد، للأعراف، للطقوس الجاهلية المفروضة علينا.

سعيد طه

جريدة «اللواء»، بيروت، ٥/ ١٢/ ١٩٩٢

... وإذا كانت المكتبة الغربية تعجّ بالرسائل الشخصية، التي انتشرت كالسحاب وتوزعت كالمطر وصارت ملكاً للبشرية جمعاء، فإن المكتبة العربية تعاني من فقر مدقع في هذا النوع من الأدب، تحت وطأة ظروف صعبة وتقاليد وأعراف قائمة. ولهذا فإن الكثير مما كتب، طمر تحت شتى الذرائع، ونهشته أنياب النسيان. وباستثناء قلة قليلة، نذكر منها رسائل جبران خليل جبران إلى مي زيادة وماري هيسكل، ورسائلهما إليه، ورسائل غسان كنفاني التي نشرت في السنوات الأخيرة. والتي قيل إنها نشرت بعد تنقيتها من شوائبها الكثيرة، وشوائب الرسائل الشخصية - باعتراف الجميع - هي ملح الرسائل وتوابلها.

سلام خياط

مجلة «الوسط»، لندن، ٢٨/ ١/ ٢٠٠٢

... رسائل غسان المنشورة، ثروة أدبية هامة وجميلة، تضاف إلى عطاءاته الثرّة. فقط كان عليها أن تكون أكثر ذكاء، وأكثر حرصاً على غسان بعد رحيله، فتحذف بضع كلمات قليلة، كي لا تسيء إليه وإلى عائلته. إذن لهللنا جميعاً للنشر وبالغنا في تأييد غادة وتشجيعها.

وإذا استثنينا تلك الكلمات القليلة، التي أصرت بعناد غير مبرر على إبقائها، فالرسائل مقطوعات أدبية رائعة، حميمة، تنضح بالدفء والحنان والصدق. وهي، بشكل أو بآخر، لا تسيء إلى صورة غسان، بل تغنيها...

سلام سلامة

مجلة «بيروت المساء» اللبنانية، ٥/ ٩/ ١٩٩٢

. . . بعد تجربة لغسان كنفاني الشهيد المناضل، استمرت ما يقرب من ثلاثين سنة أو أكثر قليلاً في الإبداع، وجد نفسه حائراً ولا يعرف ما هو الحب؟ ولكن الذي عرفه أنه حاول عبر الحب تصحيح أخطاء كثيرة مبثوثة في الكون.

أما غادة السمّان فدعت في كل رواياتها الناس أن يتناكحوا ويتقافزوا فوق بعضهم بعضاً مثل الجنادب، فما الذي يضير في ذلك؟

سليم النجّار

جريدة «الهلال» الأردنية، ٩/ ١٢/ ٢٠٠٤

. . . الرسائل بحد ذاتها نصوص ذات قيمة فنية عالية، وإذا نظرنا إليها من زاوية نتجاوز فيها الحالة العاطفية التي كتبت بها، سنجدها، من دون شك تشكل إبداعاً مضافاً إلى إبداع غسان الكبير، وتجعلنا أمام الوجه الآخر، غير المنظور، لغسان، بضعفه الإنساني وتأجج عواطفه إزاء حب امرأة مبدعة لعلها تحبه لكنها تكبح حبها بقوة خشية اهتزاز علاقة أسرية ترتبط بصداقة معها. . .

سليمان البكري

جريدة «الجمهورية» العراقية، ١٢/ ٨/ ١٩٩٣

قرأت آراء الكتّاب والكاتبات حول كتاب «رسائل غسان كنفاني إلى غادة السمّان»، وكانت قراءة ممتعة لي ومفيدة، فهي تعكس في معظمها الوضع المزري للثقافة العربية. . . مثقفون ومثقفات في أواخر القرن العشرين يدافعون عن أفكار «أخلاقية» مضى عليها الزمن. إن ردة الفعل هذه ما هي إلاّ شهادة على حُسن ما قمتِ به يا غادة بنشرك هذا الكتاب المهمّ. . نحن بحاجة إلى هذه النصوص. فالمأساة التي نعيشها حالياً ما هي إلاّ نتيجة إهمالنا لهذه المواضيع الإنسانية (الحب، العشق، الرغبة، المتعة النفسية). وانصرافنا إلى أشياء تجريدية سياسية ليس لها أي علاقة بمعاناتنا اليومية. لقد جرّحت كبرياء الرجال العرب، وهذا جهد تستحقين عليه أكبر جائزة! استمري بعملك هذا، فنحن بحاجة إلى أشخاص بهذه الجرأة، خاصةً إذا كان هذا الشخص امرأة. . . فستكون هذه الجرأة أعظم وأهمّ.

سليمان توفيق عواد

آخن. ألمانيا، ٣١/ ١/ ١٩٩٥

لجان التخليد ـ حسب ما هو معروف ومتداول ـ يمكن أن تغربل الأعمال، وتضع جدول أولويات في النشر. لكن مهمتها في النهاية نشر كل ما تركه المبدع من آثار، بغضّ النظر عن رأيها في الأعمال، لأن الأمانة التاريخية والعلمية والأدبية تقتضي إخراج هذه الآثار إلى النور.

سليمان الشيخ

مجلة «الوسط»، لندن، ١/ ٩/ ١٩٩٧

هل كتب غسان كنفاني تلك الرسائل إلى غادة السمّان، من أجل أن تُنشر؟ ربما نعم وربما

لا. لكن الكاتب العاشق لم يكن يعرف أن هذه الرسائل ستُنشر في إرث الكاتب الشهيد. ذلك أن آثار غسان الأدبية ملتزمة كلها حياة الشقاء الفلسطيني سياسياً واجتماعياً. وإذا أُضيف إليها أثر أدبي من هذا النوع، بدا غريباً مهما كان صادقاً. على أن هذه هي غادة السمّان التي اقتحمت العالم الأدبي فتيّة وأقامت فيه تنتج بلا تعب وتطل بلا انقطاع، فيما توقفت أديبات كثيرات عن العطاء، إمّا لليأس الذي يطحن الأديب العربي، وإما للغرق في اليوميات الكفيلة بإطفاء كل المصابيح. أما غادة، فما تزال تقطف من باقات المدن وروايات الناس.

سمير عطا الله

جريدة «الشرق الأوسط»، لندن، ٧/ ٥/ ١٩٩٦

تثير غادة السمّان أنّى صهلت غبار المهرة الجميلة، وتعطي من دون استراحات، وتحول كل شيء حولها إلى رواية كأنما تعيش لتصنع الروايات ثم تكتبها. بطاقة السفر رواية والمدن أبطال وفصول العام سرد روائي داخلي لا فصول في الخارج. مفكرة مستديمة مستطردة في رواية واحدة عنوانها، لا توقيعها، غادة السمّان.

الحجارة تتحول إلى كلمات. يتحول كل شيء لدى غادة السمّان إلى كتاب. الخيال والتجربة. الاستعادات والاستعارات. يتحول كل شيء إلى كتاب.

حفرت غادة السمّان لنفسها مكاناً في الرواية العربية عبر جيل كامل، كانت شاهدة له وشاهدة عليه...

وسواء كتبت غادة السمّان الشعر أم الخواطر تفضحها الرواية ويكشفها الدأب على حفر الأعماق، وهي في ذلك لا تقف عند حد. وبهذا نشرت رسائل غسان كنفاني إليها، كأنما الكاتب الراحل بطل آخر، غير عابئة بأن الرسالة الشخصية أمانة لظرف ما ومشاعر ما ومرحلة ما وعمر ما وحالة ما، جميعها تتغير بمجرد مرور يوم واحد أو لحظة واحدة، فيصير اليوم في الماضي والأمس في الغابر. أدب الرسائل لا ينشر إلا بعدما يتساوى أمس الفريقين. أو إذا كانت الرسالة وصفاً لحالة عامة لا مزاجاً شخصياً. لقد بقيت رسائل راينر ماريا ريلكه إلى زوجته لأنها وصف للآخرين وليس لمشاعره.

سمير عطا الله

جريدة «الشرق الأوسط»، لندن، ١٢/ ١٢/ ١٩٩٦

المهمّ أنكِ عبرت الجسر وكسرتِ القاعدة بنشرك لرسائل غسان كنفاني بدون حذف ولو نقطة واحدة منها. لا تهتمي لكلام النقّاد، فلم يكن هناك أي طعن لشخصية غسان.

سميرة زهير

المغرب، جامعة الحسن الأول، ٧/ ٦/ ١٩٩٦

غادة ذاكرتها لم يُغمَ عليها وإنما كانت تضعها في أدراجها السرية. وفجأة فتحت أدراجها

السرية بمعونة زوجها الناشر بشير الداعوق، صاحب دار الطليعة البيروتية، لتنشر الرسائل العاطفية التي كتبها إليها يوم أحبّها المناضل الفلسطيني الشهيد غسان كنفاني.

لماذا يا غادتي فعلتك؟ هل ليستريح قلبك من كلاّبات الذكرى؟

سناء البيسي

مجلة «نصف الدنيا»، القاهرة، ١٩٩٣

. . . أعجب الكثيرون بجرأة «غادة السمّان» وكتبوا عنها. وهو شيء جميل أن تكون هناك امرأة جريئة وكاتبة مبدعة تخترق حقولاً لم يخترقها الرجال في مجال الإبداع ولكن ليس بهذه الطريقة. فما تفعله «غادة السمّان» ليس صورة مشرقة لأدب النساء. . هناك فرق بين الجرأة والحرية المسؤولة وبين التمادي والانفلاش. ويبدو أن رغبتنا في الانعتاق والإحساس بالحرية والاستقلالية تجعلنا لا نميّز بين الأمرين وهذا باعتقادي ما أصاب أولئك المعجبين. وعلى الرغم من أن الأمور جميعها متداخلة إلا أنني ألمس في النهاية سادية وشبهة سياسية تتلخص بتشويه صورة هذا الإنسان. . .

سهير التل

مجلة «الحصاد»، قبرص، ٩/ ١٠/ ١٩٩٢

. . . لا أعتقد أن عاصم الجندي قد طالب غادة السمّان بالكثير (أي حذف ثلاث جمل من مضمون الرسائل عن زوجة غسان).

سوسن كردوش

«غادة السمّان بين المطرقة والسندان»

(أطروحة ماجستير أدب، ١٩٩٧)

بالإضافة إلى قيمة هذه الرسائل الوثائقية حول المرحلة التاريخية التي تلبس بها كل من غسان كنفاني وغادة السمّان، فإن للرسائل قيمة إبداعية على قدر كبير من الأهمية تكمن في الأسلوب الذي يرقى في بعض الرسائل إلى الشعر عندما يلامس شفافية اللغة من جهة وعندما يعبّر عن دقيق الاختلاجات الوجدانية من ناحية أخرى. . .

بالإضافة إلى هذا الأسلوب الشاعري، ثمة في الرسائل أسلوب الطرافة الذي ينشأ من خلاف اللغة الخاصة المستعملة بين غسان وغادة حيث إن كل كلمة ترمز إلى إشارة معبأة بالإحالات التي توحي بالكون الخاص بهما. . .

إن نفسية غسان كنفاني في هذه الرسائل تراوح بين الرهافة والانسياب وبين التشنج والغضب أحياناً مما يؤثر بوضوح في أسلوبه، بل إن الخط نفسه يختلف بين الرسالة والأخرى تبعاً للحالة النفسية التي عليها الكاتب. وحسناً فعلت غادة السمّان عندما نشرت الصورة المطابقة لتلك الرسائل حيث يمكن أن نلاحظ الفرق بين مختلف الخطوط. ولعل دراسة نفسية مخبرية معمقة يتسنى لها

كشف أبعاد أخرى في هذا المجال الجديد من التحليل النفسي.

غير أن الأبعاد الإضافية لهذه الرسائل لا تنجلي في أهمية صاحبها الأدبية والنضالية وما تسلّطه على تجربته الذاتية والعامة فقط، وإنما لهذه الرسائل أبعاد أخرى ناتجة عن أهمية المرسلة إليها. ففي هذا الكتاب الذي ضمها يمكن أن نرصد بعض التفاصيل التي تهمّ غادة السمّان نفسها لأنها تمثّل من خلال التطور الوجه الآخر للورقة...

إن الصدق واضح في هذا الكتاب الذي يجمع رسائل غسان كنفاني إلى غادة السمّان، وهو الذي يجعل قراءتها إمتاعاً، تلك المتعة التي يشتكي منها أدبنا المعاصر لأن التصنع أضحى مهيمناً على أغلب الكتابات فيه. نعم إن الصدق هو الملح اللازم ليكون مذاق الأدب رائقاً. وقد كان غسان صادقاً في رسائله إلى غادة التي صدقت عندما تجرأت على نشرها بعد رحيله هي أيضاً.

سوف عبيد

جريدة «الصباح» التونسية، ١٦/ ١٢/ ١٩٩٧

لم تعرف الرواية العربية امرأة مشاكسة وجريئة مثل غادة السمّان. هذه المرأة تهوى زراعة الحرائق وإشعال فتيل الحروب على الورق. حدث هذا مع كل كُتُبها، وخاصة الكتاب الأخير: «رسائل غسان كنفاني».

جريدة «الشروق» التونسية

ملحق الأحد، ١٧/ ٣/ ١٩٩٦

... هذه الرسائل تظل لغزاً ما لم نحدد نوعية علاقة غادة السمّان بغسان كنفاني، وهي أي الرسائل غير كافية لمعرفة نوعية هذه العلاقة لأنها في اتجاه واحد وتكاد تكون رسالة واحدة ذات إيقاع يتكرر بأشكال متنوعة...

شكري الباصومي

جريدة «الشروق» التونسية، ١٣/ ٥/ ١٩٩٣

... ربما صحت الرسائل.. أو لم تصح.. وبغض النظر عن تطلع الناشر من ورائها.. والذي مهما تعددت أهدافه، فلن تطال أبداً ـ وعلى ذمتي ـ ذلك «الهدف» البوليسي المشار إليه، والمندرج في إطار برنامج «النظام الدولي الجديد» للاقتصاص من كل ما فينا من عزّ وفخار، من أحلام أو ذكريات تجلب النشوة لحاضرنا البائس... وإن كان «النظام» المذكور ليس بريئاً من هذا.. لكن غادة السمّان حتماً بريئة...

الثقافة التقدمية تقتضي الهمس فقط في أذن «المسؤول» في الدولة أو الحزب الثوري: إني أحبك، وليس هناك ما يدعو للضحك، فهناك الكثيرون يفعلونها في بلادنا...

... بحبه، أكمل غسان سر تعدده الرائع... فبدا «الثوري» حقاً كما هو إنساناً... يكره أعداءه، ولا يكره النساء. ولن تكون الثورية ساعة ممراً للخصاء الأبدي للجسد أو الروح، إلا عندما

تأخذ صورة «الثورة» بشكل الاستجابة لأوهام «البارانويا» المنطقية.. فنظل نكتشف أعداء جدداً، وهكذا. . فنعلن حربنا على الذات.. على الإنسان فينا وفي الآخر.. فلا نعود نرى «العدو» نفسه حقاً، ونمضي نحو الدمار الكلي... وكل هذا لخصه المنطق «الأعجف» في الإصرار على «خصاء» الثوري، وهو لا يدري أنه ليس مشيناً أكثر من هذا «الخصاء»...

إن بإمكان العقل أن ينسج مؤامرة حتى على هذا المنوال الذي يجلس فيه بوش وغادة السمّان في البنتاغون ليخططا لضرب العراق مثلاً، ولقتل غسان كنفاني (الحي فينا).. وبإمكانه أن يفعل أكثر من ذلك، وأن يستغرق في مونولوجه «الوهمي»، وأن يتعنت، لكنه لا يفعل ذلك إلا ليقفز من الحاضر «السيء» الواضح، إلى الأمس «السيء» أيضاً.

... ليس هذا إلا الاستجابة «المرضية» للانكسار الأكبر الحاضر، بل إننا في لحظة الانكسار هذه نجدنا مدعوين لإحياء كل ما هو جميل فينا لنتحصن وراءه بدل التمترس وراء كل ذاك القبح الذي قادنا وحده للهزيمة...

شوقي أبو شعيرة
جريدة «السفير» البيروتية، ٧/٨/١٩٩٢

لقد قالت السيدة غادة في تقديمها لرسائل غسان إليها: «رسائله عندي ورسائلي عنده.. وأنا والحق يقال لا أدري أين رسائلي إليه». وقد أشرت في مقال سابق، وفي الرد على هذا القول إلى قول غسان في إحدى رسائله إليها: «أنا أحب رسائلك إلى حد التقديس، وسأحتفظ بها جميعاً، وذات يوم سأعطيها لك»، وعقّبت على ذلك بقولي: «لا نشك لحظة بأن رسائلها عنده ورسائله عندها، ما دامت قد قالت ذلك، فربما أسرعت الشهادة إليه قبل أن يفي بوعده ويعيد إليها رسائلها».

ولكن حديث غادة اليوم عن رسائل مي زيادة في ذكرى وفاتها، بعد حديثها عن رسائل غسان كنفاني الذي لحق بمي إلى دار الخلود، يعيدني إلى قضية غسان لأتساءل: هل أسرعت الشهادة إلى غسان حقاً قبل أن يفي بوعده لغادة أم أنه قد سبق الاستشهاد بالوفاء؟ وهل أعادت مي زيادة بعض الرسائل إلى أصحابها أم أنها لم تفعل ذلك؟

صادق عبد الرحيم
مجلة «الحوادث»، ٣/١٢/١٩٩٩

ميّ زيادة أعادت كل الرسائل إلى من راسلوها ولم تفعل كما فعلت غادة السمّان التي احتفظت بالرسائل ثم قامت بنشرها على الملأ.

صافيناز كاظم
جريدة «الزمان»، لندن، ٧/٥/١٩٩٩

يكشف كامل الشناوي مسألةً في غاية الأهمية، في أن لطفي السيد منع نشر الرسائل التي تلقتها ميّ من حوالى مائة كاتب أو مفكّر وشاعر وفيلسوف... هل خاف من إذاعة رسائله إلى ميّ؟

هل تضمنت هذه الرسائل من العواطف ما يحتمل أن يخفّ معه وقار الأستاذ الكبير وفيلسوف الجيل؟

د. طه حسين شجّع أنطون الجميل وخليل مطران على نشر الرسائل كاملةً خدمة للحقيقة والتاريخ.. فالأمانة تقتضي نشر الرسائل من دون التصرّف فيها بحذف أو تعديل، كما كتب الشناوي.

جريدة «العرب» اللندنية عن كتاب كامل الشناوي «الذين أحبوا ميّ»، ١٧/ ٣/ ١٩٨٩

من أجمل الرسائل التي كتبتها غادة السمّان هي رسائل غسان كنفاني الموجّهة إليها.

صباح الخراط زوين

جريدة «النهار»، بيروت، ٢٢/ ١١/ ١٩٩٦

رسائل الحب التقليدية هي «خطابات غرام» لا أكثر، ولكن رسائل غسان إلى غادة خطابات «إنسانية» تختلط فيها الصداقة العميقة بلغة العصر وأوجاع الزمن والقضايا... ولهذا جاءت رسائل غسان وثيقة «عشق عاقل»، إنْ صحّت العبارة.

وكتاب غادة السمّان الذي ضم هذه الخطابات يصفع النظرة التقليدية إلى المناضل.

جريدة «الصباح»، تونس، ٦/ ١٠/ ١٩٩٢

غادة السمّان وغسان كنفاني أديبان جمعهما همُّ الكتابة وهمُّ العشق، فكانت بينهما رسائل هي قطع من الإبداع...

تجرأت غادة ونشرت رسائل كنفاني إليها، وفي انتظار أن تعثر كما تقول على رسائلها إليه لنشرها...

رسائل كنفاني كتابة إبداعية جميلة..

ولأن هذه الرسائل ليست كأي رسائل، فإنها ما زالت تثير جدلاً..

جريدة «الصباح»، تونس، ١٢/ ٥/ ١٩٩٣

عندما تنشر غادة السمّان خطابات غسان لها موثقة بصور هذه الرسائل، فهي تريد أن تقول لنا إن غسان، المناضل العنيد، يحمل بين جنبيه قلب شاعر. لقد أراد الكثيرون أن يشوهوا صور المناضلين من أجل القضية ويخلعوا عليهم صفات الإرهابيين وقطاع الطرق. بيد أن غسان كان نمطاً آخر من الناس. كان الحب الخاص والعام يملأ شرايين قلبه ولهذا فكتاب غادة السمّان الذي يضم هذه الخطابات يصفع النظرة التقليدية للمناضل. إنه كتاب يضفي على الإنسان المقاتل من أجل فكره، الصفة البشرية.

مجلة «صباح الخير» المصرية، ١٠/ ٩/ ١٩٩٢

... كان العربي يسلك في معارج الحب مراتب شتى، أولها الهوى وآخرها الهيام. وكان يتدرج بينهما من الكلف إلى العشق ثم اللوعة فالجوى. وعلى عادة أجداده سلك غسان كنفاني في

تجربته مع غادة السمّان مراتب حبه: أولها الحب وآخرها العبادة. وبينهما العشق ثم الشهوة ثم التذلل والخضوع. ولم يكن الحب لدى غسان كنفاني مجرد اندفاع عاطفي فائر، بل كان كالفن تعبيراً عن اللحظة الثائرة على الزمن ورغبة عارمة في الاتحاد بالآخر ونزوعاً أصيلاً إلى إبقاء شعلته ملتهبة.

إن غسان كنفاني في هذه الرسائل هو، بكل بساطة، وبعيداً عن الأحكام القيمية على الرسائل وعلى غادة السمّان، وارثٌ أصيل للعشق العربي بامتياز. وهو سليل العاشقين العرب منذ الجاهلية حتى اليوم. وإذا كان في الرسائل ما يشير إلى بعض الضعف والاستكانة والخضوع، فليس في نصوصها ما يعيب عاشقاً صادقاً وحقيقياً في زمن الزيف والرياء والتكاذب...

صقر أبو فخر

جريدة «السفير» البيروتية، ٢٤/ ١٠/ ١٩٩٢

عندما نشرت ديزي الأمير رسائل الشاعر خليل حاوي، بعد قصّة حب عاصفة، حذفت اسمها من الرسائل، ومحت بعض السطور التي ربما كانت ستسبّب لها إحراجاً شخصياً. غير أنها واجهت اللوم الكثير لأنها تجنّت على الأمانة الأدبية. وكذلك الحال أيضاً عندما نشر توفيق الحكيم في منتصف السبعينيات كتاباً جمع فيه عدداً من الرسائل التي أُرسلت إليه خلال حياته الأدبية، فحذف من كتابه هذا كل ما يتصل بعواطفه...

أما رسائل غسان كنفاني إلى غادة السمّان، فها هي تُشعل حرائق في الذاكرة الأدبية الخامدة، وتفتح نوافذ جديدة للجدل والسجال والنقد في الحالة الثقافية الراكدة.

صقر أبو فخر

مجلة «الناقد»، بيروت، آذار/ مارس ١٩٩٣

الوقوف موقف الرافض والمستغرب والمستهجن من الرسائل وصدورها عن غسان كنفاني تحديداً لأنه غسان كنفاني صاحب الروايات والقصص والدراسات الوطنية، فإنه الموقف غير المنطقي. إذ لماذا نريد من غسان كنفاني أو سواه أن يكون إنساناً في كل شيء إلاّ العواطف الإنسانية وخفقة القلب؟

لا يُقبل بأي حال أن نُصادر عواطف الرجل أو نبضات قلبه. فغسان كنفاني أحبّ، ومن خلال هذا الحب كَتَبَ، فكانت الرسائل جزءاً من هذه الكتابات التي تعبّر عن أدب غسان كنفاني أيضاً.. يُمكن أن يُدرس على أنه يصبّ في مجرى كتاباته كلها ولا يبتعد عنها. ولا معنى لافتراض ضرورة طيّ أو تناسي مثل هذه الرسائل، إذ يبرز السؤال الكبير القائل: لماذا؟

مجلة «صوت فلسطين»، دمشق، تموز/ يوليو ١٩٩٥

... إن العلاقة بين غسان وغادة كانت علاقة في مستوى الكلمة إذ لا وجود لغادة في الرسائل كوجود حقيقي. غادة كانت رمزاً وهذه عقدة جل المبدعين الذين يُحلّون المرأة محل

المطلق. غسان أعطاها بعداً صوفياً، بعداً سريالياً. يجب أن يُقرأ الكتاب قراءة ذكية. إن النصوص فيها إمكانية تأويل كبيرة.

الطاهر الأمين

جريدة «الصحافة» التونسية، ١٩٩٣/٦/٢٢

أجمل ما في الإبداع يا سيدتي أنه يبقى مفتوحاً على كل ما في الزمن من مدارات، وأروع ما في الإبداع الحقيقي أنه لا يستطيع البقاء داخل قفص زجاجي. وأعترف منذ البدء ربما في حيز ما تعرفينه حق المعرفة، أنكِ كاتبة ما ألفت ولن تألف في ألق الإبداع، الركون أو الاستقرار بين قوسين، أو النوم الهادئ في سرير القبيلة، وهذا ما أعطى كتاباتك القدرة الاستثنائية على ركوب خيل الجموح الإبداعي. وإن كنتُ شديد الميل للكتابة عن كل إبداعك، فإنني أجد نفسي الآن، وفي رسالتي المفتوحة هذه، مدفوعاً للتوقف عند كتاب «رسائل غسان كنفاني إلى غادة السمّان»، وهو الكتاب الذي صدر في عام ١٩٩٢، وأثار ما أثار من مواقف وكتابات ونقاشات، تصبّ في اتجاهين: أولهما اتجاه مرحّب، وإن على مضض أحياناً، وثانيهما اتجاه رافض حانق، ما كان يريد لهذه الرسائل أن ترى النور!!... وليس خطأ أن يحب كل إنسان، وأن يكتب ما يكتب من رسائل لمبدعة أحبها... الخطأ حسب ظني هو في أن نرى غسان كنفاني من زاوية واحدة، ونجعل وجهة نظرنا هذه قاعدة لا يجوز خرقها أو الخروج عن خطوطها الحمراء..!!

... يقول في هذه الرسائل جانباً من إبداعه وحياته وسيرورة فعله الكتابي. ما كنا لنعرفه عنه لو بقيت الرسائل طي الكتمان. وربما نجد من جوانب هذه الرسائل قطعاً إبداعية تصل إلى القمة في بوحها الصادق الجميل، الهادئ حيناً الثائر حيناً آخر.. فأين الخطأ في كل ذلك؟؟..

الأديبة المبدعة غادة السمّان:

منذ البداية حسب ظني، كنت تعرفين أن نشر هذه الرسائل سيعمل على إذابة الملامح الثلجية التي وضعوها لنموذج غريب عن غسان. وقد حدث ما حدث لتعود الملامح الحارة الجميلة لإنسان من لحم ودم، وهو غسان كنفاني الحقيقي، لأن الرجل لم يكن في يوم من الأيام ذا ملامح ثلجية باردة. كما لم يكن، ولا يمكن أن يكون، خارج إطار الصورة الحقيقية لإنسان حقيقي.

... ولا أدري لماذا طاب لكثيرين أن يخرجوا به إلى غسان كنفاني المناضل الذي لا يصلح إلا أن يكون إنساناً جاداً عابساً مسكوناً بالحبر الأسود خاصة، وكل من يقول عنه غير ذلك، فهو لا يعرف شيئاً عن هذا المبدع الكبير.

هل تدركين سيدتي لماذا كان عليّ أن أقارب موضوع رسائل غسان كنفاني دون سواها؟؟..

أحب عند النظر إلى كل مبدع أن نفهم الإنسان أيضاً. المبدع إنسان يحب ويكره، يثور ويغضب.. الحب عند المبدع خاصة، حب استثنائي: لأنه محرّك للإبداع. وإذا كان غسان قد أحبك كل هذا الحب، فقد كان عليه أن يكتب مثل هذه الكتابة، وهذا لا يقلل من قيمته كمبدع كبير.

الخطأ يا سيدتي أنهم ما أرادوا لغسان كنفاني أن يخرج إلى الهواء الطلق، وما أرادوا له أن

يكون إنساناً يحب ويعشق كبقية البشر. وما أرادوا لأي شيء أن يخدش الصورة التي رسموها له. . . لكن لماذا؟ كل الأجوبة لا تستطيع أن تقنع أحداً، ولا تستطيع أن تقدم لنا صورة تبتعد عن الصورة الصادقة لهذا المبدع الكبير. . .

طلعت سقيرق

جريدة «تشرين» الدمشقية، ٥/ ٧/ ١٩٩٨

قارئ الكتاب لا يخرج بشيء ذي قيمة حقيقية يُضاف إلى غسان كنفاني كمناضل ومبدع.

طلعت الشايب

مجلة «أدب ونقد» المصرية، تموز/ يوليو ١٩٩٧

لم أستطع أثناء قراءة رسائل غسان كنفاني إلى غادة السمّان أن أدع حرفاً واحداً منها دون أن أشعر بتورطي في ذلك الفضاء المدهش والرحب الذي ملأ عليّ جوانحي بالدفء والعاطفة النبيلة.

ولعل «مغامرة» الكاتبة غادة السمّان في نشر رسائل العاشق المبدع غسان كنفاني في كتاب صادر عن دار الطليعة، تعد إضافة لأدب البوح الذي تفتقده الكتابة العربية الحديثة.

ومنذ كتب جبران خليل جبران وميّ زيادة رسائلهما، ومنذ كتب الرافعي «رسائل الأحزان» و«حديث القمر»، لم أستمتع ببوح أدبي وإنساني كهذا. . .

وهناك الجانب الآخر الممتع المفقود، رسائل غادة السمّان إلى غسان كنفاني والتي أشارت «غادة» أنها موجودة لدى أحدهم، وقد دعته/ دعتها إلى الإفراج عنها ليكتمل مشروع النشر برسائل الطرفين في كتاب واحد. . ولعلنا ندرك كم هي الروعة حين تتوفر لدينا هذه الرسائل وأثرها على حياتنا الثقافية. .

طلعت شناعة

جريدة «الشعب» الأردنية، ٤/ ٩/ ١٩٩٢

. . . بادئ ذي بدء، نحن مع نشر تلك الرسائل، لأنها إنجاز أدبي جميل يضاف إلى عطاءات غسان. فإن كان لنا من اعتراض، فهو على الأسلوب والطريقة والتوقيت التي نشرت بها.

بقي أن نتوقف عند نقطة شديدة الحساسية. فغادة تصر، وبشيء من المباهاة، على أنها تنشر الرسائل، دون أن تغير فيها حرفاً واحداً. لماذا؟ وإذا كان حذف حرف أو كلمة أو حتى جملة، يوفر بعض الإزعاج أو الإساءة لآخرين ما يزالون يعيشون بيننا، فما الضير في ذلك، ومن هو الذي سن هذا القانون المتجهم، الذي تلزمنا وتلزم نفسها به؟. . .

عاصم الجندي

مجلة «الناقد»، لندن، يناير ١٩٩٣

نشرت غادة السمّان رسائل غسان كنفاني، فقال من أغضبهم الأمر: أين رسائلك؟ كأنهم يقولون «أين فضيحتك أيضاً»؟ وضعوا فضيحة في إزاء فضيحة. هذان هما طرفا الحب في نظرهم.

رسائل غسان كنفاني إلى غادة جميلة. أنا شخصياً، بدأت بعدها أفكّر في أن أعيد قراءة رواياته.

عباس بيضون

ملحق جريدة «النهار»، بيروت، ١٥/٣/١٩٩٧

... هؤلاء، لا يبحثون في أنفسهم عن لؤلؤ التفرد، بل يبحثون في الآخرين، ينصبونهم عمالقة وعباقرة خارقين أو «سوبر» متناسين أن الآخرين مجرد بشر عاديين لهم لحظاتهم الضعيفة وعاطفتهم.

هكذا فعل الأغبياء بغسان كنفاني، حولوه إلى إنسان «سوبر» لأنهم عاجزون عن البحث في ذاتهم عن الحجر النفيس. لكن، غسان إنسان عادي، هو بشر، وهذه الحالات الطبيعية في الإنسان العاقل السوي لا تمس حالاته الأخرى التي يكون فيها قوياً وصلباً ومتماسك الروح...

أنا هنا لا أدافع عن غادة، لكني أوضح أنها امرأة بذلت الكثير حتى تقترب من ذاتها لتبدع، واكتشفت الكثير من الصور المختلفة لنساء يسكنها، ولعل لذلك أحبها غسان.

لها كل الحق في إخراج رسائل غسان للنور طالما أنها كانت موجهة لها...

عالية شعيب

جريدة «صوت الكويت»، ٥/٩/١٩٩٢

بعد أن نشرت موضوعي حول رسائل غسان كنفاني وغادة السمّان بادرت بإرسال ما كتبته إلى غادة الصديقة التي أعتز بصداقتها وحرصها على معرفة أخبار أصدقائها وما تفعله بهم الأيام وهم يتناثرون في أرض الله الواسعة بحثاً عن مرافئ الأمان.

أخبرتني غادة في ردها على كلماتي بأنها أوقفت نشر رسائل غسان لها في انتظار أن تحصل على رسائلها إليه ليجتمع نبض كلماتهما في كتاب واحد. هذه الحالة تذكرني بالسياب، يوم وقف أمام ديوانه المرصوف في رف بإحدى مكتبات بغداد جوار ديوان حبيبته الشاعرة لميعة عباس عمارة فكان له أمام هذه الحادثة بيت شعر خالد ـ لا يحضرني نصه الآن ـ ولكنه تحدث فيه عن حالتهما وفراقهما ثم اجتماعهما أخيراً (كتابين على رف) وقد فرح السياب بطفوليته الجميلة بهذا اللقاء.

غادة تسألني: هل أنا مع نشر رسائل غسان فقط في كتاب؟

وأقول لها جواباً: ولماذا لا؟ إذا كان من غير الممكن أن تجدي رسائلك له فلماذا تحرمين محبيك ومحبي غسان من قراءة رسائله لكِ؟

آمل أن تأخذ الصديقة غادة برأيي.

عبد الرحمن مجيد الربيعي

جريدة «الصدى» التونسية، ١٢/١٠/١٩٩٠

... إن لغادة أسبابها في موقفها من غسان ولغسان أسبابه في هذا العشق. نقول هذا رغم أننا

لا نبحث عن الأسباب والمبررات، فالحب ليس بحاجة لتبرير، هو حب وكفى كما هو الموت وكما هي الحياة.

لكن غادة وهي الثائرة والمتمردة اجتماعياً وإبداعياً لم تشأ أن تكون السبب في تخريب حياة غسان الزوجية... وله طفلان أي أنه لم يكن طليقاً حتى تنطلق معه، وموقف غادة هنا موقف أخلاقي مسؤول.

كما أن وضعها الشخصي يومذاك ـ وهذا اجتهاد شخصي ـ ربما كان السبب وراء حلها لهذه العلاقة المشتبكة بالرحيل إلى لندن. كان والدها رئيس الجامعة والوزير وصديقها الذي يفهمها قد توفي قريباً. كما أنها عاشت تجربة خطبة فاشلة، لذا فإن الإذعان لأي ارتباط حتى ولو كان عاطفياً من شأنه أن يعقد الأمور لا أن يحلها.

وهكذا اختارت بأخلاقية عالية الرحيل لتتركه لزوجته وطفليه والقضية التي نذر نفسه من أجلها...

عبد الرحمن مجيد الربيعي

جريدة «الصحافة» التونسية، ١٠/٩/١٩٩٢

غادة دعت مراراً إلى استعادة رسائلها التي كتبتها لغسان لتقوم بنشرها أيضاً، ولكن رسائلها له ما زالت مخفية، وإن لجنة غسان كنفاني الثقافية مدعوة لأن تلبي هذه الدعوة لتجد هذه الرسائل طريقها للنشر استكمالاً لحالة الحب الجميلة هذه في حياتنا الأدبية في عقودها الأخيرة المليئة بالإحباط والخيبة والانكسار والهزائم.

إننا نأمل أن يرفع الحظر عن هذه الرسائل في أي مخبأ كانت.

عبد الرحمن مجيد الربيعي

مجلة «دراسات عربية»، بيروت، آذار/نيسان ١٩٩٣

كانت غادة السمّان أمينة جداً أمام من يحاول أن يشكّك في صحة هذه الرسائل، فنشرت صورها كلها كما وردت بخط يده بما فيها من شطب وأخطاء لغوية متناثرة.

ولو لم تفعل غادة ذلك لما استطاع أحد من محبّي الكاتب والمكتوب لها أن يطّلع على هذه الرسائل التي جاءت بعد وفاته بعشرين سنة.

وفي رأيي، إن الذين هاجموا غادة السمّان ـ وقد اطلعت على كتابات البعض منهم ـ كانوا متسرعين في هذا ولم يتمعّنوها بهدوء ويعرفوا الدوافع لأن هناك حقيقة واضحة وهي أن غادة السمّان كاتبة مشهورة جداً ومقروءة جداً، وجلّ أعمالها القصصية والروائية مُترجم إلى اللغات الحية. وفي المعارض يقبل القراء على اقتناء كُتبها بشكل لافت للنظر رغم غلاء أسعارها. ولنكن أكثر صراحة، ولنقلْ إنها في هذا المجال أكثر شهرة من غسان كنفاني نفسه الذي تعدّدت اهتماماته لدرجة أن المناضل والناطق الرسمي بلسان الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين هو الوجه الأكثر حضوراً منه.

لكن ومع هذا كله لم تشأ غادة أن تكذب وتخفي ما في هذا العمل من إرضاء لنرجسية

الأنثى في كونها قد أحبّها أدباء معروفون، بينهم غسان كنفاني، ولم تذكر أنها آثرته أكثر من غيره بل كانت له مكانة خاصة في نفسها. كل هذه الاعترافات وهذه المكاشفة وردت في تقديمها للرسائل.

عبد الرحمن مجيد الربيعي
كتاب: «من النافذة إلى الأفق» (١٩٩٦)
الناشر: مؤسسة سعيدان، تونس

... الموضوع الرئيسي لهذه الرسائل هو الحب ونحن لا نتوقع لشاب في سن «غسان» أن تكون له حكمة «نهرو» في رسائله لابنته «أنديرا»... لكننا وبكل تأكيد نتوقع من «غادة» ـ خاصة وأن الجرأة لا تنقصها ـ أن تطلعنا على مجموعة الروابط المشتركة التي ألفت قلبي محبين.

أما عن مضمون وقيمة الرسائل فلو لم تحمل اسم «غسان كنفاني» لما زادت عن كونها خواطر شاب رومانسي يحب امرأة أكثر مما تحبه...

ويظل لغادة فضل اطلاعنا على صفحة كان من الممكن أن تطوى من حياة واحد من كتابنا الأفذاذ كما يظل لها فضل الدعوة والريادة والقدوة.

عبد الرحيم عمر
مجلة «الحصاد»، قبرص، ٩/ ١٠/ ١٩٩٢

... ولعل سبب إعجابي واهتمامي بهذه الرسائل يعود إلى تلك الأيام التي كانت نفوسنا تمتلئ بخيال أحلام الوحدة العربية، ألا قاتل الله من جعل تلك الأحلام والآمال من الأمور التي أشمتت بنا أعداءنا فقد أصبحت أضغاثاً بعيدة التحقيق. وعلى كل حال هناك سبب آخر لهذا الإعجاب والاهتمام وهو أني ممن يقدر غادة، فقد اتفق لي أن التقيت بها وتحدثت إليها وإذا بي أجدها تحيا حياة بعيدة عن الازدواجية، ولعل من أعظم الأدلة على ما ذكرت نشرها لهذه الرسائل التي تفيض بالغرام بها وهو أمر لا يقوم به إلا الذين تحررت نفوسهم من القيود الثقيلة، فالكثيرون والكثيرات يتظاهرون بأنهم أبعد ما يكونون عن أمور الحب والله وحده يعلم ما يصطرع في تلك النفوس. ولقد أحسنت صنعاً بنشرها هذه الرسائل لأننا في أمس الحاجة إلى الأدب الصادق...

عبد الرزاق البصير
الكويت، ٢٥/ ٤/ ١٩٩٣

ما الذي يجعل خبر صدور كتاب رسائل غسان كنفاني إلى غادة السمّان ينزل كالصاعقة على رؤوس الكتّاب العرب؟ ألا يعني أن كلاً منهم وضع يده على قلبه ليخبئ ارتعاشة عاطفية تمد رأسها بين حين وآخر خارج سياق الرتابة اليومية؟ ألا يعني أنهم بدأوا يستشعرون الخطر القادم من الماضي لينفذ كالسهم إلى المستقبل ليهدم شواهد قبورهم؟

إن الكاتب العربي يعيش في ازدواجية كبيرة. فعلى الورق ينطلق بحريته إلى أقصاها ولكنه في الواقع شيء آخر، لهذا فعندما نجمع أوراقه نذهل للبون الشاسع ما بين الحالتين. . .

عبد الرزاق الربيعي
جريدة «الجمهورية»، بغداد، ٩/ ٥/ ١٩٩٣

. . . إن كليهما يحس في لاوعيه وهو يكتب للآخر أن ثمة ـ قراء ـ ينتظرون موت أحدهم ليسعدوا بالقراءة الأدبية الفياضة المكتنزة بالحب والأسى والشوق. . . فلماذا الغضب إذن؟ ولماذا الهرج والمرج والعويل والادعاء. . .؟ لماذا؟ ما الذي يحدث لتجربة النضال الفلسطيني والأدب الفلسطيني إذا ما اكتشفنا في أحد رموزه. . . العاشق. . . نعم هذه الرسائل لم تعد سوى ملك للعقل والمشاعر والضمير العربي الغائب. نعم هي المخبوء من حقيقتنا. . . والمسكوت عنه فينا. فإلى متى نزوّر مشاعرنا وحقيقتنا ونطلي مظاهرنا بالرياء.

عبد الرسول العريبي
مجلة «لا» الليبية، كانون الأول، ١٩٩٢

كان يتراءى «غسان كنفاني» لي رافضاً قانون القبيلة وحشمة العباءة ورزانة التفكير المستقر على قواعد النفاق والمجاملة والكذب. وفي مجلته «الهدف» تابعته سياسياً وقائداً، لكنني كُنتُ دائماً أفتقد شيئاً في أوراقه. وشيئاً في مفردات ملامحه ولون عينيه وبريقهما. .

شيء ما عظيم كان عليّ أن أجده في أوراق غسان كنفاني. . . صفعني ذات يقظة، وأقلقني تماماً كما يهزّك عنوان رئيسي: «انقلاب في. . .»، ثم تهرول إلى محطة الإذاعة. . . ولماذا الانقلاب؟ لأنه مُلفت ولأنه خطير. . . وهذا ما فعله بي كتاب لا تتعدى صفحاته المائة والخمس عشرة صفحة من القطع المتوسط بعنوان: «رسائل غسان كنفاني إلى غادة السمّان».

عبد الكريم عبد الرحيم
من دراسة له بعنوان: «اكتمال الصورة في تألق الذاكرة والبحر والحلم» (١٩٩٦)

تُرى هل كانت غادة السمّان تُدرك ما وراء السطور (سطور رسائل غسان إليها)، وهي الكاتبة الذكية المبدعة التي تحيل كل شيء إلى رواية؟. . . أليس ما نقرأ بقلم غسان (الرسائل) رواية بطلها هو نفسه والبطل الآخر هو الوطن ممثلاً بالمرأة رمز العطاء؟

أجل. . كانت غادة تُدرك جيداً ذلك حين نشرت الرسائل. . وقد رأت في نشرها إغناء لرسالة غسان النضالية وتجاوزاً لبُعدها الظاهري. . هذه الرسائل من أقوى ما كتبه كنفاني في التعبير عن رسالته الثورية إذا تمّ فهمها على الوجه الصحيح.

عبد اللطيف الأرناؤوط
(من دراسة بعنوان «فن كتابة الرسالة عند كنفاني»، ٢٠٠٢)

. . . لقد رأت «غادة السمّان» في نشر رسائل «غسان» إليها تأكيد البعد الإنساني للمناضل والبطل. . فالمناضلون أيضاً لهم قلوب وعيوب. . إذا اعتبرنا الضعف الإنساني عيباً. . ثم هي في

نفس الوقت تثبت أنها ما زالت قادرة على الهجوم على التماثيل الخشبية.. أو الجبرية التي نصنعها لأبطالنا.. تماثيل صلبة مفرغة من إنسانيتها.. لا تقدم من البطل إلا الجوانب الأسطورية فيه.. كأنه تنين وليس بشراً.. ثم هي تثبت أنها ما زالت قادرة على تحدي مواصفات النفاق الاجتماعي التي ترى الحب خطيئة تجب لفلفتها في ستائر الصمت.. ثم هي أيضاً تزهو ـ بلا شك ـ أن هذا الكاتب المناضل كان يحبها.. وأكثر.. وهو زهو من حقها.. وهي لا تخفي هذا ولا تواريه.

... البعض يرى أن رسائل «غسان» إلى «غادة» لم تضف شيئاً إلى أدب «غسان».. وهذا ليس صحيحاً.. فكل ما يكتبه الكاتب يعتبر جزءاً من تراثه حياً أو ميتاً.. لأنه يزيد من وضوح صورته لدى القارئ والناقد معاً.. وأياً كانت نوايا «غادة» من نشر رسائل «غسان» إليها.. فهي نوع من الوفاء لذكراه.. ولعل هذا يشجع غيرها من الكاتبات.. وقد فتحت «غادة» الباب.. فهل من رسائل أخرى؟

عبد الله باجبير

جريدة «الشرق الأوسط»، لندن، ٦/١٢/١٩٩٢

... ألا تكون هذه الخيوط (في الرسائل والمقدمة) نسيج علاقة تحمل بعض ملامح شهريار وشهرزاد في ألف ليلة وليلة، مع تبادل الأدوار؟

إن المرأة، في هذا النسيج، هي التي تردم الهوة بالرجال، لا لتقتل، وإنما ليكون أحلى أغانيها حباً يكتمل بالفراق...

أتكون هذه المرأة شهريار وضحيته في آن؟ بمعنى أنها كانت ضحية عجز أي واحد من أولئك الرجال عن الاحتفاظ بها، فاستمرأت ردم هوتها. وهل يكون نشر هذه الرسائل وليد العامل النرجسي نفسه، وسعياً يسهم في ردم الهوة مع العالم؟

د. عبد المجيد زراقط

مجلة «البلاد» اللبنانية، تشرين الأول، ١٩٩٢

... لم يخسر غسان كنفاني «كما زعم البعض» حين شهد الجميع على عرى قلبه وقرأ الجميع سطوره الخاصة جداً وما بين السطور.. كسب حياة إنسانية جديدة بعد ٢٠ عاماً من اغتياله.

أما غادة السمّان فحكاية أخرى...

عبلة الرويني

مجلة «كل الناس» المصرية، ١٨/١١/١٩٩٢

إحدى الأديبات كانت تصلها رسائل من أحد الأدباء المتزوجين... تحمل مجرد لواعج أدبية، رائعة في الوصف الفني، إلا أنها كانت مثار غيرة الزوجة (زوجة الأديب) والتي ما توانت عن رفع

كفيها بتضرع إلى السماء أن يحلّ بزوجها (الأديب) ما حلّ بغسان كنفاني بعد الكتاب الذي نشرته غادة السمّان عن رسائله.

عدنان فرزات

جريدة «القبس» الكويتية، ٦/ ١١/ ١٩٩٤

بعض الآراء «النقدية» التي وردت في الكتاب تؤلمك أكثر من الكتاب نفسه، وبخاصة تلك التي ربطت بين غسان كنفاني المناضل وغسان العاشق.. فقد حاولت هذه الآراء أن تجرّده من حقه بالعشق حتى عن طريق التلميح إلى كونه أحد الرموز النضالية... والسؤال: لماذا يكون ضعف الحبيب أمام معشوقته إساءة إلى شخصيته النضالية؟

عدنان فرزات

جريدة «القبس» الكويتية، ١٢/ ٣/ ١٩٩٥

لو أخذنا الرسائل المتبادلة بين غسان كنفاني وغادة السمّان، نُلاحظ أن الإشكالية هنا كون السارد/ الراوي هو غادة السمّان «الحاضرة»، وأن الآخر أي كنفاني «غائب». لهذا تبقى تلك الرسائل مجرد وجهة نظر لغادة السمّان وحدها.

عز الدين المناصرة

مجلة «الوسط»، لندن، ١٧/ ٧/ ٢٠٠٠

ليس في رسائل غسان كنفاني إلى غادة السمّان ما يستحق الاستنكار والاستهجان، إذا وضعت هذه الرسائل في حجمها وزمنها الطبيعيين...

.. لكن يسمح بالاستهجان أو الاستنكار توقيت نشر الرسائل. فالمعروف أن استعدادات كبرى كانت تجري منذ عام للاحتفال بذكراه، في عشرين على وفاته، في بيروت وعمان ودمشق، وفي بعض العواصم الأوروبية. وفي اعتقادي أن غادة السمّان وقعت، ببراءة، في فخ نصبه الذين كانوا يريدون أن يشوهوا صورة نضال غسان وفي اعتقادهم أن إبراز ضعفه تجاه امرأة يلقي ظلاً سيئاً على نضاله، فتشجعت، دون وعي بالفخ، على نشر الرسائل...

وفي هذا الفخ ثمة كثيرون، وبينهم أحد أصدقائنا، من قدامى المناضلين، روجوا لهذه الصورة «الجديدة» لغسان كنفاني فإذا هو «يسطع كما لم يسطع من قبل»...

عصام محفوظ

جريدة «النهار» البيروتية، ٨/ ٨/ ١٩٩٢

... تعتبر غادة أن توقيت نشرها لرسائل غسان هي مشاركة في تكريمه ولو من جانب آخر لأن «عظماء التاريخ كانوا دائماً أطفالاً في بلاط الحب».

وبرغم بعض المكابرة في الدفاع فإن بعض القراء الذين يعرفون، مثلي، عن غادة السمّان أنها أذكى كاتبة عربية، والأقدر على استيحاء الأعماق النفسية لشخصياتها الروائية والأكثر استشفافاً

للواقع، في مقالاتها الصحافية، والأشد حساسية للأفعال وردود الأفعال، سيظل هذا البعض يظن أن هذه الكاتبة الكبيرة وقعت في فخ استفاد منه الذين يرغبون في تشويه بعض الصور الجميلة، معتمدين على قصر نظر الجماهير التي رؤيتها لا تتعدى غالباً سطح الأشياء إلى أعماقها. . .

عصام محفوظ

جريدة «النهار» البيروتية، ١٢/٩/١٩٩٢

. . . غادة السمّان. . . تخترق المفاهيم التي تكرس الرياء والزيف، وترفض التدجين. . امرأة تسبح في اللامألوف، وتحلم بالمستحيل، وترفض أن تستريح أو تعترف بالتعب، أو أن تهزمها المتناقضات الكثيرة التي نعيشها في عالمنا اليوم.

منذ أوائل الستينيات وحتى اليوم ما تزال غادة السمّان محافظة على تجددها المتواصل. . إنها كاتبة واعية تماماً لمهمتها الكبيرة، تبحث عن هويتها العربية والإنسانية، تبحث عن خلاص ما، عن الحرية، عن الصفاء. . . دون مواربة أو خداع.

التمرد الإنساني هو سمة أدب غادة السمّان، وآخر أعمالها «التمردية» رسائل غسان كنفاني إليها، التي أثارت من خلال جمعها ونشرها في كتاب ردود فعل كثيرة حين أخرجت هذه الرسائل من الخاص إلى العام، وكشفت صورة غسان المناضل من الداخل. .

. . . لا أدري لماذا هذا الاستهجان والإدانة؟ فما عرضته غادة من رسائل تُعتبر بحق وثائق ثريّة، منحت صورة غسان المناضل بعداً إنسانياً جميلاً، كنا لا نعرف عنه شيئاً. . .

إن أدب المراسلات أو ما يمكن أن يطلق عليه اسم «أدب الاعتراف» ما زالت تفتقر إليه مكتبتنا العربية، وقد أحسنت غادة السمّان عندما خاضت في لجّته. . .

د. علي القيم

جريدة «تشرين» السورية، تشرين الأول ١٩٩٢

. . . الرسائل التي يكتبها الأحياء للأحياء يجب أن تحرق في اليوم الثالث لرحيل أحد الطرفين. فهذا هو الشرط الذي يجب أن يوضع كخاتمة لكل رسالة بين اثنين وإلا فإن الفضائح سوف تطال الأموات أكثر مما تطال الأحياء. . .

عمران القيسي

جريدة «اللواء» البيروتية، ٢٨/٧/١٩٩٢

ماذا في رسائل غسان كنفاني إلى غادة السمّان. . وهل تحتاج المسألة إلى هذه الضجة التي ارتاحت إليها كثيراً غادة السمّان؟. . .

. . . ويبقى الموضوع أصغر من فضيحة وأقل من قضية اللهم إلا إذا أردنا أن (نطق أحناكنا) بمثل هذا الهراء. . .

عمران القيسي

جريدة «اللواء» البيروتية، ١/٩/١٩٩٢

. . . ولا شك إلى أن موضوع الإثارة عائد بالضرورة إلى ندرة الرسائل الغرامية المتبادلة بين أديبين، لأحدهما باعه الطويل في السياسة والأدب، وللأخرى باعها في الأدب وفي طرح المسائل بجرأة مستغربة في محيطها الشرقي، كونها امرأة شرقية، خاضعة شاءت أم أبت إلى شروط المجتمعات الشرقية. .

. . . ولعلي لا أبالغ بالقول، بأن مطلق عاشقين أمين، قادران على قول ما هو أكثر إثارة في التعبير عن حبهما، من الكلام المكتوب في الرسائل. . .

عناية جابر

جريدة «السفير» البيروتية، ١٥/ ٩/ ١٩٩٢

. . . وجدت نفسي أعثر على ما هو أكثر من المتعة الأدبية، وأقع في المقدمة المطولة، التي خطتها غادة، على أجوبة كافية ومقنعة لتلك الأسئلة التي راودتني سلفاً، قبل أن أقرأ الكتاب، وأستدعي بعضاً من ذكرياتي القديمة.

ولعل أكثر الأسئلة أهمية، التي أجابت عليها مقدمة الكتاب، ذلك المتعلق بمشروعية نشر هذه الرسائل الخاصة، المنسوبة لشخصية أدبية وسياسية مرموقة، حفرت مكانتها عميقاً في الوجدان العام. فبحسب غادة السمّان، فإنه بعد عشرين عاماً على غياب الجسد النحيل العليل فقد باتت هذه الرسائل بمثابة إرث أدبي عام، لنا حق الاطلاع عليه، أكثر مما لدى غادة من حق في مواصلة الاحتفاظ به في الأدراج المغلقة.

وفوق ذلك فإن هذا الكتاب، يشكل مساهمة متواضعة في التأسيس لجنس أدبي غير شائع في المكتبة العربية، ألا وهو أدب المراسلات، الكثير التداول في اللغات الأجنبية. وإن قيمته الكبيرة مستمدة، ليس فقط من مادته الرفيعة ومحتوياته الفنية الجميلة، وإنما كذلك من شخصية صاحب هذه الرسائل، الذي طبقت شهرته الآفاق العربية.

وهكذا وجدت لدي تسامحاً كبيراً تجاه هذه المرأة التي كثيراً ما كان غسان يبثها حبه النبيل من على صفحات «المحرر» و«ملحق الأنوار» وغيرهما من الصحف والمجلات اللبنانية، ورأيت في ما صنعته في هذا الكتاب، شكلاً من أشكال الوفاء ولو كان متأخراً، لذكرى الرجل الذي تعذب بحبها علناً، وشكا من امتناعها سراً وجهراً، وظل متوهجاً بها لسنوات طويلة، على نحو ما كان متوهجاً، قلماً وقلباً وعطاء، لحبيبته الأولى والكبيرة، فلسطين. . . والرسائل أبرزت صورة غسان الأخرى. . . المناضل الحقيقي، الإنسان بمواصفات إنسانية. .

فشكراً لغادة السمّان التي أعادت بعث هذا الكاتب المبدع، بكامل اتقاده وشفافية روحه، وعذوبة حرفه، وتجاسرت على خرق سقف التقاليد والأكاذيب، على نحو ما فعلت جدتها ولادة بنت المستكفي قبل مئات السنين.

عيسى الشعيبي

جريدة «الدستور» الأردنية، ١١/ ٩/ ١٩٩٢

ما زلت أقرأ في رسائل غسان شغف قلبكِ يا غادة.

عيسى مخلوف

آب ١٩٩٢

إذا اعتبرنا أن نشر كتاب «رسائل غسان كنفاني إلى غادة السمّان» هو أول خطوة أدبية عربية تكشف عن أسرار البوح من محبّ إلى حبيبة، من كاتبٍ إلى كاتبةٍ... علماً بأن هذه الخطوة ظلت ناقصة المضمون لأنها كشفت جانباً واحداً وأغلقت الباب على الجانب الثاني، وجدنا أن مثل هذه الخطوة تخدم «أدب النقد» كثيراً في فهم شخصية الكاتب وحميمية أعماقه عند دراسة آثاره وكتاباته في مرحلة من المراحل.

غادة علي كلش

جريدة «الكفاح العربي» البيروتية، ١٩٩٧/٧/٣٠

هل نتهم غسان كنفاني بالرجعية والتخلّف والقصور، ونكتفي بصورته عاشقاً ومهووساً لإحدى الروائيات ليس إلاّ.. مشهّراً برسائله في الواجهات والمكتبات العامة انتقاماً لمسيرته النضالية؟

غادا فؤاد

(من كتاب «إسرائيليات...»، ٢٠٠١)

... ولست أرى في هذه الرسائل ما يضيف لفهم هذا المبدع الكبير.

من الناحية الأخرى فلست أظن هذا العشق ينقص شيئاً منه، أو يسيء إليه، أو ما شئت من هذه المعاني... ليس في العشق كبرياء، والعاشق حر في أن يضع نفسه حيث يشاء من صاحبته.

... هكذا إذن: ربحت غادة السمّان، وحققت زهوها النرجسي، ولم يخسر غسان..

فاروق عبد القادر

مجلة «روز اليوسف» المصرية، ١٩٩٢/١٠/٢٦

ثمة فجوة واسعة، ومساحات من الفراغ، تركتها الرسائل المنشورة من غسان كنفاني إلى غادة السمّان... تبدت الفجوة في المسكوت عنه إرادياً من طرف المرأة «المعشوقة»...

نصف الحقيقة الغائبة يكمن في رسائل غادة إلى غسان، التي انتظرنا العثور عليها ونشرها، بلا أمل، أما نصف النصف الآخر ـ بقية رسائل غسان إلى غادة ـ فإنْ صح الحديث عن تحولها إلى رماد في الحرب الأهلية اللبنانية، فإن ذلك قد يجهز نهائياً على ما تبقى لنا من أمل في قراءتها.

نحن، إذن، أمام رسائل تحمل لنا ربع الحقيقة، وترسم لنا ربع الصورة! كأننا أشبه ما نكون أمام أحداث رواية ناقصة، مبتور منها ثلاثة أرباعها؛ رواية «العاشق» الآخر، الذي لم يمهله الانفجار لحظة أخرى لكتابة عشقه كاملاً من زاويته...

فاروق وادي

جريدة «الدستور» الأردنية، ٢٠٠٣/٧/١١

... غادة السمّان أديبة جديرة بأن يفرد لها فصل كامل في كل منشور يصدر عن الأدب والحرية. ونشرها اليوم لرسائل غسان كنفاني إليها تكريم له حقاً، لأن فيه تذكيراً بإنسانيته وبقضيته... ومن يقرأ ما كتبته غادة السمّان بعد اغتيال غسان كنفاني مباشرة من قبينا (في كتاب الجسد حقيبة سفر بتاريخ ٢٥/٨/٧٢) يدرك أنها فطنت منذ البداية أن طريقتنا العربية في تكريمه ستجعل منه تمثالاً من الشمع يحتفى به ميتاً بعد تجاهله وقتله حياً.

... ولا نكاد نعرف أديباً كبيراً في الغرب لم تجمع رسائله بعد مماته وتنشر، ويجد فيها القارئ الصورة الواقعية للأديب كإنسان...

الدكتورة فاطمة موسى محمود
مجلة «إبداع» القاهرة، ١٠/ ١٠/ ١٩٩٢

في حوارها الأخير مع صحيفة «الرأي» الأردنية (١٨، ٢٠/٣/٩٣) تثير غادة السمّان مرة أخرى قضية نشر رسائل غسان كنفاني والضجة التي أحدثها هذا النشر.. ورغم أن الكثير مما تقوله غادة السمّان ينضح بالذاتية التي تربى الكاتب العربي على احتضانها وتسويغها، إلا أنها تطرح، كما في نشرها للرسائل، حقيقة جبن المؤسسة الثقافية العربية وجبن الكتّاب عن تسطير تجاربهم. إن الكاتب العربي يفضل قول الأشياء مواربة، ويغطي الحقيقة بالاستعارة، ويشير إلى الذات بضمير الغائب، تحكمه في ذلك التقاليد والممنوعات وإرهاب المجتمع قبل إرهاب السلطة. والمأساة، كما تقول غادة السمّان، أننا لا نجرؤ اليوم ونحن على أبواب القرن الحادي والعشرين أن نردد ما قلناه في خمسينيات القرن وستينياته لأن حصاد جيل النهضة العربية الطالعة في أواخر القرن التاسع عشر قد جرى إحراقه على أيدي الطوائف المسلحة بالتخلف ونتاج الاستبداد.

تحسن غادة السمّان القول إذ تصر على أن نزع أقنعة الزيف والإصرار على البوح ضروريان لتقدم المجتمع وتطور الأدب...

فخري صالح
مجلة «راية الاستقلال» الأردنية، حزيران ١٩٩٣

لسوء الحظ أن مبدعاً مثل غسان، لم يتح له اغتياله فرصة كافية لكتابة سيرة حياته. ولو فعل ذلك لما قفز عن رسائل غادة السمّان وعن قصة هيامه بها، ولما قفز أيضاً عن قصص حب وعلاقات عاطفية مختلفة شغلت حيّزاً مهماً في حياته...

وغادة، سهّل الله أمرها وهداها سواء السبيل، كانت تكتب ليس لأنها صاحبة قضية، وإنما لأنها تريد أن تبعث الفتنة في رؤوس القُرّاء..... وقد التقيتُ بعددٍ غير قليل من أدباء وصحفيين عرب، رووا لي قصص غرامهم مع غادة السمّان، مما دفعني إلى الاعتقاد بأن نفوس هؤلاء كانت أمّارة بالحب، وأن نفس غادة كانت أمّارة بجمع القلوب، وأنها هي - في خاتمة المطاف - لم تحب أحداً بمن في ذلك غسان كنفاني...

فخري قعوار
مجلة «شرقيات» الأردنية، آذار ١٩٩٩

عندما نشرت غادة السمّان رسائل غسان كنفاني إليها، لم تتجرأ في نشر رسائلها إليه.

فرح جبر

«ملحق النهار»، بيروت، ٣/ ٥/ ٢٠٠٤

تقليد أدبي جميل أصاب «النفاق العربي» في مقتل...

... وفي نقطة التقاء الحب بالإبداع، يتحوّل الخاص إلى عام ويصبح من حق الناس أن يروا صورة الحب البهيجة ومهاريه التراجيدية..

... أما أولئك الذين رجدوا في نشر الرسائل مؤامرة وأي مؤامرة، واكتشفوا بحواسهم السوادس أصابع الموساد ودسائس البيت الأبيض كما شاهدوا بعينيّ زرقاء اليمامة المداهمة الوشيكة لخيول الإمبريالية وطلائع العولمة لديارنا المحروسة، فلن نقول لهم سوى إننا نغبطهم على هذا الخيال اللطيف إنْ كانوا يقصدون كلامهم حقاً، ونؤكِّد لهم أننا على ضوء ذلك سنعيد قراءة الأربعة والثلاثين مؤلفاً لغادة، لأنه وفق نظرية المؤامرة لا يعقل أن يكون قد تمّ تجنيدها بالأمس القريب. ولله في خلقه شؤون!

فضل النقيب

جريدة «الاتحاد»، أبو ظبي، ٤/ ٤/ ١٩٩٩

إنني أعجب كل العجب من الذين يرون أن في ما قامت به المبدعة «غادة السمّان»: إساءة إلى سمعة المناضل غسان كنفاني... حيث إن بعض هذه الرسائل سبق للراحل كنفاني أن نشرها، ولم يكن يرى يومها أي حرج... فكيف يرى غيره ذلك الآن؟!

وقد كانت «غادة السمّان» حريصة على نفع القارئ والدارس العربي... خصوصاً المهتم بأدب كنفاني... ففتحت نافذة على لغة الحب عند ذلك الأديب المناضل الراحل!

وهذه الرسائل: وثيقة أدبية، وسيرة ذاتية... وتهدي المكتبة العربية كتاباً فريداً في أدبنا العربي الحديث الذي ربما كان خالياً من هذا اللون!

فهد آل الشيخ

جريدة «الحياة»، لندن، ٢٥/ ٦/ ١٩٩٣

آخر ما قرأته لك من أعمال كان «رسائل غسان كنفاني إلى غادة السمّان»، وكان أجمل ما فيه صراحته المطلقة والمصداقية التي فيه.

فؤاد البرازي

جامعة حلب، عيد الأضحى، ١٩٩٣

... لماذا نظل مكابرين، نلهث وراء المرأة في السر، وفي أحاديثنا العلنية نلغيها؟ لماذا ننظر للمرأة على أنها دنس ونحن خرجنا من رحمها؟

ـ أيهما أهم، أن يكون المناضل نبياً مرسلاً، أم إنساناً عادياً استطاع أن يرتفع لمصافي الأنبياء؟

لماذا توجه هجومك على غادة وهل فعلت شيئاً شاذاً؟ هل الرسائل مزورة لتحاسبها؟ إذا كانت مزورة فلنا الحق أن نطالب بمحاكمتها، وإذا لم تكن فمن حقها أن تنشرها وهي حرة في ذلك. وهل غسان كتب الرسائل في لحظات سكر، ثم ألا يعرف أن هذه الرسائل يمكن أن تنشر؟...

هناك في الرسائل تفاصيل صغيرة في خصوصية حادة عند غسان كنفاني كان يجب ألا تنشرها غادة ومن حقنا أن نعتب عليها ونطلب حذف هذه الخصوصيات التي هي ملك لغسان وحده وعليها مراعاة ذلك. أما أن تعتبر الكتاب بمجمله تشويهاً لغسان فذلك أمر صعب...

فواز خيو
جريدة «الأسبوع الأدبي»، دمشق، ٢٦/١١/١٩٩٢

... تدور «الوثائق الأدبية» في حقل البيع والقراءة والنقد. أما رسائل العاشق ـ الشهيد، فتدور في حقل الإثارة لأنها رسائل رجل ـ رمز. وقد يبدو اصطياد الرمز صعباً، وصعوبة الاصطياد تفرض نشور الغائب وهتك أسراره. وفي عملية التحويل التي تحيل الرمز رجلاً، يصبح الحب إعلاناً، والغائب خبراً، والكتاب فضيحة.

د. فيصل درّاج
مجلة «صوت المرأة» (الصادرة عن لجان المرأة الشعبية الفلسطينية)
السنة السادسة، العدد العشرون (١٩٩٢)

... وإذا كان لنا أن نضيء فكرة «أخلاقيّة الكتابة»، كما «أخلاق السوق»، فيمكن لنا أن نرجع إلى مادة كتابية حديثة أهرقت بعض الحبر وهي رسائل غسان كنفاني إلى غادة السمّان. وكي لا نتوه في سبل العصبية أو مسارب الاتهام، فإنه يمكن لنا أن نتعامل مع الرسائل المنشورة بمقولة المعرفة الموضوعية وفكرة النسق الثقافي ـ الوطني، ولا سيما أنّ هذه الرسائل تحيل إلى مثقّف ينتمي إلى هذا النسق بامتياز. تعلن ناشرة الرسائل وبتشديد لا مزيد عليه أنّ هدف النشر معرفيٌ يتوسّل إنارة شخص المبدع. ولذلك تقول: «إنّها رسائل تدخل في باب الوثائق الأدبيّة أكثر مما تدخل في باب الرسائل الشخصية»، تقول أيضاً: «أكتفي مؤقتاً بنشر رسائله [أي غسان] المتوافرة، بوصفها أعمالاً أدبية لا رسائل ذاتية»، كما تقول: «ولعليّ كنت حنثت بعهدي لغسان على نشر تلك الرسائل، لو لم أجد فيها وثيقةً أدبية وسيرةً ذاتيّة نادرة الصدق لمبدع عربي». إنّ تكرار صفات «وثائق أدبيّة، أعمال أدبيّة، سيرة ذاتيّة» لا يحجب ذاتيةً متلعثمة تهدم حقائق وتختلق نقائضها؛ فأعمال غسان الأدبيّة قائمةٌ في رواياته وقصصه ومسرحياته، وسيرتُه الذاتيّة معلنةٌ في مسار حب حدودُهُ الحريّةُ والموتُ، وقوامهُ إنتاجٌ فكريٌ متعدّدُ الأبعاد يقطع الزمن بسيف الرّغبة والإرادة، وأسلوبُه هناك يهرب من القاموس ويلهث وراء نبض الحياة. ليس في الرسائل إلاّ ذاتٌ عاشقة حاصرها زمنٌ سقيمٌ لاحقٌ بأظافر ذاتيّة تعشق مراياها وليس في الرسائل إلاّ معشوقٌ يحوّل أجمل العواطف إلى نميمة.

د. فيصل دراج
مجلة «الآداب»، بيروت، آذار ـ نيسان ١٩٩٣

. . . ردود فعل متفاوتة. من بينها ثمة استنكار مزدوج: تشكيك في صحة أمر العلاقة والرسائل أصلاً، ثم استهجان نشرها. وذهب البعض إلى الاستعداء من أجل مقاضاة غادة السمّان، والتلميح إلى مؤامرة (تتصل بالنظام العالمي الجديد/ حسب الياس العطروني!) تستهدف الإساءة والتشويه لصورة وتاريخ غسان كنفاني الأدبي والنضالي. ولعل التفاوت الطريف في ردود الفعل هذه يشير إلى الاختلاف العميق في تعاملنا مع ظاهرة الحب في حياتنا. ففي حين اعتبر الياس خوري أن (غسان كنفاني اليوم يسطع كما لم يسطع من قبل) فإن الياس العطروني رأى في نشر الرسائل أمراً. . . «يمكن وصفه بالعورات».

هذا هو الشرق، الحب عنده هو العار الذي. . . «لا يسلم الشرف الرفيع. . .».

ولكن المشهد يبدو الآن أكثر تفسخاً. فثقافتنا العربية، في جانبها الثوري، وسلوكها التقدمي خصوصاً، لا تزال ميالة إلى اعتبار الحب عاطفة بورجوازية من شأنها أن تخدش نقاء المناضل. وإن الثوري لا يصير صادقاً إلا إذا كان مخصياً في عاطفته. فالأديب المناضل محظور عليه أن يقول عن الحب. لا أعرف بالضبط من أين اجترح علينا ثوريو العرب الأشاوس هذا الشرط النضالي، في حين أننا أبناء تراث كثيف من العشق والعشاق يصل إلى حد التبذل أحياناً. تراث موغل في العاطفة الجياشة هو (تاريخياً) أقدم من الدين ذاته. وكثافة هذا التراث جعلته قادراً على الاختراق، بحيث لم يستطع الدين أن يشغل أدباء العربية (آنذاك) عن الاستغراق في أحوال الحب.

وكان الأجدر بتقدميي الثقافة العربية وثورييها أن يتصلوا بذلك الجذر الثقافي ويعملوا على بلورته في سلوك حضاري جديد. لكن الذي حدث هو العكس تماماً، فقد اتخذ هؤلاء إزاء الحب موقفاً طهرانياً يضاهي موقف المحافظين من أصحاب التقليد الاجتماعي، الأمر الذي جعل عاطفة الحب نقيضاً لأي مشروع نضالي أو سلوك ثوري. ويجوز لنا أن نتساءل عن مصدر هذا السلوك في تجربة الثقافة العربية المناضلة (التقدمية خاصة) هل هو خليط من تربية دينية شرقية مشوهة من جهة، ومن جهة أخرى تزمت إيديولوجي، تمثلت نماذجه الفادحة في الدوغمائية السوفياتية التي مارست قمعاً مشهوراً لتجارب أدبية معروفة مثل يسينين ومايكوفسكي وأخمتوفا بسبب انحيازهم للحب، كتابة وحياة. ولعلنا نذكر حادثة قصيدة مايكوفسكي عن حبيبته، عندما أصدر لينين قراراً بطبع نسخ محدودة من الكتاب، تعطى للشاعر وحبيبته، على أن تحفظ النسخ الباقية في المكتبات العامة، بحجة أن موضوع الحب شأن شخصي لا يتصل بهموم البناء الثوري للمجتمع السوفياتي، ولا يهم جمهور القراء. ونتذكر أيضاً كيف أن الملاحظات الحزبية تلك صارت قانوناً إيديولوجياً تبنته الأحزاب الشيوعية في العالم، واستوردته الاجتهادات العربية من بين ما استوردته، بحيث تحول الأمر إلى ضرب من السلوك القمعي ضد أية بادرة أدبية أو شخصية تنزع إلى البوح العاطفي في غمرة النضال الثوري. ولعلنا نستطيع بجردة سريعة للأدب العربي الحديث أن نكتشف أشكال التوظيف الإيديولوجي لرمز المرأة، متجلياً باتصالها بالأرض والأم والوطن والثورة والزوجة. ولكن من النادر أن نصادف امرأة خارج حدود البعد النضالي الشامل والعرف الاجتماعي التقليدي.

. . . ويعرف الكثيرون أن حياة خاصة مسكوتاً عنها، سوف يلجأ إليها مناضلون للتنفيس وتفريغ الكبت الثوري. وتتفاوت طبيعة هذه الحياة بين العلاقات العاطفية الحميمة والصادقة خارج

المؤسسة الحزبية وشروطها الطهرانية، وبين اللهو والتبذل والانحرافات الأخلاقية. كل ذلك سوف يحدث دون إعلانه أو الاعتراف به، لأنه يخدش صورة المناضل ومصداقيته. إلى هذه الدرجة يستطيع المفهوم المشوه للنضال والثورة أن يمسخ البناء العاطفي للإنسان...

لذلك يتوجب توجيه الشكر العميق لغادة السمّان (وغسان كنفاني خاصة)، لأنهما فعلا شيئاً خارقاً، غسان اخترق العائلة والحزب معاً، وغادة اخترقت حاجز الوهم الاجتماعي الذي يترشح به سدنة الأخلاق... غير الأخلاقيين.

قاسم حداد

جريدة «السفير» البيروتية، ٩/ ٦/ ١٩٩٣

الذين انتقدوها قالوا: إنها تحاول الصعود على جثث الموتى.

الذين أثنوا عليها قالوا: هذه هي المرأة... عالية مثل الريح.

جريدة «القبس» الكويتية، ١٢/ ٤/ ١٩٩٥

... تدعونا «غادة السمّان» لأن نحول صفحة نفوسنا الهائجة الأمواج إلى صفحة بيضاء كالشاشة، وفوقها سترتسم كلمات تلسع النار والجليد معاً، تذكرنا أيضاً أنها هنا ليست لرثائه، بل لإشهار صوته على الذاكرة كالخنجر. لم يكن ذلك سوى غسان كنفاني.

كرم نعمة

جريدة «الجمهورية» العراقية، ١٢/ ٦/ ١٩٩٣

... ثقافة العيب هي التي منعت كاتبة كغادة السمّان من نشر رسائلها إلى غسان كنفاني واكتفت بنشر رسائله إليها. فظهر متيّماً ضعيفاً وراكعاً أمام حبها وسطوته..

ليلى الأطرش

مجلة «عمّان» الأردنية، آذار ٢٠٠٤

هيام غسان بـ «غادة» يعرفه جميع الصديقات والأصدقاء، الأدباء والأديبات، الزملاء والزميلات، القاصي والداني، ممن عاشوا مجد بيروت الثقافة، والسياسة، والفكر، والفن، طيلة الستينيات، وتداخلت حيواتهم بأدبهم بفكرهم بنضالهم... هيام «غسان» بغادة بدأ، جدياً، على صفحات الجريدة التي كان يرأس تحريرها «المحرر»! من خلال عمود شبه دائم يسمى: «أوراق خاصة» كان يبثها به غرامه، فينسخ عنه آلاف القراء جملاً فائقة الجمال والبذخ العاطفي، ويكتبونها لبعضهم البعض!...

هذا الغرام، وجدناه أيضاً، على صفحات ملحق جريدة الأنوار الأسبوعي.. كان غراماً مشاعاً.. ولا أدري إن كان يحق لي، أنا كما غيري كثيرون صديقة الاثنين معاً.. الشهادة فيه، الآن، وهنا. ولكني أجد نفسي ملزمة بالقول: بأن غادة السمّان، لم تقم بفضح علاقة خاصة سرية، جمعتهما، ذات صباح بغسان كنفاني، الأديب الشهيد، طمعاً بشهرة تستمدها من شهرته. أوليست

في الواقع أكثر شهرة منه وأرسخ جذوراً في عالم النشر والأدب؟ على الأقل لأنها كتبت وباستمرار ولمدة عشرين سنة بعده.

. . . كانت هذه العلاقة الأدبية (التي تتوسل الغرام في سبيل الإبداع وليس العكس) مفضوحة بقلم غسان نفسه، ولسانه أيضاً الذي كان يخبر من باب المباهاة وأيضاً من باب استثارة حوافز الأدب والإبداع ليس إلا! . . .

وغادة السمّان مرة أخرى تنتصر بمؤلف كبير، وما حواه الكتاب من رسائل جميلة حية نابضة بالشوق والحنين وبالضعف والقوة، بانكسار الرجولة أمام طغيان الأنوثة يصب مرة بعد مرة في كشف تلك الشخصية العميقة الغنية الراقصة التي كان اسمها غسان كنفاني، والتي حجبت بطولة موتها بعضاً من إنسانية حياتها وتنوع مشاعرها واهتماماتها!! . . .

ليلى الحر

جريدة «الوطن» الكويتية، ٥/ ١٠/ ١٩٩٢

. . . مجالس فلسطينية اتهمت غادة بتعمد الإساءة لواحد من رموز النضال الوطني الفلسطيني، خصوصاً بعدما تحولت إلى امرأة نفطية تكتب في مجلة «الحوادث». ويرى أصحاب هذا الرأي أن نشرها الرسائل في كتاب، لا يعدو كونه مجرد إعلان خليجي مدفوع الأجر لتشويه سيرة الراحل، وعبره صورة النضال الفلسطيني.

جريدة «المحرر»، باريس، ٣١/ ٨/ ١٩٩٢

. . . آه يا غسان. . . كنا دائماً نختلف معك إزاء طريقة دخولك إلى البيت. . كنت تخلع الحذاء في «الأسانسير» ثم الجاكيت ثم القميص. . كنت تخلع ثيابك بنفسك وهذه عادة اكتسبتها في يفاعتك. . ولكنهم الآن وباسم الحب والعاطفة يحاولون تعريتك وتشويه صورتك بنشر جانب واحد من وقائع جرت معك وتقديمها على أنها الحقيقة المطلقة. . . إن كتاباً مثل «رسائل غسان كنفاني إلى غادة السمّان» يشوّه صورة أديب كبير ومناضل فذ هو غسان كنفاني الذي استشهد من أجل قضية تعيش مع كل واحد منّا، تنام معه وتأكل من أعصابه في كل لحظة. . .

محمد أبو خضور

جريدة «الأسبوع الأدبي» السورية، ١٥/ ١١/ ١٩٩٢

أطلقتِ رسائل غسان كنفاني إليك إلى النور الأكبر ليراها الجميع بعدما كُنتِ تحتفظين بها في نورك فقط. . . حيث يبدو أنك انتصرت على أنانيتك في امتلاك الأشياء النادرة مؤخّراً. . وتخلّصت على مضض من تفرّدك بحيازتها وأنتِ القائلة بيراعك المعهود إن رسائله إليك هي أجمل ما كُتب في اللغة العربية بعد القرآن!!

محمد حسين الغويدي

الطائف ـ السعودية، ٢٤ ذو الحجة ١٤١٦هـ

إنه زمن تُصادر فيه حرية الفكر تماماً كما صادروا كتبك مني (يا غادة) ذات يوم على إحدى الحدود العربية، وكنتُ أحسّ أنني أحمل اللغة العربية، أحمل الحقيقة، ولكنهم لا يعلمون أنهم لن يستطيعوا ختم ذاكرتي بالشمع الأحمر. وكما قال غسان كنفاني ذات يوم: «عندما يموت الإنسان تموت الفضيلة».

ومنعك استمرت فضيلة التذكير به. أليس التذكير بغسان فضيلة؟ أم أنني أشهد عكس الريح؟

محمد حمود علوان

البحرين، ١٢/ ٤/ ١٩٩٣

إذا لم يكن لكتاب «رسائل غسان كنفاني إلى غادة السمّان» الصادر عن «دار الطليعة» في بيروت، في الذكرى العشرين لاستشهاد كنفاني، سوى حسنة واحدة هي تسليط الأضواء على الجانب «المرهف» من شخصيته، فإن الكتاب يكون قد حقق المقصود منه...

... أما المرأة فكان هناك تغييب متعمد لها، عن حياته وسيرته، وكأنها «رجس من عمل الشيطان» رغم حضورها الفاعل في كل عمل إبداعي له.

من هنا فقد جاء نشر كتاب «رسائل غسان...» وعن دار الطليعة بالتحديد، بمثابة الصاعقة لكل أولئك الذين حاولوا أن يُخرجوا غسان من ثوبه الإنساني، وأن يُلبسوه - ولو بالقوة - ثوباً طوباوياً هو من صنع أوهامهم أو تمنياتهم. ووصل الأمر بالأديب الأستاذ الياس العطروني إلى حد التشكيك بصحة الرسائل أصلاً، واتهام «النظام الدولي الجديد» بالوقوف وراء نشرها...

كنا معاً: غسان وأسعد عبد الرحمن وأنا نصدر «فلسطين» - ملحق «المحرر» نصف شهرية، وكانت تنطق باسم «حركة القوميين العرب» يومذاك، بالإضافة إلى «الحرية». وكنا نلتقي كزملاء ورفاق درب وقلم. وكان غسان يقرأ علينا نتفاً من رسائله إلى غادة، في مكتبه في جريدة «المحرر» التي كان أيضاً يرأس تحريرها. وكنا نصاب بما يشبه الوجوم، ونحن نراه يكاد يذوب في كل كلمة، وفي كل حرف، حتى لكأنه يمارس طقوس صلاة غريبة.

وكان إحساس غامض يلفنا حينذاك: هل صحيح أن هذه الرسائل تذهب بالفعل إلى غادة السمّان؟ ولماذا لم يقرأ علينا قط أي رد منها، هذا إذا كان هناك رد؟... ولكن المؤكد هو أن الرسائل المنشورة في كتاب «دار الطليعة» صحيحة وإن كانت ناقصة.

محمد زيد

جريدة «السفير» البيروتية، ٢٠/ ٨/ ١٩٩٢

... إن الهدف الذي تعلنه غادة لنشر هذه الرسائل، هو في درجة مهمّة من درجاته نوعي/ فني، بوصف أن الرسائل أولاً عمل إبداعي ذو خصائص وسمات إجناسية خاصة، لم يأخذ حظه من الانتشار والنجاح في تاريخنا الأدبي...

... فكرة التأسيس النوعي عند غادة، تعدّ من أهم الطروحات الخاصة بالموجهات البنائية، وهي تسعى إلى التفكير بالنوع الأدبي وما يتصل به من قيم وتقاليد وقواعد، متحدثةً عن لون خاص

من ألوان هذا النوع تسميه «مراسلات الاعتراف»، الذي لا يجد له حيزاً في لوحة الأدب العربي، بحكم عوامل حضارية واجتماعية وثقافية معروفة. فهذا المشروع لدى غادة يهدف إلى «التأسيس لنوع أدبي منتشر في الدنيا بكثرة، ويكاد يكون معدوماً عندنا هو أدب المراسلات غير الرسمية، مراسلات الاعتراف...».

... وبذلك فإن غادة السمّان لا تتوقف من خلال ملاحظاتها وهوامشها وإشاراتها عند معطى فني أو ثقافي أو أخلاقي واحد، بل تشتغل بذكاء داخل ورشة كاملة المعدّات، على مشكلة أدبية متفاعلة معها ومنفعلة بها، فضلاً عن وعيها وعياً حاداً، مما رفع كثيراً من شأن هذه الهوامش، لترقى - في رأينا - إلى مستوى فنية الرسائل نفسها.

د. محمد صابر عبيد

مجلة «عمّان» الأردنية، تشرين الأول ١٩٩٩

... إن الرسائل الخاصة للأديب أو الفنان على وجه العموم هي أحد المؤشرات التي يمكن أن تضيء عوالمه الإبداعية، كما أنها في الوقت نفسه قد تكون لها أهمية قصوى في الكشف عن طبيعة ثقافة حقبة أدبية أو فنية بعينها... فضلاً عن أنها تسلط مزيداً من الأضواء على طبيعة الثقافة العربية في تطوراتها وانكساراتها...

... وخير لنا أن نجرؤ على نشر أوراقنا بأنفسنا كما تنادي غادة...

محمد العلي

مجلة «اليمامة» السعودية، ١/ ١٢/ ١٩٩٣

... سيدة الرسائل جميعاً هي الرسالة الأخيرة. لعلها تصعد بصاحبها إلى موقعه المكرس في الإبداع كأهم وأعمق كاتب فلسطيني.. وهي رسالة مزدوجة، أو مركبة، لا تصف ذاتاً واحدة بل ذاتين وثلاثاً في علائقها، وتمزقها، وصبوة العيش وقسوته، ووقوع العصافير في أسلاك شائكة من رغبة ورهبة، من وطأة واقع وانتباه للحرية...

... هذه الرسالة (بامتياز)، كما سائر الرسائل، تصور روحين معاً: روح غسان كنفاني المعذبة والجميلة، العاشق، كنفاني، المبلّل بدموعه، الرائع، الطيب، الحائر... الممزق كفراشة... من جهة.. وروح المعشوقة (غادة السمّان)، الذكية، الجريئة، ذات الحرية في الجسد والنفس والاختيار... غادة المشتهاة الممنوعة.. الثمرة المحرمة.. وهو طالبها الأبدي حتى الموت.

... رسائل غسان كنفاني المفردة إلى غادة السمّان، رسائل مزدوجة. أعني أنها ليست إرسالاً فحسب، بل هي صدى أجوبة أيضاً. فالرجل لا يرسم ذاته وجغرافية دواخله في رسائله، ويقف عند هذه الحدود، بل يرسم أيضاً، وبالمقدار عينه، ذات الآخر (المعشوق) وجغرافية دواخله أيضاً. غادة السمّان واضحة بمقدار وضوح غسان كنفاني في الرسائل. ولعلنا لسنا بحاجة لقراءة الرسائل الرد

التي أرسلتها غادة (مع تشوقنا إليها) لمعرفة ملامح شخصية غادة السمّان، في هذه العلاقة الممتعة...

محمد علي شمس الدين
مجلة «الكفاح العربي» اللبنانية، ٢١/٩/١٩٩٢

... وواقعة نشر الرسائل، بلغت بالبعض حدّ القول بوجود مؤامرة(!). إذ كتب أحد القصاصين اللبنانيين أن نشر الرسائل «مؤامرة من النظام العالمي الجديد للاقتصاص من كل ما هو عربي فينا أو مدعاة للفخر والاعتزاز عندنا»!

الرسائل حقيقية، من دون شك، يثبت ذلك صورها في الكتاب وشهادات أصدقاء غسان الذين سمعوها منه قبل أن يرسلها إلى غادة. والصدمة التي أحدثتها تثبت أموراً عدة أبرزها أن غسان كنفاني تحوّل إلى رمز خالص، وتم تجريده من إنسانيته، وحتى من نصه الأدبي، ليصبح بطلاً مكتفياً ببطولته تغنيه عن تاريخ عيشه وعلاقاته، وتسمو به حتى عن الكتابة الإبداعية نفسها...

أليس ملفتاً أن أعمال غسان كنفاني التي طبعت بعد موته أغفلت كتاباته العاطفية الرقيقة التي نشرها في صفحة «المحرر» الأخيرة وفي ملحق «الأنوار» وحتى في «الهدف» نفسها، وكانت مرايا أسبوعية وأحياناً يومية لحاله العاطفية، كما كانت أشبه بتمارين لكتابة نصوصه الإبداعية في القصة والرواية، وحتى في المسرح؟

أليس ملفتاً أيضاً أن «مؤسسة غسان كنفاني الثقافية» تنصلت من مادة الرسائل المنشورة وأعلنت الامتناع عن الإفادة من ريع الكتاب؟

... جريئة غادة السمّان، فنشر الرسائل مفيد لاعتبارات عدة، من بينها:

- إضاءة جانب أساسي من تراث غسان كنفاني بدأ يدخل دائرة النسيان.

- التنبيه إلى جانب من الحياة الصحافية والأدبية والفنية في بيروت الستينيات التي شهدت النهضة الثانية للأدب والفكر العربيين، في وقت يبحث فيه العرب عن نهضة ثالثة وعن مكان يتسع لهذه النهضة.

- إظهار حضور المرأة في حياة الكاتب العربي، ليس تلك المرأة الخيالية، بل تلك التي من لحم ودم وحضور.

- كسر الصورة المثالية للكاتب الملتزم، وهي في أي حال صورة تتجنى على هذا الكاتب، فتطرد منه حقيقته وتعيد تأليف شخصية جديدة له تأخذ عناصرها من خيالات الجماعة وحاجتها إلى المثال.

- كشف جوانب خفية من حياة الأدباء الشخصية يمكن أن تضيء أدبهم المنشور وطبيعة المرحلة التي عاشوا فيها.

وغادة السمّان التي بدأت مما سمي في الستينيات أدباً نسائياً، طورت نقطة بدايتها واستمرت في الكتابة حين توقف غيرها من الأديبات (أبرزهن ليلى بعلبكي)، ركان استمرار غادة في الكتابة

تأكيداً لشخصية المرأة الكاتبة التي لا تكتفي بكونها فتاة تكتب كلاماً متمرداً ثم تسكت بعد بلوغ «مرحلة النضج». . .

محمد علي فرحات

مجلة «الوسط»، لندن، ١٩٩٢/٩/٧

شكراً لك على بعث الحياة في رسائل غسان الطافحة رقةً وإنسانية وحباً. إننا يا غادة مطحونون جميعاً، ذكوراً وإناثاً، بشراً، بآلة طحن الأنظمة الشرقية الاستبدادية ومدعوسون استعمارياً إذا ما بدأ هنا أو هناك تطوّر أو تقدم. والحملة عليك هي حملة على الديمقراطية والحرية التي أخذت تدق مجتمعاتنا العربية.

تبقى الرسائل الرائعة التي خطّها قلم وعقل وإحساس غسان خالدة إلى الأبد، لأن ما يعوز مكتبتنا العربية هو أدب الرسائل، أدب البوح، أدب الاعترافات كاعترافات الأدباء والمفكّرين العالميين. . ويبقى غسان إنساناً ومناضلاً وفناناً وشهيداً. ويا سيدتي، أعظم الثوار هم المحبّون، وسلام عليكِ. ولستِ الضحية الأولى ولن تكوني الأخيرة على مذبح الحرية والديمقراطية.

محمد فرح

مجلة «المعرفة»، تعز ـ اليمن، تموز/ يوليو ١٩٩٥

. . . بعض الكتاب، منهم من أحب غسان ومنهم الزميل عيسى الشعيبي، وبينهم من حقد على غسان، وفيهم من مات غيظاً وحسداً من غسان، رحبوا بكتاب غادة، وهللوا لهذا الإصدار المثير بما تحمله هذه الكلمة من المعاني!!. وقالوا إنها خطوة جريئة وشجاعة، وفيها الإخلاص والوفاء لغسان. . . وهذا الموقف أدهشني وأرعبني أكثر من خطوة غادة ذاتها. . . هل أقدمت غادة على فعلتها هذه بحسن نية، أم أنها عملية انتقام من الشهيد غسان كنفاني وما يمثله هذا الرجل المميز: غسان الإنسان، غسان الأديب والكاتب المبدع، وغسان السياسي؟. . . لقد أصابت بكتابها غسان بكل ما يمثله.

محمد كعوش

جريدة «الدستور» الأردنية، ١٩٩٢/٩/١٤

. . . بأي صفة يمكن أن يصف المرء هذه «الشجاعة» لكاتبة موهوبة، فرضت اسمها منذ «عيناك قدري» كتابها الأول وقبل أن تنصرف فيما بعد ذلك بقليل إلى التماس النجومية. .؟! مع التنويه بأنه إذا شابت هذا الرأي قسوة ما، فذلك غير مقصود أولاً، ونجم عن قسوة الموضوع والمناسبة. تاركاً للكاتبة «ثغرة» أني اكتفيت مؤقتاً بقراءة عروض وتلخيصات وافية ضافية للكتاب. . دون أن أقرأ الكتاب ذاته!

محمود الريماوي

جريدة «القدس العربي»، لندن، ١٩٩٢/١٠/٩

الكتاب («رسائل غسان كنفاني إلى غادة السمّان») قد أثار ولم يزل يثير العديد من ردود الفعل بين مؤيد ومعارض ويُقدِّم بالفعل إضافة هامة للمكتبة العربية على صعيد أدب الرسائل أو «مراسلات الاعتراف» حسب تسمية الكاتبة. فقد ساهم نشر «الرسائل» في إزاحة الستار عن جوانب خفية وروحية ونفسية في شخصية المبدع الراحل غسان كنفاني، هذه الجوانب التي ظلّت ولفترة ليست بالقصيرة مطوية أو مغيّبة في ظل التأكيد على صفات المناضل الملتزم، والأديب في شخصيته، وبتجريد وطهرانية يصلان حدَّ الأسطورة في بعض الأحيان، وكأن «الالتزام السياسي» يقتضي حضور «المناضل السوبرمان» الذي لا يبوح ولا يحب ولا يخاف أو يضعف.

في ظل هذه القراءة، يكون نشر «الرسائل» إطلالة جريئة وإعادة بحث هامة، للمقدس في الصورة...

محمود السرساوي

جريدة «تشرين» السورية، ٢٧/٨/١٩٩٧

... لا أريد أن أتوقف عند بعض الاستنتاجات المتسرعة التي اعتبرت أن ثمة إساءة لغسان الكاتب المناضل الشهيد، وأن ثمة تطاولاً على الرمز الذي بات يمثله، جراء نشر رسائله في مثل هذا الزمن الذي تكثر فيه هزائمنا، وبالتالي يبدو وكأن نشر الرسائل إنما يخضع لخطة شيطانية أو مؤامرة خبيثة... غير أن ما كشفت عنه الرسائل من جوانب إنسانية في شخصية غسان، أو ما اشتملت عليه من صدق وحميمية في التعاطي مع كل أشياء الحياة بدءاً من الوطن وانتهاءً بالمرأة، تكفي للرد على الاستنتاجات المتسرعة وعلى نزعة التطير التي لا تفتأ تلاحقنا... وثمة حقيقة لا سبيل إلى نكرانها، تتمثل في جرأة غادة السمّان وهي جرأة تستحق عليها الثناء والشكر، حينما بادرت إلى نشر هذه الرسائل - الوثائق الأدبية التي قد تمهد الطريق إلى تكريس مثل هذا النوع الأدبي في واقعنا الثقافي، بكل ما يعنيه من تجرد من الزيف والرياء...

محمود شقير

مجلة «بسمة» الأردنية، ١٦/١/١٩٩٣

لقد تعرّضت غادة السمّان قبل سنوات إلى عاصفة لم تهدأ بعد لأنها أقدمت على نشر رسائل حب وصداقة خصّها بها الأديب الفلسطيني الراحل غسان كنفاني...

... ونحن بالتشجيع على سلوك هذا الطريق لا نطالب الأدباء العرب والأديبات العربيات بأن يعترفوا على غرار أوسكار وايلد وسيمون دي بوفوار. فما تزال المجتمعات العربية غير مهيأة مرحلياً للاعترافات الإباحية، وذكريات الشذوذ، لكنها لا تُمانع في أن تسمع قصص الحب وتباركها.

د. محي الدين اللاذقاني

جريدة «الشرق الأوسط»، لندن، ٢٤/٧/١٩٩٧

... وصف السمّان لكنفاني (في تقديمها) بقوس قزح، يجعلنا مرة أخرى نقف عند دلالات هذا التعبير الذي يكتنز بمدى إخصابي يكشف لنا ما حاولت غادة إخفاءه...

... لم نُفاجأ بكمٍّ لا بأس به من الإشارات الواردة في رسائل غسان إلى غادة لجهة سلوك سادي مارسته السمّان على كنفاني.

رسائل غسان إلى غادة تكشف لنا عن حب يفوق الوصف...

مروان الخطيب

جريدة «صوت البلاد» اللبنانية، ٤/٧/٢٠٠٣

... يجب أن نتناول الناحية الإبداعية في الرسائل: هناك أمر يجب أن نتفطن إليه وهو زواج غسان من امرأة غربية وهذا من شأنه أن يجعله يحن للمرأة العربية.

مصباح بو حبيل

جريدة «الصحافة» التونسية، ٢٢/٦/١٩٩٣

... هل يحق لأحد البوح بأسرار علاقته الحميمة بشخص ما؟ أقول إنه يجوز بإذنه، أما في حالة وفاة الآخر فلا مانع...

مصطفى كرت

جريدة «الشرق الأوسط»، لندن، ٤/١/١٩٩٣

في الحملة التي شنّها الكتّاب والنقّاد على غادة السمّان بعد نشر الرسائل، كانت عملية الإيحاء أو التلميح، والإفصاح المباشر أحياناً، أنهم بما أطلقوه من مواقف يعبّرون عن تضامنهم مع غسان، حبهم له، حرصهم على مكانته الأدبية والنضالية. وتنطوي تلك المواقف على إدانة لغسان سواء بوعي أو دون وعي. فاعتبار البوح في الرسائل، يمس شخصية غسان، هو إدانة لغسان كاتب الرسائل، قبل أن تكون إدانة لغادة التي دارت المعركة ضدها ظاهرياً...

وفي محاولة تسويغ بعضهم عملية التبرئة لغسان من تلك «السقطة» أشاروا إلى لحظة ضعف... استغلتها غادة، وكانوا بذلك يطبقون الخناق أكثر على شخصية غسان الإنسان، تحت يافطة إنقاذها، فزادوا بذلك من تشويهها، ونالوا من إنسانيته... إن اللعنات التي أنزلها النقاد على غادة في موضوع نشر الرسائل، والتوصيف الذي أطلقوه عليها في سيل من المفردات، يبرز حالة الوعي الثقافية لمسألة المرأة، باختزالها إلى كائن ماكر أناني، نرجسي، يخدم الأعداء بل وربما يتحرك بإشارة منهم.

مصطفى الولي

من كتاب «غسان كنفاني: تكامل الشخصية واختزالها»

دمشق، دار الحصاد، ١٩٩٣

... تفترض أن غادة كانت تجرجر غساننا كي يكتب وتكدس كتاباته إليها «لتطلقها فيما بعد على شكل قنبلة كرنفالية صاخبة في زمان راكد وهادئ وميت هو زماننا الآن».. على رسلك يا رجل.

إن كان هذا الكتاب ليس بريئاً كما ترى ـ وكما أرى أيضاً ـ فلنحاول أن نكون أبرياء بقدر ما يعطينا غسان كنفاني العاشق من طفولة وبراءة وإنسانية وفرادة.

لنكن أكثر أريحية حين نمارس أقصى درجات الرجولة مع أي امرأة وأي نحلة، حتى وإن كانت هذه النحلة «غادة السمّان بلا أجنحة»...

معن البياري

جريدة «القدس العربي»، لندن، ٣/٣/١٩٩٣

... في الشرق، تثور ضجة على غادة السمّان (فصيحة العرب بلا جدال) لأنها نشرت في كتاب رسائل (المناضل) غسان كنفاني لها وكأن المناضل بلا قلب أو إحساس!

في الغرب، ينشرون السير الذاتية ـ بكل ضعفها البشري الوارد في النفس الإنسانية...

مفيد فوزي

مجلة «الوطن العربي»، باريس، ١١/٩/١٩٩٢

... رسائل جميلة ونادرة في الأدب العربي.

مجلة «الملاحظ» التونسية، ٧/٨/١٩٩٩

... ولا أنكر أنني منذ البدء، وجدت نفسي مسانداً لهذه «الفضيحة» ـ نشر الرسائل ـ ومستعداً للدفاع عنها. فالهجوم على غادة السمّان للدفاع عن «سمعة» غسان كنفاني ينطلق أصلاً من منطلق مهزوم ومفهوم خاطئ...

في أيام الانحدار يزداد التوق إلى تقديس الأبطال وإلى المبالغة في صفاتهم النقية حتى يصل الأمر، أحياناً، إلى التأليه! وبمقدار ما ننحدر في حياتنا من مستوى البشر نميل إلى التشبث بأبطال نود لو كانوا فوق مستوى البشر. فالبشر الذين هم نحن في الحال الرديئة التي نحن عليها، شيء دوني، سوية لا تليق.

... حين قرأت رسائل غسان لم أحس للحظة واحدة أنني أتطفل على أسرار شخصية، بل أحسست على العكس أنني أقرأ أدباً رفيعاً. فغسان في رسائله شاعر. وتأتي شعريته من لغته الرفيعة وأفكاره المتألقة وأسلوبه المتوهج. وهذا كله ينبع من عاطفته الحقيقية الصادقة التي كان يلاحق بها غادة.

وبالتالي فإن غادة السمّان أياً كان هدفها من نشر هذه الرسائل، قدمت خدمة جليلة للأدب. إنها تكمل الصورة التي يجب أن نعرفها عن هذا الأديب العربي. يجب أن نتحرر من عقدة الأسرار الشخصية، فالأديب لا أسرار شخصية له.

ويبدو أن غسان كنفاني نفسه لم يكن حريصاً على سرية هذه العلاقة. ففي هامش الرسالة المؤرخة في ٢٥/٨/١٩٦٨ (ص ٧٧)، يقول عبد الرحمن الربيعي: «أحب أن أذكر أن المرحوم غسان كنفاني عمل في أواخر الستينيات رئيساً لتحرير الملحق الأسبوعي لجريدة «الأنوار» اللبنانية

وكان يكتب صفحة أسبوعية فيها، عن خفق قلبه ونبض وجدانه، وكل أصدقائه كانوا يعرفون أن تلك الصفحة كانت لغادة السمّان».

وفي رسالته المؤرخة ١٩٦٧/١/٣١ يعلق على خبر حاولوا دسه في الصحيفة عن زواجهما فيقول: «وأنا غير مكترث. لم تكن غلطة الذي دس الخبر ولكن غلطة السنوات الخمس التي مرت...».

ممدوح عدوان

مجلة «الكفاح العربي» البيروتية، ١٩٩٣/٦/٧

... الكتاب في ذاته يضيف. ولأنه يضيف كان لا بد من الاحتفال. فمكتبتنا العربية لم تشهد هذا الجنس الأدبي من قبل رغم إقرارنا بوجوده وشرعية ولادته، لكن السائد ظل يرفض الاعتراف له بحقه في الحياة والانتشار. و«عدة النضال» كما تقول غادة أنتجت في تاريخنا نموذجاً محنطاً وبائساً للمحسوبين على النضال السياسي أو الالتزام الأدبي أقرب ما يكون إلى الكاريكاتور...

منصف الخميري

جريدة «الصحافة» التونسية، ١٩٩٣/١/١٥

... وحين قامت القيامة، لم يلجأ أغلب الذين علقوا على الرسائل إلى تحليل أسلوب غسان المناضل الذي ارتكب العشق. فقد كانت حادثة نشر رسائل عاشق إلى معشوقته، بعد عشرين سنة، كافية لإسقاط كل التهم على هذه المرأة التي تجرأت وأقدمت على نشر رسائل موجهة إليها من كاتب معروف.

إن درس رسائل غسان إلى غادة كان قاسياً. فالمعشوقة عوقبت بجريرة عاشقها... درس، وأي درس، غير التخويف والإرهاب... واستطاعت غادة السمّان أن تنجو بجلدها، ولكن سمعتها لم تنج من التشويه الأخلاقي والمزايدات النضالية...

والسيرة الذاتية العربية لا تهتم بالبوح، ذلك أنها مشغولة بالصراخ ومنفوخة بالبطولة، بذكريات الطفولة البريئة أو قل المبرأة من كل شائبة..

المنصف المزغني

جريدة «الصحافة» التونسية، ١٩٩٣/٨/٢٨

... رسائل تعيدنا بأجوائها الرومانسية ولغتها الأنيقة إلى الرسائل الغرامية كما عرفها المشاهير من أدباء وشعراء ورجال تاريخ. وهي وإن أتت خطوة متأخرة في الوسط الثقافي العربي فإن لوقعها أبلغ الأثر في نفوس ما زالت تطرب لهذا البوح...

... ونحن إذ نعتز بجرأة غادة السمّان، نقدّر مبادرتها السبّاقة في أدبنا العربي وجهدها في

توليف هذه الرسائل وطريقة إبرازها بموضوعية لأنها بالفعل استطاعت إدخال فن جديد على نتاجنا الثقافي هو فن أدب الرسائل الذي ما زالت مكتباتنا تفتقر إليه.

منغانا الحاج

جريدة «الديار» البيروتية، ٢١/١١/١٩٩٢

... وفي حالة رسائل «غادة السمّان» فإن أهميتها من وجهة نظري تتأتى من اعتبار واحد أساسي، هو استكمال ملامح شخصية «غسان» الفنان، والكشف عن هذا الجوهر الإنساني في قوته وضعفه، وجموحه، وانكساره، وتخاذله، وعطائه، وتألقه، وذبوله، وانكفائه، وامتداده. لذا أعتقد أن الإطلاع على هذه الرسائل يغني معرفتنا بغسان كنفاني الفنان والإنسان..

أرى أن أهمية هذه الرسائل تكمن في وظيفتها، وهي قراءة «غسان كنفاني» قراءة جديدة لا غير.

منى شقير

مجلة «الحصاد»، قبرص، ٩/١٠/١٩٩٢

... لقد جاء هذا النشر ليعري لحظة بوح خاصة جداً، وليهشم الإطار الشامخ الذي احتوى صورة غسان كنفاني طوال السنوات الماضية.

منى الشمري

جريدة «صوت الكويت»، ١٥/٨/١٩٩٢

... ولا يختلف اثنان في أنها قامت بأجرأ خطوة شخصية لكاتبة عربية مرتبطة برجل وعائلة مع ما يعني ذلك من سوء الظن والتفسير والحديث عن التشهير والطعن بالكرامة. إلا أنه يصح أن نغيّر بعض عاداتنا، وليس التغيير عادة سيئة دائماً...

وإذا كنا أخذنا الكثير من المعرفة عن الغرب فلماذا لا نأخذ موقفه المتسامح من «الماضي» والقلب ونعتبر مثل هذه الرسائل ملكاً لحقبة مضت وللمكتبة الأدبية؟...

مودي بيطار

جريدة «الحياة»، لندن، ٨/٩/١٩٩٢

... يشير الكاتب عبد الرحمن الربيعي... أن اللواعج التي كان يبثها غسان كنفاني عبر عموده الأسبوعي في جريدة المحرر البيروتية إنما كانت موجهة لغادة السمّان وأن المقربين إليهما من داخل الوسط الثقافي كانوا يعرفون المرأة التي يوجه لها غسان تلك الرسائل وهي غادة السمّان بالطبع كما أصبح ذلك معلناً لمن هم خارج هذا الوسط... ونعرف نحن أيضاً عشرات بل ومئات الكتّاب العراقيين والعرب والعالميين الذين كتبوا أجمل النثر في الحبيبات ثم ضموه بين دفات الكتب ليبقى خلاصة عواطف لكل المحبين...

ميسلون هادي

جريدة «القادسية» العراقية، ٥/١٢/١٩٩٣

. . . تقول أمهاتنا: «لكل حبة قمح مسوسة كيال أعمى». . . كل فتاة تجد تحت بابها أو عند نافذتها رسائل تعبر عن وله نتوهم فيه ضعف رجل أمام امرأة. جثا كثير من الرجال عند أقدام كثير من النساء، وحملوا حباً لهن رافقهم سنوات العمر. ولو نظرنا إلى رسائلهم لتوهمنا أن أولئك الرجال ضعفاء لا عمل لهم غير الحب والانتظار. لكنهم في الحقيقة مارسوا أعمالهم، وقادوا واجباتهم في انتباه، ولم يتخلفوا عن اجتماعاتهم أو عن معاركهم. وكان الفرق شاسعاً بين اعترافاتهم الحميمة للمرأة المحبوبة وبين القوة التي انطلقوا بها في حياتهم. . .

. . . لا نشك في أن المرأة تعرف تلك الحقيقة قبل الرجال. مع أنها قد تستمتع بالوهم برهة فتتصور أن الحياة مستحيلة دونها على المحب، ولذلك تبقى تلك الذكريات، دون رسائل أو مدعومة بها، من الكنوز الحميمة الشخصية. لا يفيد منها أحياناً كمستمسكات إلا الشرير، ولا يلجأ إليها، حيث تتعلق بالسياسيين إلا عدوهم. بل كثيراً ما يخطط لإسقاط الوطنيين بأفخاخ من تلك العلاقات الصادقة في ظاهرها، المدروسة في مخططها. . .

د. ناديا خوست

جريدة «تشرين» السورية، ٣/ ١/ ١٩٩٣

رسائل غسان المنشورة قُدِّمت كأنها تصحيح لصورته الرئيسية. وبدت بتصوير النص الأصلي كمستمسكات ضد الكاتب، هدفها أن تعلن أن ذلك المشهور الوطني الشهيد، كان يعشق فلانة. فهل هذه هي الصورة الجميلة التي خفيت علينا في غسان كنفاني وأرادت الكاتبة أن تكشفها لنا؟

د. ناديا خوست

جريدة «حمص» (الصادرة عن طائفة الروم الأرثوذكس)

حمص ـ سوريا، ١٤/ ٥/ ١٩٩٣

. . . والمثير أن يركب السياسيون فوق ظهور الشعراء والكتاب ثم يحملون مساطرهم ويقيسون بها المسموح والممنوع، ثم يعممون إراداتهم لتصادر إرادات الناس. وهكذا كانت الحملة على غادة السمّان وفقط لأنها أعلنت الشخصي من غسان وكان عليها إخفاء الشخصي لأن غسان شهيد القضايا الكبرى، ولا يجوز أن ينزل لمرتبة القضايا الصغرى وكأن الحب هو القضية الصغرى (ودائماً الصغرى) وكأن الهيبة تنهار إذا ما انهار رجل أمام امرأة. . .

. . أقصى الانهيار أن يصادرك الآخر أياً كانت اليافطة التي يختبئ تحتها. وهكذا أخذ السياسيون بالتحقيق الجنائي، هل هذا الخط هو خط غسان كنفاني وهل عشق غسان غادة؟. . . وانهالت النيران، فوق غادة السمّان، وكأن القضية انهارت لأن غسان خرج إلى الحب، وكأن الممثل الشرعي سقط خارج الهيبة، لأن الهيبة تقضي بأن يكون المناضل بلا روح. . وأن عليه فقط أن يستعمل عظامه.

نبيل الملحم

جريدة «الثورة»، السورية، ٢/ ١٠/ ١٩٩٣

لمن لا يعرفها، نرى ونشم في غادة السمّان رحيق الإنسان ينتشر شذاه في عالم لم يعد جديراً بوصف أصدق من القباحة. ومنذ أن كتبت حرفها الأول احترفت عشرة أمور:

أولاً: الخروج بعنق الأنثى من أنشوطة الغواية إلى فضاء الكينونة الإنسانية بمشروعها المطلق، ومن مقصورة الحريم البائسة إلى حلبة المصارعة، ومن جحيم الاستلاب المأفون إلى عراء الحرية.

ثانياً: إشعال الحرائق حيث يستوطن طاعون البلادة والتقليد، وظاهرة الجرذان الحاملة للأقلام، كي تنهض عنقاء الإبداع من رماد الحرائق، ترف بأجنحتها فوق سحاب الروح.

ثالثاً: تمزيق الأقنعة ووأد الباطنية الفكرية والسياسية، وتجفيف مستنقعات الرياء، وتفجير ينابيع الذات...

رابعاً: تطريز وشاح اللغة، والاعتكاف بروح الصوفي وراء منمنمات تؤاخي بين القباب والسهول، وتوائم بين عتمة الأقبية وفجور الضوء، وتناغم بين بحّة الناي وزمجرة الرعد، وتزاوج بين ملمس أجنحة الفراشات وصلابة قوادم الرخ.

خامساً: التمهيد السري للعصيان والتأسيس لثورة العشق، والدفاع عن بروميثيوس وسبارتاكوس، وتفسير جريمة ديك الجن الحمصي وجنون دونكيشوت، وشرح لغز رهان فاوست وتطاول عروة بن الورد...

سادساً: الدفاع عن حق ميدوزا في اجتراح النظرة القادرة على تحجير الرخاوة واللزوجة والليونة، وحق العين في شراسة الإبصار...

سابعاً: إفشاء لغة الصراحة والبوح والمكاشفة، وهدم هياكل الأدب على رؤوس ساكنيها، والتمرغ حتى الاحتراق تحت وهج شمس المعاناة.

ثامناً: إطلاق الوجود الحق من إساره، وتحرير الإنسان من لعنة التوابيت الجاهزة، والعقيدة من قوالبها مسبقة الصنع، والمخيّلة من طفولتها المزرية...

تاسعاً: فضح الزيف المستشري على موائد الميسر، وتعطن الروح في ليالي الأندية الليلية الحمراء، وقتل ذئاب المصارف الجائعة، ورفع الحيف والظلم الجاثم فوق كاهل القلب بسبب ضلوع السماسرة في رسم ألوان الشفق والغروب، وإخراج الضمير الإنساني نهائياً من بوتقة البورصة التجارية.

عاشراً: إعادة زرياب والموصلي إلى حلبة الغناء، بعد أن تم تعليب الصوت الإنساني وتصنيعه وتسجيله بشكل داعر إلكترونياً... وعزف كل ما هو نظيف وساحر ويذكّر بمارسيلييز التوق للانعتاق.

تلك هي وصايا غادة السمّان العشر لإنسان نهاية القرن العشرين. وتلك هي راجماتها الأدبية تقتحم بها قلاع الفكر الأثرية وحصون التقليد الشامخة. وتحت وطأة الإحساس الفاجع بهزيمة الجمال أقدمت غير مبالية ولا هيّابة على نشر رسائل غسان كنفاني إليها، معمدة ومضمّخة بإكسير الحقيقة، والحقيقة وحدها، ولا شيء غير الحقيقة وللمحلفين بعد ذلك أن يصدروا حكم الإدانة أو البراءة. ذلك أن الشهادة الصادقة تظل أكثر تعبيراً من الحكم نفسه مهما كان، وحتى لو اختلط دم

غسان كنفاني بدم غادة السمّان، وتماهى فيهما الضحية والجلاد، القاتل والقتيل، العاشق والمعشوق.

منذ أن صدر كتاب «وسائل غسان كنفاني إلى غادة السمّان» والكتاب موضع أخذ ورد. وأصبح الكتاب للأسف أكثر شهرة من كاتب الرسائل ومن التي كُتبت لها تلك الرسائل. ونكاد نقول إننا قرأنا كل حرف كتبه الاثنان، كما أننا نشرنا متابعات ومقاربات نقدية لكليهما منذ أكثر من عشرين سنة.

ونحن لا نأسف لأسباب أخلاقية لأننا لسنا في لجنة المحلفين، وليس بيدنا توجيه دفة الحكم النهائي. إنما نأسف لأن الضجة التي وافقت نشر الكتاب، كانت أعلى من الضجة التي رافقت إبداعات كل منهما على حدة...

أين معجزة الكتاب إذن؟ أهو القارئ العربي المفتون دائماً بكل نزعة فضائحية؟ أهو الخروج المحرم على التابو؟ أهو المفارقة المفتعلة والقسرية وغير المعهودة بين الالتزام الثوري والنضالي وشعيرة الحب؟ أهو المرأة المقبوض عليها في حالة حب؟ أم كل هذه الأسباب؟

د. نزار العاني

جريدة «القبس» الكويتية، ٨/ ٤/ ١٩٩٥

أحد الزملاء الشباب العاملين في «القبس» أوصاني على نسخة من هذا الكتاب حصراً («رسائل غسان كنفاني إلى غادة السمّان»)، فحملته طائعاً من دمشق إلى الكويت. وهو واحد من ضحايا الدعاية والإعلام قبل أن يكون من فرسان متابعة المساجلات الأدبية. وهو عينة من شريحة عريضة من القرّاء العرب الذين لا يستهويهم من تاريخ إنكلترا على سعته أكثر من نبش دخائل الأميرة ديانا! إنه القارئ الذي لا يستطيع مقاومة إغراء كشف المستور، وهو الإنسان العربي العادي الذي يسيل لعابه لذيوع ما هو ممنوع...

هناك إذن جانب الاستثارة الخفيّة التي تبعثها في النفس البشرية مثل هذه الكتب.. إنّ تعرّي الآخرين نفسياً واجتماعياً وفلسفياً يُريحنا من عبء الإفصاح عن ذواتنا.

إننا نتخفف من عقدنا وهفواتنا وأخطائنا، بل يسقط عنّا فرض التكليف، إذا تطوع أحدهم للحديث عن عقده وهفواته وأخطائه! إننا نغتسل بماء اعترافات الآخرين، ونتطهر من شوائبنا إن باح البعض بالتصاق بقايا الشوائب بهم.

د. نزار العاني

جريدة «القبس» الكويتية، ١٥/ ٤/ ١٩٩٥

... أثار الكتاب الكثير من الجدال والغبار والانتقاد والإعجاب حتى إن مجلة الصياد أطلقت على الحرب التي شنها البعض على غادة حرب (داحس والغبراء)!...

نصرة الشطّي

مجلة «فنون» السورية، ١٧/ ١/ ١٩٩٤

. . . هذه الرسائل تبدو مهمة لمن قرأ غسان كنفاني. فهي تكشف عن جانب يظل، عادة، مجهولاً، في حياة الأدباء العرب. ولعل غادة السمّان التي فتحت خزانتها وأفرجت (في حياتها) عن هذه الرسائل، قامت بعمل شجاع غير متوقع، وغير منتظر من كاتبة تنتمي إلى مجتمع شرقي. فكسرت بذلك مألوفين على الأقل، أولهما ما درج عليه أدباء ـ وأديبات ـ العربية من عادة التوصية بنشر أوراقهم بعد غيابهم، هذا إذا سلمت من الحرق أو التلف على أيديهم! وثانيهما وضعية تلزم المرأة في المجتمع حدوداً يصعب تجاوزها، من دون إلحاق ضرر اجتماعي بصاحبتها. إن جانباً أساسياً في جرأة غادة السمّان إذ تنشر هذه الرسائل، يكمن في تقبلها ما تحمله من إدانة عاطفية لها من قبل شخص واحد. لا أدري إذا كان علينا أن نأخذ جانبه في تطرفه العاطفي، أو في عدالة قضيته معها!

.. تبقى هذه الرسائل كشفاً له قيمته الاستثنائية...

نوري الجرّاح

جريدة «الحياة»، لندن، ١١/٨/١٩٩٢

. . . إعصار الجرأة وزلزال الوفاء الذي عصف بغادة السمّان جعلها تهدي لنا نبضات قلب اشتعل حباً، ورغبة منها في إطلاق رصاصة على ذاكرة النسيان العربية، وتسديد طعنة إلى جمعيات الرياء المتحدة. . .

هالة سرحان

مجلة «كل الناس» المصرية، أكتوبر ١٩٩٢

. . . إذا انتقلنا من إطار الفضيحة الأولى، أي تسويق الحميم، انتقلنا إلى فضيحة أخرى. فصاحبة دار النشر اختارت ذكرى بليغة لنشر الرسائل، وهي مرور عشرين عاماً على استشهاد غسان. . .

وربما تجد الفضيحة وجهها الثالث في السياق العام الذي نعيش، حيث يتم إلقاء الماء المالح على التاريخ الفلسطيني في وجهه المشرق. والأديبة النرجسية أبت إلا أن تشارك مع غيرها في تشويه صورة عاشق فلسطين.

مجلة «الهدف»، ١٦/٨/١٩٩٢

. . . وإنه لمن المؤسف جداً أن يعبر البعض هكذا عن عجزهم عن إعطاء رسائل غسان كنفاني القيمة والمكانة اللتين تستحقهما، وأن يواصلوا بعد موته انتهاج المناهج التي رفضها طيلة حياته وتألم لها كثيراً. . .

إن كان لرسائل غسان كنفاني من وقع في النفس، فلأنها إلى جانب ما تتضمنه من تعبير عن حب متوهج، تبدو خالية تماماً من تلك الرؤية الدونية، والتحقيرية للمرأة، السائدة في مجتمعاتنا. . . رسائل تقرأها فتشعر فجأة وكأن الحياة أصبحت رواية.

هدى بن غشام

مجلة «الكاتبة»، لندن، ديسمبر ١٩٩٣

حين أقدمت غادة السمّان على نشر رسائل المناضل الرمز غسان كنفاني على الملأ الذي استمات في حبها قدر استماتته في نضاله، كانت تعلم علم اليقين أنها تلقي بعبوة ناسفة، أو قل قنبلة موقوتة تؤذن بالانفجار في أرض قاحلة، باردة، احترف أديمها الزيف والمواراة وتعودت رائحتها الارتزاق من حماقات يقال إنها منطق القبيلة، وناموس العشيرة.

أوَيعقل أن تضرب امرأة بمنطق وقاموس العشيرة عرض الحائط وتكسر بوتقة الموروث؟. . . فيهتك الستر ويفتضح بعد أن كان سجين الخدر؟ هذا ما اقترفته غادة السمّان فرُميت بألف حجر وصُلبت ألف مرة حتى تتوب. . .

غادة السمّان كانت تدرك جرأة الخطوة التي خطتها حين نشرت هذه الرسائل بأجوائها الحميمة، وروائحها الرومانسية ولغتها الأخاذة بقدر إدراكها لموجة العنف التي ستواجهها، فقالت: «نعم ثمة رجل اسمه غسان كنفاني. . . ونشر رسائلنا معاً هو أيضاً إقلاق لراحة الرياء ولنزعة التنصل من الصدق. . .».

أهذه امرأة تُرمى بالحجر وقد هزمت سطوة الممنوع بصدقها الشجاع الذي شارفت شفافيته حدود النار؟! أهذه المرأة تصلب وقد امتلكت شجاعة ألف ثائر تعودوا الموت فلم يعد يخيفهم ولا عادوا يهابونه؟ أهذه امرأة توجّه إليها أصابع الاتهام، وداخلها يضج بإعصار الجرأة وزلزال الرغبة في البوح بنبض القلب والوجدان؟!

هذه هي غادة السمّان، الكاتبة الشقية التي لا تهدأ أبداً، ولا تتوانى عن اقتحام حدود النار وإحداث المفاجئ، والجريء. وإقدامها على نشر هذه الرسائل سابقة تحسب لها، في عالم ذكوري لا يعترف إلاّ بانتصارات رجولية. لهذا السبب كانت الهجمة على غادة شرسة، ضارية وبلا هوادة، لأنها كشفت المستور وخرقت ترسانة الممنوعات التي صنعها المتوارث والتقاليد الشرقية لتخرج إلى العلن عالماً محرماً لا يعيش إلا تحت ستر الظلام، فأهدت بذلك القارئ العربي نوعاً من أدب رسائل العشق والبوح سيثري الثقافة العربية المعاصرة.

هدى الدغاري

جريدة «الصباح» التونسية، ١٠/ ٣/ ١٩٩٧

مما لا شك فيه أن الاعتبارات الاجتماعية والموضوعية تحكّمت بشكل أو بآخر في طريقة نشر الأمير والسمّان وشيبوب لرسائل حبهن.

ديزي الأمير نشرت رسائل خليل حاوي من غير أن تذكر اسمها، وتعترف بأنها حذفت بعض المقاطع منها لأنها تسيء إلى الآخرين، ولم تنشر رسائلها هي إلى خليل لأنها تعتقد بوجودها مع ورثته.

أما غادة السمّان فتقول إنها نشرت رسائل غسان كنفاني دون أي تعديل أو حذف. غير أن رسائلها هي إليه ضاعت أو تلفت في معمعان الحرب الأهلية اللبنانية، وقد جاء كتابها خالياً حتى من مقدمة تشرح - من وجهة نظرها - طبيعة مشاعرها هي من الأديب الراحل الفلسطيني.

هدى سويد

جريدة «الحياة»، لندن، ٥/ ١/ ١٩٩٨

... وجدت غادة في غسان صورة الرجولة والشهامة العربية، وتعترف بذلك في تقديمها لرسائله. وإذا كانت السمّان قد كشفت عن شخصيتها الجريئة والمتباهية بحب غسان لها في مقدمة الرسائل، فإن رسائله إليها قد كشفت عن شخصية غسان كنفاني، المناضل الفلسطيني، من الداخل... الممزّق بين الهمّ العام والهمّ الخاص، بين القضية والحبيبة، حتى صار يصعب الفصل بينهما.

هدية الأيوبي

جريدة «صوت البلاد» اللبنانية، ٤/ ٧/ ٢٠٠٣

لماذا الضجة.. ألا يقع الشهداء في الحب؟!

الرسائل نمط من البوح الجميل، وعندما يختار رجل ما أن يكتب رسالة حب إلى امرأة ما، تصبح الرسالة ملكاً لهذه المرأة، ولا يحق لأحد أن ينازعها في ملكيتها الجميلة.

... مهما قيل في شخصية غادة السمّان، لا يهمني. ما يهمنا كلنا هنا أن قيامها بنشر الرسائل التي تخصها، كسرت حاجز الصمت في هذا المجال.. إن البوح بالعواطف بين الأدباء مسألة جميلة، وأنا شخصياً أرى فيها وثائق لها قيمتها، تعرّفنا بلحظات حية من حياة غسان كنفاني والذي نعرفه بكل محاولاته ونحترم موته أيما احترام..

هند أبو الشعر

مجلة «بسمة» الأردنية، ١٦/ ١/ ١٩٩٣

.. واتهموك بـ «فضح» غسان؟ وتنطح بعض الكتاب والصحافيين يشجبون الخطوة الجريئة لأن فيها تشويهاً لصورة كنفاني المناضل والمسؤول وأحد رموز المقاومة الفلسطينية؟

شو يعني؟ وهل شرط «المناضل» و«المسؤول» أن يكون بدون قلب؟

.. وأشفقت على صنف من البشر لم يروا في الكتاب إلاّ وجهاً «فضائحياً»... ولم ير فيه صغار النفوس سوى وجه «لمناضل» ما كان يجب أن يكشف...

لو يعلم هؤلاء المعقدون الذين يستهجنون كلام الحب، أننا نعلم أنهم يرفضونه في العلن على أنه «تابو» لأنهم خبثاء، ويمارسونه في السر محرّماً وممنوعاً وشاذاً، يمارسونه جنساً وبركان شبق...

لو يعلمون أننا نعلم كم فضحهم كتابك وأفرز على سطح أفكارهم الصدئة تراكمات عقدهم النفسية التي تختبئ مرة خلف ستار «المرأة العربية المحافظة» ومرة أخرى وراء حجاب «الأخلاق العامة» ومرة تحت حجة «عدم المساس بالحياة الخاصة والشخصية»، وجميع هذه حجج ضعيفة مترشحة كالزبد الذي لا يصل إلى الشط حتى يبتلعه رمل الحقيقة..

... كتابك أحدث أكثر من صدمة، ووعى رجال الشعر والأدب والفن على أن رسائلهم مرشحة لترى النور العلني وتخرج من أدراج الذين واللواتي..

... إن أدب الغرب يعيش على نبض البيوغرافيا والأتوبيوغرافيا، ومعظمهما استناداً إلى

رسائل ومذكرات كي ينكشف ما لا يكتبه الأدباء في أعمالهم الإبداعية المصقولة المعلبة الجاهزة للنشر بسابق تصور وتصميم..

من هنا يا غادة إن إصدارك رسائل غسان إليك خطوة بيوغرافية مهمة للأدب العربي الحديث..

هنري زغيب

جريدة «النهار» البيروتية، ١٠/ ١١/ ١٩٩٢

لا تأريخ للأدب بدون بيوغرافيا. ولا يمكن صدور سيرة ذاتية موثقة من دون الرجوع إلى رسائل صاحبها لاستكشاف تنهداته الحميمة في لحظاته الصادقة التي لا تجملها براعته في كتابات إبداعية يعرف سلفاً أنه يعدّها للنشر.

هنري زغيب، ١٩٩٢

... فتحت رسائل غسان تابوت العديد من الجثث التي رغم وجودها في تابوت ما زالت لسان حال القلم في عالم يجتر احتضاره. فنرآى أن كل رواية سابقة كانت تنتظر في اللاوعي الفحولي تصفية حساب مع امرأة «خارجة على القانون».

د. هيثم منّاع

٢/ ٢/ ١٩٩٤

كثيرون كتبوا وتحدّثوا عن هذا الكتاب («رسائل غسان كنفاني إلى غادة السمّان») سلباً وإيجاباً. ولكن أكثر الذين كتبوا امتدحوا «شجاعة» غادة السمّان وجرأتها واعتبروها «رائدة» في أدب الاعترافات النسائية...

إن غادة السمّان أديبة مبدعة من دون ريب، لكن ذلك ليس موضوع تعليقنا، ولن نسمح لأنفسنا ـ أو لأيما كاتب حاقد ـ بأن نغمطها حقها في هذا المجال بالقدر الذي نرفض منها أن تعبث بذكرى مناضل شهيد اسمه غسان كنفاني.

وائل عبد النور الطوباسي

مجلة «العربي» الكويتية، حزيران/ يونيو ١٩٩٥

أما غادة السمّان الأديبة الكبيرة والمعروفة، فلا يلوذ الحب عندها بالصمت أو يقبع في خفايا الوجدان، إذ اختارت أن تنشر «رسائل غسان كنفاني» التي بعث بها إليها الكاتب الفلسطيني العربي المعروف والتي يروي فيها كيف أن غادة السمّان كانت في نظره شيئاً يستعصي على النسيان، وكيف ارتقت في ذهنه إلى نبيّة ظلام أغرقت أغواره الباردة الموحشة في اللهاث وراءها في كل مكان بحثاً عنها كبحث الأصيل عن وطنه، والتقي عن الله، والصوفي عن الغيب...

وبالطبع لستُ ضد شجاعة غادة السمّان الإنسانية والأدبية، ولا أشك في صدق وجمال هذه الرسائل الرائعة، وأشاطرها الاعتقاد بأن القيم التقليدية السائدة في «أمة العرب» قد خربت كثيراً من

المشاعر والأحاسيس الحقيقية. . . ولا جدال في أن فن الاعتراف أو كتابة السيرة الذاتية هي من بين الألوان الأدبية الشاحبة في الثقافة العربية الحديثة.

د. وائل غالي شكري

مجلة «الوطن العربي»، باريس، ١/ ١/ ١٩٩٣

وتأتي علاقة الحب التي جمعت القاصّ الفلسطيني الشهير غسان كنفاني والكاتبة اللبنانية غادة السمّان والتي تطوعت بكشف أسرارها. . . وفاجأت الأوساط الأدبية والسياسية بكتاب صادق ومدهش اعتبره النقاد شديد القسوة على غسان كنفاني حين راحت غادة السمّان تنشر بين ضفتي كتابها الرسائل التي كان يكتبها لها غسان سراً. ويذهب نقاد عديدون منهم فاروق عبد القادر إلى أن ما فعلته غادة السمّان، نوع من التمثيل برفات كنفاني.

وائل قنديل

جريدة «الاتحاد»، أبو ظبي، ٧/ ٣/ ٢٠٠١

. . . دائماً يخيّم في جو الكتابات كابوس الرقيب، فنحسب له ألف حساب وأكثر. وكل كلمة نخطها يجب أن تكون وفق ما يريده الرقيب. إذن هذه هي حال كتاباتنا.

أما في كتابات الحب التي يغيب عنها الرقيب الرقيب، فهناك رقيب آخر هو أكثر لؤماً يدعى الرقيب اللارقيب!! وهذا الرقيب اللارقيب يتمثل بـ: كرمى لفلان احذف هذا!! ومن أجل خاطر هذا لا تكتب كذا! ولحساسية الموقف دعك من. . .! ولرهافة مشاعر فلانة مزّق النص بأكمله! إذن في المحصلة مزّقت النص بمفردك، وكل هذا من فعل الرقيب اللارقيب. وهنا يتبادر إلى أذهاننا وبإلحاح: من هو الرقيب الرقيب؟ ومن هو الرقيب اللارقيب؟ وأيهما أكثر لؤماً؟؟

إذا كانت نرجسية غادة السمّان دفعتها إلى نشر هذه الرسائل، فحسناً فعلت هذه النرجسية. دعنا نقرأ ولو مرة واحدة فقط في حياتنا نصاً أو كتاباً دون أن يخيّم في سماء هذه القراءة شبح الرقيب، دعك من الحذف ولو حرفاً واحداً. .

وحيد شيخو

مجلة «الناقد»، حزيران ١٩٩٣

. . . للرسائل قيمتان: القيمة الأولى هي الكشف عن الجوانب العاطفية الحميمة للكاتب الفلسطيني الراحل، فهو المعروف بأدبه الملتزم بقضية فلسطين أظهر في الرسائل جانبه العاطفي الشخصي كمحب. . . والقيمة الثانية للرسائل أدبية، إذ تكشف عن جانب الترسل الرومنطيقي في نثر غسان كنفاني. وهنا تلاحظ غادة السمّان أن كتابات غسان كنفاني غير السياسية وغير النقدية في الصحافة اللبنانية لم تجمع بعد، ويغلب على هذه الكتابات ذلك الجانب الرومنطيقي الموجود في الرسائل. .

مجلة «الوسط»، لندن، ١٠/ ٨/ ١٩٩٢

أمام حكايات مثل حكاية اليوناني باباندريو (وفضيحة بروفيومو، وميتران وابنته غير الشرعية، والرئيس جيسكار ديستان وعلاقاته، والعلاقة المفترضة بين الرئيس شيراك وكلوديا كاردينالي، ومصمم الأزياء ف.س. الذي ساعد رئيس الجمهورية ع.ب. في الحصول على عشيقات وغيرها)، أين يصبح الخجل الذي أرادنا بعض الغلاة أن نحسّ به ونحن نقرأ رسائل غسان كنفاني إلى غادة السمّان، .الرسائل التي «تجرأت» الكاتبة على نشرها لتقول فقط إن رجل السياسة والفكر يمكنه أن يعشق وأن يحب وأن يعيش حياة عاطفية مثل باقي البشر؟

مجلة «الوسط»، لندن، ١٩٩٨/٨/٣

.. حين يلتقي غسان كنفاني وغادة السمّان ويكون الحب ثالثهما لا يمكن إخفاء ذلك زمناً طويلاً...

والعبرة ليست في ما كان وما مضى ولا في أن غسان كنفاني هو كاشف الغطاء بل في أن غادة السمّان هي صاحبة الجرأة في نشر ما كتب لها. وهذه خطوة رائدة وعظيمة ليست غريبة على ما تتحلى به غادة السمّان من شجاعة في الكتابة وفي الحياة... وتكتمل شجاعة غادة السمّان في أنها هي مقدمة هذه الرسائل...

مجلة «الوطن العربي»، باريس، ١٩٩٢/٨/١٤

... إن عادة غادة السمّان في إثارة الضجة حول نفسها هي الدافع الأول في نشر رسائل غسان كنفاني إليها، وهي في المقدمة التي كتبتها، تبشر بأنها ستنشر رسائل آخرين من «رجالها» بعد الموت (موتهم طبعاً). والذين كتبوا لغادة السمّان كثيرون، وكثير منهم عاش قصة حب معها، وإن اقتصر فعلها على الرسائل في الغالب - وكثير منهم توهم أنها أحبته، لأنها أرادت له أن يتوهم... كانت مهتمة بأن تصنع شهرتها من خلالهم أكثر من اهتمامها بأن تقيم علاقات معهم، وإذا وجد من أحبوها بالفعل، فإن ذلك كان من طرف واحد في غالبية الحالات.

وكانت كلمة غسان كنفاني هامسة، أرادها له ولمن يحب، وهي خاصة جداً، لا تحتمل التعميم، ولا تشكل وثيقة أدبية ذات قيمة يصعب تجاهلها، لذلك فإن نشرها جاء فقط لصالح من نشر، لا لصالح التاريخ الأدبي، ولا لصالح الذين لم يولدوا بعد.

... إن التشكيك لا ينصب هنا على الرسائل ذاتها، فنحن نعرف عنها في حينها، ونعرف خط كاتبها، لكن التشكيك ينصب على (الوعد). فهل يمكن لغسان كنفاني أن يطلب نشر مثل هذه الإهانات لنفسه؟ إن فناناً مثل غسان كنفاني يمكن أن يقول مثل هذا في لحظة حميمة، لامرأة أحس بأنها «تسيل في أعصابه»، لكنه خارج الإطار الخاص جداً، الحميمي جداً، لا يمكن أن يقبل تعميم ذلك، لأنه بما يملك من موقع، لا يقبل أن يعلق ذاته على علاقة لا يرى فيها أي أمل، لأنها نادرة ومفاجئة وقصيرة (من وجهة نظره) وروعتها كانت في أنها لم تكن (من وجهة نظرها)...

وليد أبو بكر

جريدة «الدستور» الأردنية، ١٩٩٢/١١/٦

تمثّل رسائل غسان كنفاني إلى غادة السمّان جانباً مهماً من سيرته الذاتية المفعمة على الصعيدين الشخصي والسياسي معاً. وهذه الرسائل كما تقول غادة وثيقة أدبية، ولكن أهميتها لا تقف عند كونها تسد فراغاً واسعاً في «أدب الاعتراف» المفقود في ثقافتنا العربية، أو كونها تتحدّى أخلاقيات الرياء. فهاتان قضيتان خلافيتان لا مجال للخوض فيهما الآن، بل تكمن أهمية الرسائل - قبل كل شيء - في قدرتها الفائقة على الإجابة عن عدد من الأسئلة العويصة: كيف تصبح الكتابة ضرورة؟ هل تضفي سلطة البلاغة والبيان على موضوع «الضعف» ذاته قوة لا تحدّ؟ إلى أي مدى تعيننا الكتابة على معرفة الذات ومعرفة الآخر في الوقت نفسه؟ كيف يفضح اللاوعي سرّه من خلال الكتابة؟ هل تخفي الكتابة بقدر ما تكشف؟ هل توسّع الكتابة، خاصة كتابة الاعتراف، من حريتنا حقاً أم تضع لها حداً حين تجعل من المخصوص عاماً؟ هل تحمل الكتابة عن الحب المتمرد في طيّها، كتابة عن الكراهية، لا تشي بها؟ وكيف؟ ما العلاقة الخفية بين الكتابة والموت؟ وبين الحب والموت؟...

وليد منير

مجلة «القاهرة»، مايو/أيار ١٩٩٦

نصف اعتراف ذلك الذي باحت به الأديبة السورية غادة السمّان، حين نشرت رسائل الحب التي تبادلتها مع الأديب الفلسطيني غسان كنفاني... في لحظة مواجهة مع النفس قالت السمّان: «لأنني لم أسقط سهواً من سفينة فضائية على صحراء من الملح لعالمنا الثقافي العربي، فقد كنتُ أعرف مجموعة "التابو" التي سيدغدغها إصدار الرسائل».

وتؤكد غادة أنها لم تجنِ على صورة غسان الأديب الشهير.

د. ياسر ثابت

(من مقالة بعنوان: الاعترافات الجنسية لأربع نساء شهيرات)

جريدة «صوت الأمة»، القاهرة، ٢٠٠٢/٢/٢٥

... لم يكن كتاب «رسائل غسان كنفاني إلى غادة السمّان» الذي نشرته غادة نفسها أول محاولة تدل على جرأتها ولم تكن هي السبّاقة في هذا المجال. فقد سبق أن قرأنا رسائل الناقد المصري الراحل أنور المعداوي إلى الشاعرة الفلسطينية فدوى طوقان وهي التي أعطت هذه الرسائل إلى الناقد رجاء النقاش الذي نشرها في كتاب بتحقيق منه ومعالجة لنفسية المعداوي من خلال هذه الرسائل.. كذلك، استطاع المحققون العثور على رسائل من هذا النوع كان جبران خليل جبران قد كتبها إلى مي زيادة... ومن غير شك أن هناك العديد من هذه الرسائل بين أدباء وأديبات لم يتجرأ أحد طرفيها على نشرها.

.. غادة نشرت رسائل غسان كاملة.. والحلقة المفقودة ستكون رسائلها إليه، التي من المفروض أن يُعثر عليها، كما تمنت غادة نفسها. ولكن طالما أن ليس بين أيدينا سوى رسائله هو،

فإن غادة السمّان ستكون عذاب غسان المرير الذي عاشه حتى أواخر أيامه.. فما كان يكتبه لها في «ملحق الأنوار» وزاويته في «المحرر»، كان جميعه عذاب كاتب مبدع...

ياسين رفاعية

جريدة «الشرق الأوسط»، لندن، ٢٨/ ٧/ ١٩٩٢

... يقول المكسيكيون «لا تتكئ على المرأة ولا على الجدار المائل»، أما البلغاريون فيقولون «لا تثق بالمرأة ولا بشمس الشتاء» بينما - من أقرب الشعوب إلى العرب - وهم اليونانيون نجدهم أكثر سوداوية فيقولون «لا تثق بالمرأة حتى وإن ماتت». طبعاً، لن نعدم من ينصف المرأة، ويقدرها، فهناك اليابانيون الذين يقولون «لا تضرب المرأة ولو بزهرة».

... تشم بين رائحة السطور أنها كانت تهيئ لما تفعله الآن من نشر لهذه الخطابات منذ أول رسالة بعث بها غسان كنفاني إليها.

ثمة ما يجعلك تفكر باتجاه آخر أن غسان كنفاني كان «ضحية» ورطة أو فخ مقصود من خلال حب شقي قد جرجر به من رسالة إلى أخرى؟ ومن انتظار إلى آخر. فهل كانت غادة السمّان تستدرجه لكي يكتب، وتكدس هي فيما بعد هذه الكتابات والتي ستطلقها لاحقاً على شكل قنبلة كرنفالية صاخبة في زمان راكد وهادئ وميت هو زماننا الآن؟...

والآن، لنقلب الصورة. لو كانت هذه الرسائل موجهة إلى امرأة بسيطة مغمورة لا علاقة لها بالكتابة فما مصيرها يا ترى؟... إذن لكانت الآن رسائل هي طي الكتمان. تحت وسادتها أو في صندوق أسرارها. لكن يبدو أن المرأة الكاتبة في عالمنا العربي كارثة أو فضيحة...

إلى هنا نبدأ بإعادة النظر، والإصغاء جيداً إلى أمثال المكسيكيين، والبلغار واليونانيين، فربما كانت حكمتهم صائبة، وربما لم تخطئ خبراتهم، وتجاربهم في الحياة، وبالذات صميم الحياة: المرأة..

يوسف أبو لوز

مجلة «الشروق»، الشارقة، ١٢/ ١١/ ١٩٩٢

... لا أدري لماذا ما زلنا نخاف من (بعبع) الحقيقة..؟ كما لا أدري لماذا نصر على ارتداء قناع الزيف...

... لا ضير في قصتك مع غادة السمّان.. ولا ضير من نشر هذه الرسائل - القصة..

ولعلك بنشرها كنت أكثر حظاً من غيرك الذين أحبوا من هن لا يملكن جرأة غادة وصدقها، وتحرر جسدها وعقلها من سلاسل الأقنعة وغلالات الزيف السميكة...

يوسف حمدان

جريدة «الدستور» الأردنية، ٢٧/ ١١/ ١٩٩٢

... نتساءل هل نشر الرسائل خطأ؟

والجواب أنه ليس خطأ لأن الرسائل ألقت أضواء على شخصية غسان وهي شخصية غنية...

... والرسائل جميلة وغنية ويمكن أن تُقرأ على مستويات عديدة. إن أدب غسان كنفاني ما زال يحتمل المزيد من القراءات. ولكن يجب على غادة أن تحذف ما يتعلق بالأحياء وبالأساس ما يتعلق بأسرته. إن المسألة حساسة وحذف سطور من الرسائل لا يغير الكثير منها..

الرسائل لها بُعد إنساني بغض النظر عن أهدافها الأخرى..

يحيى يخلف

من ندوة «النادي الثقافي الطاهر الحداد» بتونس حول الرسائل، حزيران ١٩٩٣

المحتويات

مطبعة دار الكتب ـ منطقة بئر حسن ـ مقابل الـ BHV ـ بناية البارادايز ـ ٠١/٨٥٣٧٥٣ ٢٠٠٠/٠٥/١٣٨٠

رسائل غسان كنفاني التي تنشرها غادة السمان، هل ستكون فاتحة عهد جديد في كشف اوراق العرب الراحلين وأسرارهم؟ وهل ستكون هنالك نساء أخريات في جرأة غادة السمان؟

مجلة الف باء

قد يكون مبعث اعتزاز غادة السمان برسائل كنفاني ليس مقدار العاطفة التي تبادلاها بل وأيضاً أنه كان كاتباً وكان وطنياً قتله العدو بسبب وطنيته وحبه لشعبه. بقي أن أقول انه لا فن إن لم يكن الفنان حقيقياً وأصيلاً . والفن ينتهي بلا شك عندما يبدأ الفنان بمراعاة هذا الامر أو ذاك . وعندما تصبح الدنيا اجتماعيات ومبادئ حساب .

جهاد فاضل

هذه الرسائل وثائق هامة عن إبداع واحد من ادبائنا البارزين. ونشرها خطوة شجاعة من كاتبة عودتنا على المواقف الشجاعة في الكتابة والحياة. وكم اتمنى لو تحذو حذوها أديبات أخريات. وأكاد أجزم أن هذا النوع من الرسائل موجود لكنه مخبأ أو اتلف كما حصل مع جزء كبير من رسائل إلياس أبو شبكة إلى حبيبته.

عبد الرحمن مجيد الربيعي

وجدت في رسائل غسان كنفاني أدباً شخصياً رائعاً وجزءاً من تاريخ الأدب العربي الحديث، ونشرها يفتح أفاقاً جديدة للأدب الشخصي الذي نفتقر إليه في العالم العربي. فقد حان لنا أن ننزع الأقنعة عن ازدواجية الروح فينا ليستقيم لنا العيش أخيراً ونخرج من دهاليز الرياء وسراديب المواراة إلى فضاء النور والصراحة.

البروفسور عيسى بلاطة

كان غسان كنفاني طوفاناً يجتاح كل ما غيره وكان يحب غادة. كان لا يعرف رجلاً غيره ولا فناناً سواه ولا سياسياً مثله ولا رساماً بمثل موهبته ... ولا شاعراً ولا كاتب قصص بوليسية! كان العالم يبدأ بقميصه الفضفاض وينتهي بصندله العتيق! وكان عظيماً ويحب غادة. يوسف إدريس هو من نفس فصيلة هؤلاء الفنانين الذين يعيشون جنون الفن وعقله - واقعياً - قبل أن يكتبوه، وهو أيضاً : يحب غادة . هل القدر أن يحب المهووسون فناً بعضها البعض؟

ليلى الحر

إذا كانت كل كاتبة عربية تملك جرأة غادة السمان في نشر ما كتب لهن من رسائل من كتاب وشعراء وفنانين .. فإننا سوف نملك شاشة جديدة في أدبنا المعاصر ما زالت خفية وسوداء. إن اقدام غادة السمان على نشر رسائل غسان كنفاني لها، خطوة رائدة وعظيمة . وكسر جليد تختبئ خلفه مئات الرسائل التي ترينا الوجه الاخر لمعظم كتابنا لو أفرج عنها من داخل صناديق الخوف.

ياسين رفاعية

ISBN 9953-410-95-X

5289953410950

دار الطليعة للطباعة والنشر
بيروت